درر الألفاظ العوالي

في الرد على الموجان والحوالي

تأليف

غيث بن عبد الله الغالبي

الرسالة الثانية :في تدعيم ثوابت الصحوة الإسلامية من هم أهل السنة؟ تأليف :غيث بن عبدالله الغالبي

ـ مصر - الأحد 29/ رمضان المعظم /1427 هـ 22/ 10/ 2006 م

الاصدار الثاني

/http://www.aslein.net

مقدمة الإصدار الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله نحمده ،ونستعينه ،ونستغفره، ونتوب إليه ،ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ،ومن سيئات أعمالنا والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

أما بعد:

فقد سبق أن كتبت من مدة طويلة رداً على الأخ الشيخ سفر الحوالي .

وتمنيت أن يكون ذلك الرد وافياً بالغرض ، وكنت أعتقد أن الأمر من أعوام مديدة إلى يومنا هذا سيكون للأفضل ، ولكن للأسف فلا زال هناك من طلبة العلم في بعض البلاد من لا يريد أن ينصف من نفسه ،ولا أن يعود عن خطإه ، بل كأن طلبة العلم مغيّبون عن الحقائق العلمية ، وغارقون فيما لا ينفعهم ، والأمة تتكالب عليها الأمم من سائر الجهات في عقائدنا وثوابتنا ، ومساجدنا فإلى الله المشتكى . ورغبة مني في إيصال الحقيقة كما هي قررت إعادة نشر هذا المكتوب مرة أخرى لمن كان له قلب وإقبال على معرفة الحق ، خصوصاً بعد أن رأيت في شهر رمضان المبارك أثناء زيارتي إلى تلك الديار المباركة كتاباً للشيخ عبد الله الموجان عفا الله عنه ، فدفعني ذلك إلى تصحيح و بيان ما يمكن بيانه، والهداية بيد الله وحده عليه توكلت ،وإليه أنيب .

وقد زدت في بعض المواضع بما يناسب التطورات الحالية ، وزدت في النقل والتوثيق ،وزدت ما رأيته مفيداً من بعض الكتب التي ألفت حديثاً ،ككتاب "الأشاعرة ودعاوى المناوئين"،وكتاب أهل السنة الأشاعرة ،وغيرهما ، وحذفت بعض الأشياء التي تغيرت إلى الأفضل .

وأصل الرد هنا على رسالة الشيخ الحوالي ،و أما الموجان فالرد عليه تبعاً في مسائل عديدة .ونسأل الله للجميع الهداية ،وصلى الله وسلم على سيدنا محمدوآله وصحبه.

الرسالة الثانية :في تدعيم ثوابت الصحوة الإسلامية من هم أهل السنة؟ تأليف :غيث بن عبدالله الغالبي

ـ مصر - الأحد 29/ رمضان المعظم /1427 هـ 22/ 10/ 2006 م

مقدمة الإصدار الأول[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ،والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء وسيد المرسلين، سيدنا وحبيبنا محمد وعلى آله وصحبه.

أمابعد:

قال الله تعالى ((ومن أحسن قولاً ممّن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنّني من المسلمين)) ..

إن من أعظم الواجبات الملقاة على عواتق العلماء، والكتاب، وقادة الأُمّة في هذا العصر وكل عصر أن يخلصوا نيّاتهم، و ينزّهوا أقلامهم عن كل ما يورث الوهن والفشل ويؤدي إلى الضعف في صفوف المسلمين، وأن يتّقوا الله فيما يقولون، فلا يكتموا الحق ، و لاينشروا الأباطيل التي تثير العصبيات البغيضة الممزّقة للأمّة بدون وجه حق، بل هي افتراءات لا رصيد لها من الواقع ، وقد دفعت الجهلاء إلى تنمية التباغض والصّدام، و فعل ما لايرضي الخالق العلام ، ولا يسرّ من عنده أدنى فقه بواقع الحال ، ولابد لأصحاب العلم أن ينتهجوا أُسلوب الأنبياء عليهم السّلام في المناقشة والجدال ،والدّعوة إلى الحق ؛على ضوء ما أدّبنا به المولى ــ عزوجل ــ في كتابه العزيز حيث قال تعالى :((ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالّتي هي أحسن))وقال سبحانه ((ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن))

وقد اطلعت على رسالة للأخ الشيخ ــ سفر الحوالي ــ كان الغرض منها نقد السادة الأشاعرة ، ،وقد خرج الشيخ الحوالي من رسالته بنتيجة مفادها :كون الأشاعرة ــ رحمهم الله ــ مبتدعة ضلال ومتوعدون بالنار و ليسوا من الفرقة الناجية .

وقد كانت هذه النتيجة حتمية بناء على تصوراته المسبقة عن المسائل العقدية التي تكلم عنها .وقد اعتمد اعتماداً كلياً على كتب ابن تيمية .

فرأيت في هذه الرسالة بمقدماتها ومضمونها ونتائجها من الظلم والتجني ما لايسرني أن يلقى الله به.

وأرجو أن يكون قد تاب مما خط بيمناه ، ولعله اندفاع في زمن الشباب ،فغفر الله لنا و له .[2]

و قد بينت المسائل بقدر ما استطعت :

1ــ فبحثت كل مسألة منها بمراجعة كتب الأشاعرة نفسها، و صورت المسائل على ماهي عليه عند أربابها من العقائديين ،لأن الأحكام فرع عن التصورات . ولا أعول في ذلك إلا على القول المعتمد عندهم على ما بينه علماؤهم ، مجانباً لشذوذات من شذ عن آراءهم ولو كان من رؤوسهم لأن خطأ الفرد لا يعم الجماعة ، خصوصاً بعد تنبيههم عليه كما هو شأنهم رحمهم الله تعالى .

2ــ ذكرت مذهب أصحاب الحديث في بعض المسائل إن احتاج الأمر إلى ذلك.

---

[1] بتصرف يسير

[2] الفهم الخاطيء لمعتقد الأشاعرة وقع فيه كتّاب ومشايخ كثر ، بل وموسوعات كتبت في الفرق ، وإنما كانت رسالة الحوالي نموذجا لذلك فقط، بفحصها والبحث عن حقائق ما فيها ــ إن شاء الله ــ يتبين الحق لمن أراد الحق (فقط) .

3ــ و وثقت النقول عن الكتب التي نقلت عنها .

4ــ و كتبت كلام مؤلف الرسالة كما هو في أغلب المسائل تقريباً.

5ــ ذكرت تعريفا بالأشاعرة رحمهم الله تعالى و ذكر بعض علمائهم في شتى الفنون.

6ــ قدمت بمقدمات لابد منها.

و للعلم فإن محتوى هذه الورقات ما هو إلا بعض جهود علماء الأمة على مر السنين إلى عصرنا هذا، وما أنا إلا ناقل لعلمهم ،و مرتب لجهودهم ،مع زيادات للبيان والإيضاح .

والثمرة من هذه الرسالة: إحقاق الحق، وإزهاق الباطل ،وتجلية الحقائق كما هي ، والذب عن سادة الأمة من علماء الأشاعرة رحمهم الله تعالى ،لقول المصطفى صلى الله عليه وسلم ((من ذب عن عرض أخيه ذب الله عن وجهه النار يوم القيامة)). و لم يكن الذب عنهم ذبا عن الباطل أو تلميعا لأقوالهم أو زخرفة لاختياراتهم . وإنما أتيت بمذهبهم كما هو في جميع المسائل دون خلط للمصطلحات . فإن خلط المصطلحات ظاهرة نعايشها في عصرنا والله المستعان . فأرجو أن يكون في هذا سلامة للأخ الكاتب من تبعات أقواله ، وأن لا يجد الأخ الحوالي من هذه الرسالة امتعاضاً فهي مدخرة ليوم لاريب فيه .و من ثمراتها المرجوة بإذن الله ترشيد مسار الصحوة العلمية و الفكرية . وأسأل الله أن ينفع بها كل من قرأها مبتغياً وجه الله والدار الأخرة ،وصلى الله و سلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المقدمة الأولى

التعريف بالأشاعرة رحمهم الله تعالى

من المؤسف أن يحتاج المرء إلى التعريف بالمعارف الغنية عن مثله ،فالأشاعرة هم الأشاعرة وكفى!! هكذا كان يجب أن يقال وبه يكتفى ،ولكن حين زيفت الحقائق و احلولك الظلام في بعض المجتمعات ،فقد يُذّكر الإنسان بنبذ مختصرة جداً عن مثل هؤلاء القوم، وهو مقام تذكير بهم لا مقام تعريف .

ما ضرَّ شمسَ الضحى في الأفْقِ طالعة

أنْ لا يَرى ضَوْءَها من ليس ذا بصرِ

فإذا كان التعريف بسيد الخلق صلى الله عليه وسلم صار ضرورة في بعض المجتمعات التي أصابتها لوثة التغريب عن دينهم، فكيف بمن هو دونه من البشر؟!. ومن هذا الباب فقط أذكر القارىء الكريم بعظيم منزلتهم في حمل الشريعة الإسلامية و تعليمها .

كتب الشيخ أبو إسحاق الشيرازي رحمه الله فقال :{ الأشعرية أعيان أهل السنة وأنصار الشريعة انتصبوا للرد على المبتدعة من القدرية وغيرهم، فمن طعن فيهم فقد طعن على أهل السنة، و إذا رُفع أمر من يفعل ذلك إلى الناظر في أمر المسلمين وجب عليه تأديبه بما يرتدع به كل أحد}. و وقّع على هذا الجواب أيضاً بالموافــقة: الشيخ أبو بكر

محمد بن أحمد الشاشي تلميذ الشيخ أبي اسحاق.اهـــ

1ـــ فمن حيث العلم فهم جمهور أمة محمد صلى الله عليه وسلم . فلا تكاد تقلّب فناً من الفنون إلا و وجدتهم رؤو س ذلك العلم ؛ في علم العقيدة ،وعلم الفقه ،وأصول الفقه، والحديث بجميع علومه ،والتفسير ،واللغة بجميع علومها ،والتاريخ ،والقراءات ،والتجويد ،وليس هناك علم إلا والناس عالة عليهم فيه .

2ـــ من حيث العبادة : فهم من سادة الناس في الزهد و العبادة رحمهم الله تعالى ، وانظر كتاب صفة الصفوة لابن الجوزي ، تجد الجم الغفير من عبّادهم ، و تجّول بناظريك في كتاب إحياء علوم الدين ومنهاج العابدين للإمام الغزالي ،وكتب الإمام النووي ،وكتاب التذكرة بأحوال الموتى للإمام القرطبي ،والرسالة القشيرية، وكتاب "أصناف المغترين" وغيرها كثير .

3ـــ الأشاعرة ينصرون منهج السلف بالعقل والنقل : وقد صنّف إمام أهل السنّة والجماعة في عصره وبعده إلى يومنا هذا الإمام الأشعري المصنفات العظيمة في الردّ على طوائف المبتدعة والمخالفين للإسلام، مملوءة بحجج المنقول والمعقول، وكانت وفاة الأشعري في سنة أربع وعشرين وثلاثمائة للهجرة. وصنّف أتباعه من بعده المئات من المجلدات في الردّ على المبتدعة والمخالفين للإسلام بالحجج الدامغة الكثيرة ،والمناظرات العديدة ،قطعوا بها أفحل طوائف المبتدعة من المعطلة والمشبهة والدهريين ،والفلاسفة ، ورفعوا لواء مذهب أهل السنة والجماعة في الخافِقَيْن؛

وأبرزهم في نشره ثلاثة : الأستاذ أبو بكر بن فُورَك، و أبو إسحاق الإسفراييني، والقاضي الباقلاني. فالأوّلان نشراه في المشرق، والقاضي نشره في المشرق والمغرب، فما جاءت المائة الخامسة إلا و الأمة الإسلامية أشعرية وماتريدية و مفوّضة لم يشذّ عنها سوى نزر من المعتزلة و الشيعة وشرذمة من المشبّهة وطائفة من الخوارج؛ فلا تجد عالمًا محققًا أو فقيهًا مدققًا إلا وهو أشعري أو ماتريدي أو حنبلي مفوّض .

وهو موافق لمذهب السلف غير مخالف، وكان منهجهم توضيح النوازل التي تشكل نحو الثوابت العقدية، فردعوا شبهات الفلاسفة والماديين ،ونحوهم بكتب عظيمة إلى يومنا هذا .و لم تكن كتب عويل و صراخ عاطفي و إنما كتبا منظمة بمقدمات علمية أصيلة يتفق عليها كل العقلاء مسلمهم وكافرهم لا يكابر في ذلك إلا أهل الفوضى الفكرية بأصنافهم فلا كلام يتوجه لهم أصلاً .

فالمذهب الحق الذي كان عليه السلف الصالح هو ما عليه الأشعرية والماتريدية والمفوضة ، وهم مئات الملايين من المسلمين فكيف يكون هؤلاء السواد الأعظم على ضلال؟! ويدل على ذلك ما رواه الترمذي وابن ماجة وغيرهما: "إن الله لا يجمع أمتي على ضلالة" وعند ابن ماجة زيادة: ((فإذا رأيتم اختلافًا فعليكم بالسواد الأعظم)). ويقوي هذا الحديث الحديث الموقوف على أبي مسعود البدري: "وعليكم بالجماعة فإن الله لا يجمع هذه الأمة على ضلالة" قال الحافظ ابن حجر: "وإسناده حسن"، والحديث الموقوف على عبد الله بن مسعود وهو أيضًا ثابت عنه: "ما رآه المسلمون حسنًا فهو عند الله حسن، وما رأه المسلمون قبيحًا فهو عند الله قبيح"، قال الحافظ ابن حجر: "هذا موقوف حسن".

وكذا ما صح مرفوعًا إلى النبي صلى الله عليه سلم من قوله: " لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة".

شبهة الأطوار الثلاثة للإمام أبي الحسن الأشعري [3]:

هو أبو الحسن علي بن إسماعيل بن أبي بشر إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن بلال بن أبي بُردَةَ عامر بن صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أبي موسى الأشعري.

ولد رحمه الله سنة ستين ومائتين بالبصرة، ، وفي تاريخ وفاته اختلاف منها أنه توفي سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة، وقيل: سنة أربع وعشرين، وقيل: سنة ثلاثين، توفي رحمه الله ببغداد ودفن بين الكرخ وباب البصرة.

كان أبو الحسن الأشعري سنّياًمن بيت سنّة ،ثم درس الاعتزال على أبي علي الجبَّائي وتبعه في الاعتزال، ثم تاب، و رَقِيَ كرسيّاً في المسجد الجامع بالبصرة يوم الجمعة،ونادى بأعلى صوته: من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فإني أعرفه بنفسي. ثم أعلن توبته من الاعتزال والرجوع إلى طريقة أهل السنة وجماعة . وكانت هي العقيدة التي دافع عنها حتى مات رحمه الله فقد كان تارة يبينها بطريقة التأويل الشرعي الصحيح ،وتارة بالتفويض الشرعي الصحيح ،فكلاهما مسلكان صحيحان لأهل السنة .

قال الفقيه أبو بكر الصَّيرَفي: "كانت المعتزلة قد رفعوا رءوسهم حتى نشأ الأشعري فحجزهم في أقماع السَّماسم". ونقل ذلك غيره.

وقدكتب عنه و عن فضله مؤرخ الشام وحافظها أبو القاسم علي بن الحسن بن عساكر في كتابه الذي ألفه في الدفاع عن الشيخ أبي الحسن الأشعري(تبيين كذب المفتري على الإمام أبي الحسن الأشعري) ،مع ذكر مناقبه ،ومؤلفاته ،وثناء الأئمة عليه. وقد أفرد قاضي القضاة الشيخ تاج الدين ابن الإمام قاضي القضاة شيخ الإسلام تقي الدين السبكي فصلاً خاصاً بذكر أكابر المنتسبين إلى الشيخ أبي الحسن الأشعري ،وذلك أثناء ترجمته في كتابه طبقات الشافعية.

قال التّاج السبكي في طبقاته أثناء ترجمة الأشعري ما نصه:

{ذِكْرُ بيان أن طريقة الشيخ- يعني الأشعري- هي التي عليها المعتبرون من علماء الاسلام، والمتميزون من المذاهب الأربعة في معرفة الحلال والحرام ،والقائمون بنصرة دين سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام: قدمنا في تضاعيف الكلام ما يدل على ذلك، وحكينا لك مقالة الشيخ العز ابن عبد السلام ومن سبقه إلى مثلها، وتلاه على قولها حيث ذكروا أن المالكية والشافعية والحنفية ،وفضلاء الحنابلة أشعريون ،هذه عبارة سلطان العلماء العز بن عبد السلام شيخ الشافعية، وابن الحاجب شيخ المالكية، والحصيري شيخ الحنفية، ومن كلام ابن عساكر حافظ هذه الأمة الثقة الثبت: هل من الفقهاء الحنفية والمالكية والشافعية إلا موافق للأشعري ومنتسب له و راض بحميد سعيه في دين الله، مثنٍ بكثرة العلم عليه غير شرذمة قليلة تضمر التشبيه، وتعادي كل موحد يعتقد التنزيه، أو تضاهي قول المعتزلة

---

[3] أنظر طبقات الشافعية الكبرى 360/3 ، وكتاب تبيين كذب المفتري .

في ذمه، وتباهي بإظهار جهلها بقدر سعة علمه؟؟!".}ا هــ.[4]

وقال الأستاذ أبو القاسم القشيري رحمه الله: {اتفق أصحاب الحديث أن أبا الحسن علي بن إسماعيل الأشعري كان إماماً من أئمة أصحاب الحديث،[5] ومذهبه مذهب أصحاب الحديث. تكلم في أصول الدين على طريقة أهل السنة ،و رد على المخالفين من أهل الزيغ والبـــدع، وكان على المعتزلة والمبتدعين من أهل القبلة والخارجين عن الملة سيفا مسلولاً، ومن طعن فيه أو قدح أو سبّه فقد بسط لسان السوء في جميع أهل السنة}اهـــ.

ووصفه المؤرخ ابن العماد الحنبلي بالإمام العلامة البحر الفهامة المتكلم صاحب المصنفات، ثم قـــال: { و ممّــا بيّض به وجوه أهل السنة النبوية ،و سوّد به رايات أهل الاعتزال والجهمية فأبان به وجه الحق الأبلج، و لصدور أهل الإيمان والعرفان أثلج، مناظرته مع شيخه الجبائي التي قصم فيها ظهر كل مبتدع مرائي } اهـــ.[6]

وذكره شمس الدين بن خلكان في الأعيان و وصفه بقوله: { صاحب الأصول، والقائم بنصرة مذهب أهل السنة، و إليه تنسب الطائفة الأشعرية، و شهرته تغني عن الإطالة في تعريفه }[7] اهـــ. وقال أبو بكر بن قاضي شهبة في طبقاته : {الشيخ أبو الحسن الأشعري البصري إمام المتكلمين في العقائد وناصر سنة سيد المرسلين، والذاب عن الدين} ا.هـــ.[8]

ويكفي في بيان فضل أبي الحسن الأشعري ثناء الحافظ البيهقي عليه ،وهو محدث زمانه وشيخ أهل السنة في وقته ،فقال كلاماً أورده التاج السبكي بطوله ،و فيه ذكر شرف الإمام الأشعري علماً ونسباً وحسن اعتقاد،وذكر فضله ،وكثرة أصحابه ، ثم قال البيهقي رحمه الله:{..إلى أن بلغت النوبة إلى شيخنا أبي الحسن الأشعري فلم يحدث في دين الله حَدَثًا و لم يأت فيه ببدعة، بل أخذ أقاويل الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الأئمة في أصول الدين فنصرها بزيادة شرح وتبيين } ا. هـــ.[9]

وقد صنف الشيخ العلامة ضياء الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن عمر بن يوسف بن عمر القرطبي رسالة سماها "زجر المفتري على أبي الحسن الأشعري " ردّ فيها على بعض المبتدعة الذين تجاسروا على الإمام الأشعري ،و لما وقف عليها الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد قرظها تقريظاً مفيداً.

أما مؤلفات الشيخ الأشعري رحمه الله فكثيرة قـــيل إنها بلغت ما يقارب الخمسين مصنفاً وقيل أكثر من ذلك. وكان رحمه الله يقصد إلى مواطن المعتزلة ليناظرهم، فقيل له: كيف تخالط أهل البدع، وتقصدهم بنفسك، وقد أمرت بهجرهم؟ فقال: هم أولو رئاسة منهم الوالي والقاضي، ولرئاستهم لا ينـــزلون إليّ، فإذا كانوا هم لا ينـــزلون إليّ، ولا أسير أنا إليهم، فكيف يظهر الحق ويعلمون أن لأهل السنة ناصرا بالحجة؟! .

---

[4] طبقات الشافعية 245/2

[5] مصطلح اصحاب الحديث يوازي مصطلح أهل السنة والجماعة.

[6] شذرات الذهب .

[7] وفيات ا لأعيان (3/ 284-286)

[8] طبقات الشافعية (1/ 113).

[9] تبيين كذب المفتري 103، والطبقات الكبرى للتاج السبكي 3/ 397

وكان لا يبتدئ مناظريه بالسؤال، بل يقف موقف المجيب المدافع؛ حضر الأستاذ أبو عبدالله بن خفيف مناظرة بين الأشعري وبعض مخالفيه، فقضى العجب من علمه وفصاحته، وقال له: لم لا تسأل أنت ابتداء؟ فقال الأشعري: أنا لا أكلم هؤلاء ابتداء، ولكن إذا خاضوا في ذكر ما لا يجوز في دين الله رددنا عليهم بحكم ما فرض الله سبحانه وتعالى علينا من الرد على مخالفي الحق.[10]

إذا علمنا ذلك فإن شبهة تنقّل الأشعري بين أطوار ثلاثة هي مجرد دعوى عارية عن الدليل للأسباب التالية :

1ـــ أن الإمام الأشعري كان على طريقة المعتزلة ،ثم هداه الله تعالى إلى طريقة أهل السنة والجماعة وجعله شوكة في نحور طوائف أهل البدعة من المعتزلة والمشبهة وغيرهم وهذا أمر لا خلاف فيه.

2ـــ أن طريقة أهل السنة والجماعة مبنية على مسلكين اجتهاديين :

الأول : مسلك التفويض : و عليه أكثر السلف .

الثاني : مسلك التأويل : و عليه أغلب الخلف، وقد ثبت أن السلف أوّلوا في مواضع يأتي بيانها إن شاء الله .

وعلى هذا فالأشعري دار في كتبه على المسلكين تارة بالتأويل وتارة بالتفويض، والأشاعرة إلى اليوم ـــ كقاعدة أغلبية ـــ مقرّون بأن التفويض أولى إذا اندحر التشبيه والتجسيم.

3ـــ أن الإمام الأشعري أشهر من نار على علم ، ولو كان لهذه الدعوى رصيد من الحق لاشتهرت بين المؤرخين والمترجمين لسيرته ، و لا يوجد من أصحاب الأشعري –و هم أقرب الناس إليه– من ذكر أن الإمام له مراحل ثلاث ، بل و لم يقله الماتردية ، ولا حتى أعداءه المعتزلة .

وأهل السير و التاريخ لم يذكروا هذه المراحل الثلاث أبداً في جميع من ترجم له ؛ انظرْ ترجمته في وفيات الأعيان لابن خلكان 3/ 284، وسير أعلام النبلاء للذهبي 89/15، ومقدمة ابن خلدون ص853، وكذلك جميع كتب السير التي ترجمت له: طبقات الشافعية للسبكي (2/ 245).تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (1 1/ 346-347). شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي (2/ 303- 305).مرءاة الجنان لليافعي (2/ 298). الجواهر المضية في طبقات الحنفية 21/ 544- ه 54)للقرشي الحنفي . طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (1/ 113).

4ـــ أن مبنى هذه الشبهة هو أن الإمام الأشعري على طريقة ابن كُلّاب ، قال ابن تيمية في "درء التعارض" (16/2) : ((وأبو الحسن الاشعري لما رجع عن مذهب المعتزلة سلك طريقة ابن كلاّب ، و مال إلى أهل السنة والحديث ، وانتسب إلى الإمام أحمد كما قد ذكر ذلك في كتبه كلها ؛ كالابانة والموجز والمقالات وغيرهه)) اهـــ .

وعلى هذا فليعلم الجميع أن الأشعري رأس من رؤوس أهل السنة بلا ريب ، وأما ابن كلاب رحمه الله فسوف يأتي الكلام عنه ، وهو من رؤوس أهل السنة والسلف الصالح رضي الله عنه أيضا.

ذكر أسماء بعض الأشاعرة والماتردية في بعض العلوم:

ملحق بأسماء **بعض** علماء الأشاعرة والماتريدية المشاركين في مختلف العلوم

علم القراءات:	السيرة النبوية:	الرقائق والزهد	الحديث:	علوم القرءان:	العقيدة:
ابن الجزري.	علي بن إبراهيم	القشيري.	الدارقطني.	الزركشي.	الأشعري.

[10] صفحة من حياة الإمام أبي الحسن الأشعري بقلم الإمام محمد الخضر حسين رحمه الله تعالى شيخ الجامع الأزهر.

أبو عمرو الداني.	الحلبي.	الغزالي.	الإسماعيلي.	الراغب	إمام الحرمين.
شهاب الدين	ابن سيد الناس.	الرفاعي.	ابن حجر	الأصفهاني.	الباقلاني
القسطلاني.	يوسف النبهاني.	الجنيد.	العسقلاني.	الماوردي.	المتولي.
الشاطبي.	القاضي عياض .	الشيخ زروق.	السيوطي.	الكافيجي.	الآمدي.
أبو شامة المقدسي.		أبو نعيم الأصبهاني	ابن عساكر.		العز بن عبدالسلام
	التاريخ:		الدمياطي.	الخلاف:	البيجوري.
الفقه:	السخاوي.	تعبيرالرؤيا:	البيهقي.	الدبوسي	
السبكي.	ابن خلدون.	النابلسي.	البرهان الحلبي.	الحنفي.	اللغة:
النووي.	ابن الأثير.	ابن المقري.	ابن الصلاح.	الشيرازي.	الزبيدي.
الرافعي.	الخطيب البغدادي.			القدوري.	أبو حيان
البلقيني.	سبط بن الجوزي.		أصول الفقه:	ابن المنذر.	الأندلسي.
زكرياالأنصاري.	الفاسي.		ابن الحاجب.		الفيومي.
الشبرملسي.	التاج السبكي.		القرافي.		الفيروزآبادي.
الفاكهي.	ابن قاضي شهبة.		البيضاوي.		ابن منظور.
الطرطوشي.			علاء الدين		
ابن عابدين.			البخاري.		
الشيخ نظام.			البزدوي.		
الغنيمي.			ابن الهمام.		

و نذكر طائفة من القادة والمجاهدين و أصحاب السياسة الأشعريين:

الوزير نظام الملك. القائد المجاهد نور الدين زنكي. فاتح القدس الناصر صلاح الدين الأيوبي.
فاتح القسطنطينية السلطان محمد الفاتح وهو ماتريدي . أغلب قادة الدولة الأيوبية والمملوكية والسلجوقية والموحدية و الدولة العثمانية (و هم أحناف ماتريدية) .

فتوى ابن رشد الجد في منتقص الأشاعرة

سئل الإمام ابن رشد الجد المالكي رحمه الله تعالى الملقب عند المالكية بشيخ المذهب عن رأي المالكية في السادة الأشاعرة و حكم من ينتقصهم كما في فتاواه (2 / 802) وهذا نص السؤال والجواب {السؤال:ما يقول الفقيه القاضي الأجل أبو الوليد وصل الله توفيقه و تسديده ، و نهج إلى كل صالحة طريقه ، في أبي الحسن الأشعري وأبي إسحاق الإسفراييني وأبي بكر الباقلاني[11] وأبي بكر بن فورك و أبي المعالي ، ونظرائهم ممن ينتحل علم الكلام ويتكلم

11:طاهر بن عبد الله بن طاهر بن عمر الإمام الجليل القاضي أبو الطيب الطبري أحد حملة المذهب ورفعائه
كان إماما جليلا بحرا غواصا متسع الدائرة عظيم العلم جليل القدر كبير المحل أخذ العراقيون عنه العلم وحملوا المذهب الشافعي ولد القاضي بآمل طبرستان سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة وسمع بنيسابور من شيخه أبي الحسن الماسرجسي وببغداد من الحافظ أبي الحسن الدارقطني وأسند عنه كثيرا في كتابه المنهاج روى عنه الخطيب البغدادي وأبو إسحاق الشيرازي وهو أخص تلامذته به ..... ذكره تلميذه الشيخ أبو إسحاق فقال فيما أخبرناه أبو عبد الله الحافظ بقراءتي عليه أخبرنا ابن القواس أخبرنا الكندي إجازة أخبرنا أبو الحسن

في أصول الديانات ويصنف للرد على أهل الأهواء ؟ أهم أئمة رشاد وهداية ،أم هم قادة حيرة وعماية ؟ وما تقول في قوم يسبونهم وينتقصونهم ، و يسبون كل من ينتمي إلى علم الأشعرية ، ويكفرونهم ويتبرأون منهم ، وينحرفون بالولاية عنهم ، ويعتقدون أنهم على ضلالة ، وخائضون في جهالة ، فماذا يقال لهم ويصنع بهم ويعتقد فيهم ؟ أيتركون على أهوائهم ، أم يكف عن غلوائهم ؟ ! .

فأجاب رحمه الله : تصفحت عصمنا الله وإياك سؤالك هذا ، ووقفت على الذين سميت من العلماء، **فهؤلاء أئمة خير وهدى ، و ممن يجب بهم الاقتداء ، لأنهم قاموا بنصر الشريعة ، وأبطلوا شبه أهل الزيغ والضلالة ، وأوضحوا المشكلات ، وبينوا ما يجب أن يدان به من المعتقدات ، فهم –بمعرفتهم بأصول الديانات–هم العلماء على الحقيقة ، لعلمهم بالله عزوجل وما يجب له وما يجوز عليه ، وما ينتفي عنه ، إذ لا تعلم الفروع إلا بعد معرفة الاصول ، فمن الواجب أن يعترف بفضائلهم ، ويقر لهم بسوابقهم ، فهم الذين عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله : (يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ، ينفون عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين) .فلايعتقد أنهم على ضلالة وجهالة إلا غبي جاهل ، أو مبتدع زائغ عن الحق مائل ، ولا يسبهم وينسب إليهم خلاف ما هم عليه إلا فاسق ، وقد قال الله عز وجل : (والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبينا) .**

فيجب أن يبصّر الجاهل منهم ، ويؤدب الفاسق ، ويستتاب المبتدع الزائغ عن الحق إذا كان مستسهلا ببدعة ، فإن تاب وإلا ضرب أبداً حتى يتوب ، كما فعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه بصبيغ المتهم في اعتقاده ، من ضربه إياه حتى قال: يا أمير المؤمنين إن كنت تريد دوائي فقد بلغت مني موضع الداء ، وإن كنت تريد قتلي فأجهز علي ، فخلى سبيله ، والله أسأل العصمة والتوفيق برحمته .

قاله : محمد بن رشد .} اهـــ

المقدمة الثانية : التحريف في كتاب الإبانة

بن عبد السلام أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي قال ومنهم شيخنا وأستاذنا أبو الطيب توفي عن مائة وسنتين لم يختل عقله ولا تغير فهمه يفتي مع الفقهاء ويستدرك عليهم الخطأ ويقضي ويشهد ويحضر المواكب إلى أن مات .... وحضر مجلس الشيخ أبي حامد و لم أر فيمن رأيت أكمل اجتهادا وأسد تحقيقا وأجود نظرا منه شرح المزني وصنف في الخلاف والمذهب والأصول والجدل كتبا كثيرة ليس لأحد مثلها .... وقال الخطيب: كان أبو الطيب ورعا عارفا بالأصول والفروع محققا حسن الخلق صحيح المذهب وذكره أبو عاصم في آخر الطبقة السادسة وهو آخر مذكور في كتابه وقال فيه فاتحة هذه الطبقة شيخ العراق أبو الطيب طاهر بن عبد الله الطبري وقال أبو الحسن محمد بن محمد بن عبد الله القاضي ابتدأ القاضي أبو الطيب يدرس الفقه ويتعلم العلم وله أربع عشرة سنة فلم يخل به يوما واحدا إلى أن مات وعن أبي محمد الباقي أبو الطيب الطبري أفقه من أبي حامد الإسفراييني وقال القاضي أبو بكر الشامي قلت للقاضي أبي الطيب شيخنا وقد عمر لقد متعت بجوارحك فقال لم لا وما عصيت الله بواحدة منها قط وعن القاضي أبي الطيب أنه رأى النبي المنام وقال له يا فقيه وأنه كان يفرح بذلك ويقول سماني رسول الله.أ ـــ هـــ مختصراً من طبقات الشافعية .

من تأمل كتاب الإبانة المتداول حالياً علم خطأ من يحكم على عقيدة الإمام الأشعري من خلال هذا الكتاب بوضعه الراهن ، لأن الكتاب عثت فيه أيدي التحريف و التغيير حتى لا يثق به إلا مغفل. فمن قارن بين طبعات الإبانة المتداولة ، وبين نسخة الإبانة التي أعتنت بتحقيقها الدكتورة فوقية و التي طبعت في مصر و هي أقدمهن طباعة وأكثرهن تحرياً للدقة ،بسبب اعتمادها على أربع نسخ مخطوطة ، مع العلم أن نسخة الدكتورة فوقية لم تسلم هي الأخرى من السقط والتغيير، ولكنها نقلت كل ما وجدته في المخطوطات الأربعة التي حصلت عليها، و لم تنزع منها شيئا.

ثم بالمقارنة مع الجزء الذي نقله الحافظ ابن عساكر من الإبانة في كتابه "تبيين كذب المفتري فيما نسبه إلى الإمام أبي الحسن الأشعري" فسيجد الاختلاف الكبير و البون الشاسع بين هذه المطبوعات وبين ما نقله الحافظ ابن عساكر، وكذلك يجد اختلافاً كبيراً فيما بين هذه النسخ المطبوعة بعضها مع بعض، وسيعلم يقيناً مدى تحريف بعض النساخ لهذا الكتاب. ومما يقدح بصحة ما في الكتاب بوضعه المطبوع حالياً أن متقدمي الأشاعرة فضلاً عن متأخريهم لم ينقلوا ما ورد في هذا الكتاب عن إمامهم، بل نقلوا خلاف ذلك، وكتاب "مقالات الأشعري" لابن فورك خير شاهد على هذا.

وأهل السنة يطالبون هؤلاء اللذين ينسبون هذه النسخ المطبوعة التي لم تثبت عن الإمام الأشعري بصورتها الحالية ،أن يأتوا بسند صحيح متصل لهذا الكتاب بصورته الحالية. وهم يعلمون أن هذا العلم يروى بالسند، وأن الإسناد من خصائص هذه الأمة، وهيهات أن يقدروا.

مع العلم أن أهل السنة لا ينكرون أن الإمام أبا الحسن الأشعري قد ألف كتاباً أسماه الإبانة، ولكنهم ينكرون صورته المطبوعة حالياً لأسباب كثيرة منها بعض ما ذكر آنفاً.[12]

المقدمة الثالثة :توبة تقي الدين بن تيمية

يتكيء كثير من الكتاب في تقريرهم للعقيدة على أقوال ومؤلفات تنسب إلى تقي الدين أحمد بن بن تيمية رحمه الله جهلاً من بعضهم بأن هذا الإمام قد تاب من تلك العقائد ورجع إلى الحق. وأنقل هنا تاريخ ونص التوبة من (الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة) من تصنيف أمير المؤمنين في الحديث الإمام الحافظ أبي الفضل ابن حجر العسقلاني ط1414هـــ دار الجيل ــ ج1 / ص148 وقبل ذلك كلام الإمام النويري وهو معاصر للإمام ابن تيمية و ممن شهد توبته، وقال أنه شهد على توبته جماعة من العدول .

و قال ابن حجر: وشهد عليه بذلك جمع جم من العلماء وغيرهم. وإليكم نقل ذلك بحروفه موثقاً.

قال الإمام النويري : {وأما تقي الدين فإنه استمر في الجب بقلعة الجبل إلى أن وصل الأمير حسام الدين مهنا إلى الأبواب السلطانية في شهر ربيع الأول سنة سبع وسبعمائة ، فسأل السلطان في أمره وشفع فيه ، فأمر بإخراجه ، فأخرج في يوم الجمعة الثالث والعشرين من الشهر وأحضر إلى دار النيابة بقلعة الجبل ، وحصل بحث مع الفقهاء ، ثم

[12] للتوسع في ذلك يراجع رسالة الشيخ وهبه غاوجي (نظرة علمية في نسبة كتاب الإبانة جميعه إلى الإمام أبي الحسن). وكتاب أهل السنة الأشاعرة ص58 ففيه تحقيق نفيس.ومذاهب الإسلاميين لعبدرحمن بدوي 517/1

اجتمع جماعة من أعيان العلماء و لم تحضره القضاة ، وذلك لمرض قاضي القضاة زين الدين المالكي ، و لم يحضر غيره من القضاة ، وحصل البحث ، وكتب خطه ووقع الإشهاد عليه وكتب بصورة المجلس مكتوب مضمونه :

بسم الله الرحمن الرحيم

شهد من يضع خطه آخره أنه لما عقد مجلس لتقي الدين أحمد بن تيمية الحراني الحنبلي بحضرة المقر الأشرف العالي المولوي الأميري العادلي السيفي ملك الأمراء سلار الملكي الناصري نائب السلطنة المعظمة أسبغ الله ظله ، وحضر فيه جماعة من السادة العلماء الفضلاء أهل الفتيا بالديار المصرية بسبب ما نقل عنه و وجد بخطه الذي عرف به قبل ذلك من الأمور المتعلقة باعتقاده أن الله تعالى يتكلم بصوت ، وأن الاستواء على حقيقته ، و غير ذلك مما هو مخالف لأهل الحق ، انتهى المجلس بعد أن جرت فيه مباحث معه ليرجع عن اعتقاده في ذلك ، إلى أن قال بحضرة شهود : (أنا أشعري) و رفع كتاب الأشعرية على رأسه ، وأشهد عليه بما كتب خطاً وصورته :

((الحمد لله ، الذي أعتقده أن القرآن معنى قائم بذات الله ، وهو صفة من صفات ذاته القديمة الأزلية ، وهو غير مخلوق ، وليس بحرف ولا صوت .

والذي أعتقده من قوله : (الرحمن على العرش استوى) أنه على ما قاله الجماعة ، وأنه ليس على حقيقته وظاهره ،[13] ولا أعلم كنه المراد منه ، بل لا يعلم ذلك إلا الله تعالى)) .

والقول في النزول كالقول في الاستواء ، أقول فيه ما أقول فيه ، و لا أعلم كنه المراد به بل لا يعلم ذلك إلا الله تعالى ، وليس على حقيقته وظاهره . كتبه أحمد بن تيمية ، وذلك في يوم الأحد خامس عشرين شهر ربيع الأول سنة سبع وسبعمائة))

هذا صورة ما كتبه بخطه ، و أُشهد عليه أيضا أنه تاب إلى الله تعالى مما ينافي هذا الاعتقاد في المسائل الأربع المذكورة بخطه ، وتلفظ بالشهادتين المعظمتين ، وأشهد عليه بالطواعية والاختيار في ذلك كله بقلعة الجبل المحروسة من الديار المصرية حرسها الله تعالى بتاريخ يوم الأحد الخامس والعشرين من شهر ربيع الأول سنة سبع وسبعمائة ، وشهد عليه في هذا المحضر جماعة من الأعيان المقنتين والعدول ، وأفرج عنه واستقر بالقاهرة .. } اهـ كلام الإمام النويري [14]

وقال الإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني: {و لم يزل ابن تيمية في الجب إلى أن شفع فيه مهنا أمير آل فضل، فأخرج في ربيع الأول في الثالث وعشرين منه وأحضر إلى القلعة و وقع البحث مع بعض الفقهاء فكتب عليه محضر بأنه قال أنا أشعري. ثم وجد بخطه ما نصه: ((الذي أعتقد أن القرءان معنى قائم بذات الله وهو صفة من صفات ذاته القديمة وهو غير مخلوق وليس بحرف ولا صوت، وأن قوله: « الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى » ليس على ظاهره ولا أعلم كنه المراد به بل لا يعلمه إلا الله، والقول في النزول كالقول في الاستواء. وكتبه أحمد بن تيمية. ثم أشهدوا عليه أنه تاب

---

[13] وظاهره على الحقيقة في اللغة هو الاستقرار والجلوس على العرش سبحانه و تعالى عن ذلك.

[14] من كتاب (نهاية الأرب في فنون الأدب) للإمام القاضي شهاب الدين النويري المعاين للحادثة والمتوفى سنة 733هـ ط دار الكتب المصرية 1998م ج32 / ص115 ــ 116

مما ينافي ذلك مختارا وذلك في خامس عشري ربيع الأول سنة 707، وشهد عليه بذلك جمع جم من العلماء وغيرهم وسكن الحال وأفرج عنه وسكن القاهرة.}ا هــ [15]

وذكر توبته غيرهما من العلماء والمؤرخين: كابن المعلم (725) في <نجم المهتدي ورجم المعتدي> (نسخة باريس رقم 638) - ذكر الدواداي (بعد 736) في < كنــز الدرر - الجامع : 239>
- ذكر ابن تغري بردي الحنفي(874) في <المنهل الصافي -الجامع 576> نحو ماذكر ابن حجر . وقد نقل منها
- أيضا- في (النجوم الزاهرة -الجامع 580)

موقف الناس من توبته:

اتفق العلماء جميعاً على صدق حادثة توبة الإمام ابن تيمية رحمه الله . ثم اختلفوا بعد ذلك في كون الإمام صادقا في توبته أم أراد مجرد التورية والتقية على قولين:

الأول : مصدق له في توبته مترحم عليه لأن الأصل حمل المسلمين على أحسن المحامل وعلى هذا كثير من العلماء و لذا دافعوا عنه وردّوا على من بدّعه .

الثاني: غير مثبت لتوبته ثم هؤلاء على طرفين:

الطرف الأول:مبدّع له مخرج له عن عقيدة أهل الحق بحكم ماهو مكتوب عنه في كتبه أو منقول عن بعض المتعصبين له و بحكم كونه مات سجيناً .

فقولهم أنه مات في السجن جوابه: أن سجنه الأخير كان في مسائل فقهية فرعية كمسألة تحريم السفر لزيارة النبي صلى الله عليه وسلم ونحوها وليس في المسائل العقدية التي قد تاب منها.

وأما أنه لا يوجد ما يؤيد صدق توبته من أقوال في كتبه أو تراجعات عن ما كان عليه فجوابه :

1ــ أن ابن تيمية لم تطبع جميع كتبه حتى نأيد الأخذ بهذه القرينة .

2ــ والأمر الآخر أن كتبه المطبوعة فيها السقط الكثير بعشرات الصفحات كما في الفتاوي فضلاً عن الأسطر و الكلمات .فمن الخطأ أن نجزم بعدم تراجعه أو حتى نرجح عدم رجوعه إلى الحق.

---

[15] الدرر الكامنة (144/1).

3ــ أن ما يتداول من كتب و فتاوي تنسب إليه جمعت بعد وفاته بخمسة قرون أو أكثر ، وهي مجرد مسودات لم يهذبها و لم يبيضها .

الطرف الثاني: مبجّل لهذه العقيدة التي تاب عنها بزعم أن توبته تورية و تقية ليس إلا .

وهذا ما عليه كثير من أتباعه اليوم ، وهذا لايصح نسبته لابن تيمية رحمه الله تعالى لأنه إن كان يعتقد

أنه على الحق فكيف لم يصمد و هو رأس و قدوة في هذا الحق بزعمهم كما صبر الإمام أحمد بن حنبل وغيره من العلماء؟؟.

والحق الذي يترجح أنه قد تاب منها ولله الحمد ، وغرضي من ذلك أن كل رد في هذه الرسالة فأنا لا أقصد به الإمام ابن تيمية بذاته و إنما أقصد ما يذكر في كتبه سواء كان هو قائله قبل توبته أو أنه كلام مختلق عليه رحمه الله تعالى .فالرد إذن هو على القول لا على القائل كائنا من كان.

وأخيراً نبدأ في الرد على ماحوته الرسالة ونسأل الله التوفيق والإخلاص

قال الأخ الكاتب وفقه الله لرضاه : ((إذا كان من حق أي قارئ مسلم أن يهتم بالموضوع وأن يدلي برأيه إن كان لديه جديد ، فكيف بمن هو متخصص في هذا الموضوع مثلي ؟
فالأشاعرة جزء من موضوع رسالتي للدكتوراه " ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي " إذ هي أكبر فرق المرجئة الغلاة ، ولن أستعجل نتائج بحثي ، ولكن حسبي أن أدّعي دعوى وأطرحها للمناقشة وأقبل بكل سرور من يدلي بوجهة نظره فيها)).

ذكر الكاتب هداه الله ثلاثة أمور :

الأمرالأول: دعوى أن كل قارىء مسلم من حقه أن يدلي برأيه في مباحث علم الاعتقاد ،بل وفي مسائل الردود على الفرق .وقد خطا فيما قاله أول خطوة نحو الخطأ .فإذا كانت أمور الآداب المستحبة في الشريعة لا يجوز أن يتكلم فيها المرء بغير علم ، فكيف بالعقيدة ؟! وأي رأي للعامة أو أنصاف المتعلمين ليقوله في نقد الفرق و الطوائف ؟!!، والعبرة ليس بكون رأيه جديداً ،بل بكونه عالما قادرا على أن يخوض في مثل هذه المسائل . ألست القائل في رسالتك هذه ((ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي) في شرحك للتيار العصراني-العلماني- قلتَ بالحرف الواحد : "وهي زندقة عصرية يروّج لها عصابة من الكتّاب يتسترون بالتجديد، و فتح باب الاجتهاد لمن هب ودب ..)) إذن كيف تنهى عن خلق و تأتي مثله؟!.

الثاني: أنه متخصص في نقد الأشاعرة لأنه عالم بمذهبهم لكونه كان جزء من رسالته [16] وسنرى هل دعوى علمه بمذهبهم صحيحة أم لا ؟.

---

[16] ردّ على رسالته هذه الدكتور ياسر برهامي بـــ "قراءة نقدية لكتاب ظاهرة الإرجاء" . ط الدار السلفية للنشر.

الثالث: أن السادة الأشاعرة أكبر فرق المرجئة و ليست أي مرجئة بل غلاة المرجئة!! . وهذا باطل قطعاً وليس معتقد علماء الأمة مسرحاً للاجتهاد من كل طالب يريد أن يأخذ منصباً أكاديمياً أو شهادة أو غيرها .فليس الأمر بالتجارب حتى يقول قائلهم : نجرب نقد جمهور علماء الأمة فإن أصبنا و إلا فهو مجرد نقاش و وجهات نظر !!!. لأن عقائد علماء الأمة يا بني الإسلام ليست مسرحاً لذلك .

قال الحوالي: إنها مسألة مذهب بدعي له وجوده الواقعي الضخم في الفكر الإسلامي حيث تمتلئ به كثير من كتب التفسير وشروح الحديث وكتب اللغة والبلاغة والأصول ، فضلاً عن كتب العقائد والفكر ، كما أن له جامعاته الكبرى ومعاهده المنتشرة في أكثر بلاد الإسلام من الفلبين إلى السنغال.

هنا ذكر الكاتب أموراً صحيحة وأموراً باطلة :

1ـــ فقوله (أنه مذهب بدعي)فهذا باطل بلا ريب بل هو مذهب عقدي سني تميز بتفصيل المسائل التي أجمل فيها من سبقهم من علماء أهل السنة والجماعة ،فحفظ الله به عقيدة أهل الحق والسنة في مشرق الأرض ومغربها.

وإذا قال قائل أن علماء أهل السنة والجماعة من الأشعرية مبتدعة في العقيدة فهذا يعني إما بدعة مفسقة ،أو مكفرة ، و لا خيار غير ذلك عند العلماء. فإن زاد فوق ذلك أن الماتردية مبتدعة ضلال ،والمفوضة من الحنابلة وغيرهم ضّلال ،فكيف نثق بدين حمله إلينا الفسقة على أقل أحوال الحكم ؟! فإن قال أحدهم: أنا لا أفسقهم بأعيانهم أو لا أكفرهم بأعيانهم و إنما أنا أتكلم عن الفعل فقط . فكلامه باطل لسببين :

السبب الأول : أن الكلام عن جماعة معينة معلومة و هم السادة الأشاعرة .

الثاني: أن الحكم على الفعل بكونه كفرا مع عدم تكفير صاحبه أو أنه فسق مع عدم تفسيق صاحبه يتبعه أحكام شرعية مبسوطة في كتب الفقهاء فكيف و قد أخرجهم من الفرقة الناجية أصلا ؟!،وسيأتي بيان الفرقة الناجية إن شاء الله تعالى .

2ـــ قول الحوالي : ((أن معتقد الأشاعرة له وجوده الواقعي الضخم في الفكر الإسلامي حيث تمتلئ به كثير من كتب التفسير وشروح الحديث ..... ومعاهده المنتشرة في أكثر بلاد الإسلام من الفلبين إلى السنغال .))

أقول : هذا صحيح ولله الحمد ،وليس مشكلة خطيرة ، بل هو امتداد طبيعي لحفظ دين الله .

تنبيه : أعجب للدكتور عبد الله الموجان في رده على الشيخ عمر كامل ،حيث أسقط الموجان هداه الله هذه الجملة التي استشهد بها كامل على أن الحوالي مقرّ بأن الأشاعرة هم جمهور الأمة ، فقال الموجان [إن الكتور سفر يذكر عن المذهب الأشعري أنه (مذهب بدعي له وجوده الواقعي الضخم في الفكر الإسلامي) و لم يذكر جملة جمهور الأمة من قريب ، ولا من بعيد].اهـــ ،وفعله هذا مغالطة مكشوفة لأنه بتر لكلام الحوالي الذي كان هو موطن الشاهد في كلام الشيخ عمر كامل ، فدقق النظر في قول الحوالي :(حيث *تمتلئ به كثير* من كتب التفسير وشروح الحديث وكتب اللغة والبلاغة والأصول ، فضلاً عن كتب العقائد والفكر ، كما أن له جامعاته الكبرى ومعاهده المنتشرة *في أكثر بلاد الإسلام* من الفلبين إلى السنغال.) فهل بعد هذا من وضوح في كونهم جمهور الأمة ؟!!.

قال الكاتب : [فات فضيلته(الفوزان) أن يرد على الصابوني فيما عزاه إلى شيخ الإسلام – مكرراً إياه – من قوله :" الأشعرية أنصار أصول الدين والعلماء أنصار فروع الدين".
ولعل الشيخ وثق في نقل الصابوني مع أن الصابوني – على ما أرجح – أول من يعلم بطلان نسبة هذا الكلام لشيخ الإسلام ابن تيمية ، و لغة العبارة نفسها ليست من أسلوب شيخ الإسلام ، والغريب حقاً أنه أعاد هذا العزو في بيانه الأخير بالعدد 646 مؤكداً إصراره على التمويه والتدليس.
وأنا أطلب من كل قارئ أن يراجع النص في ج 4 ص 16 من مجموع الفتاوى ليجد بنفسه قبل تلك العبارة نفسها كلمة " قال " فالكلام محكي منقول وقائله هو المذكور في أول الكلام – آخر سطر من ص 15 – حيث يقول شيخ الإسلام :
" وكذلك رأيت في فتاوي الفقيه أبي محمد هو والد إمام الحرمين- أبو المعالي الجويني (وهو أشعري) رجع آخر عمره إلى عقيدة السلف- فتوى طويلة ... قال فيها : " إلى أن يقول :
"قال : وأما لعن العلماء الأئمة الأشعرية فمن لعنهم عزر وعادت اللعنة عليه ... والعلماء أنصار فروع الدين والأشعرية أنصار أصول الدين].

الجواب: راجعت العبارة كما طلب الكاتب ، ولو دقق الكاتب النظر في الجملة لوجدها كانت بهذا النص: {وكذلك رأيت في فتاوي الفقيه أبي محمد فتوى طويلة **فيها أشياء حسنة** قد سئل عنها بها مسائل متعددة قال فيها :إلخ...}. فالجملة التي تُركت هي قول ابن تيمية :(فيها أشياء حسنة)،وهي جملة مهمة تبين سبب اعتماد الشيخ الصابوني على كلام ابن تيمية، و قد بتر الأخ الكاتب هذه الجملة بتراً لا يستساغ أبداً ،فنسأل الله الإنصاف فيما نقول.

قال الكاتب : ("براءة الأشعريين " نقل لنا بعض أهل العلم أن صاحبه هو عبد الفتاح أبو غدة)

وهذا باطل و من أخبرك لم يصدقك الخبر ، فصاحب الكتاب هو المحدث أبو حامد بن مرزوق الشيخ محمد عربي التبان المالكي المدرس بمدرسة الفلاح في مكة المكرمة ت سنة 1395هـ .

قال الكاتب غفر الله له : ((إن مصطلح أهل السنة والجماعة يطلق ويراد به معنيان :
أ- المعنى الأعم : وهو ما يقابل الشيعة فيقال : المنتسبون للإسلام قسمان : أهل السنة والشيعة ، مثلما عنون شيخ الإسلام كتابه في الرد على الرافضي " منهاج السنة " وفيه بين هذين المعنيين وصرح أن ما ذهبت إليه الطوائف المبتدعة من أهل السنة بالمعنى الأخص .
وهذا المعنى يدخل فيه كل من سوى الشيعة كالأشاعرة ، لاسيما والأشاعرة فيما يتعلق بموضوع الصحابة والخلفاء متفقون مع أهل السنة وهي نقطة الاتفاق المنهجية الوحيدة كما سيأتي)) .
ب- المعنى الأخص : وهو ما يقابل المبتدعة وأهل الأهواء ، وهو الأكثر استعمالاً في كتب الجرح والتعديل ، فإذا قالوا عن الرجل أنه صاحب سنة أو كان سنياً أو من أهل السنة ونحوها ، فالمراد أنه ليس من إحدى الطوائف البدعية كالخوارج والمعتزلة والشيعة ، وليس صاحب كلام وهوى.

وهذا المعنى لا يدخل فيه الأشاعرة أبداً ، بل هم خارجون عنه وقد نص الإمام أحمد وابن المديني على أن من خاض في شيء من علم الكلام لا يعتبر من أهل السنة وإن أصاب بكلامه السنة حتى يدع الجدل ويسلم للنصوص ، فلم يشترطوا موافقة السنة فحسب ، بل التلقي والاستمداد منها ، فمن تلقى من السنة فهو من أهلها وإن أخطأ ، ومن تلقى من غيرها فقد أخطأ وإن وافقها في النتيجة)) .

الجواب : طبعاً اجتهد الأخ الحوالي هداه الله فقاس الأشاعرة على أهل الكلام البدعي كالخوارج والجهمية ،ثم اجتهد أخرى فحكم بكونهم مبتدعة .!!

وأقول :أولاً قياسه باطل ،فليس الأشعرية كالمعتزلة ،ولا كالرافضة ،ولا الخوارج ،بل أئمة الجرح والتعديل من أهل السنة والجماعة كانوا أشاعرة .منهم الشيخ كمال الدين بن قاضي شهبة ،والحافظ النووي ،والحافظ ابن حجر ،وابن الصلاح ، والخطيب ، والسيوطي وغيرهم كثير .

فإذا كان هؤلاء الأشاعرة الذين نقلوا الأحاديث ،و بينوا العلم وهم أئمة في علم الحديث والرجال صاروا في زماننا مبتدعة ضلالا وخارجين عن السنة والجماعة ومتوعدين بالهلاك والنار فهي والله مصيبة ما بعدها مصيبة .

ثانياً : ما قلته يا أخي هو مجرد دعوى ،لأن قول القائل أن فلاناً صاحب سنة فمعناه أنه على السنة أي الطريقة التي كان عليها الرسول صلى الله عليه وسلم و أصحابه ، هذا معنى أنه من أهل السنة .

و إلا فعلى كلامك يقال أن الإمام مالك ،وأحمد ، والشافعي هم أصحاب سنة بمعنى أنهم ليسوا من الجهمية والمشبهة ،وليس المعنى أنهم مثل الصحابة لأن الصحابة لم يخوضوا في تفاصيل العقائد،إنما كان همهم الجهاد والعمل، لا الردود والجدل .!.

فنعم لقد خاض الشافعي ،وأحمد، وأبو حنيفة ،ومالك ،وغيرهم فيما لم يخض فيه الصحابة ،وكان خوضهم واجبا متحتما لرد شبه الزائغين ، وكذا خاض غيرهم من أئمة أهل السنة كابن كلاب والأشعري ، والبخاري ،وهو واجب بلا ريب لدحض الشبه و ردها . وكان الأشعري رحمه الله يقصد إلى مواطن المعتزلة ليناظرهم، فقيل له: كيف تخالط أهل البدع، وتقصدهم بنفسك، وقد أمرت بهجرهم؟ فقال: هم أولو رئاسة: منهم الوالي والقاضي، ولرئاستهم لا ينـــزلون إليّ، فإذا كانوا هم لا ينـــزلون إليّ، ولا أسير أنا إليهم، فكيف يظهر الحق، ويعلمون أن لأهل السنة ناصراً بالحجة!.

ثالثاً: قولكم ((وقد نص الإمام أحمد وابن المديني على أن من خاض في شيء من علم الكلام لا يعتبر من أهل السنة وإن أصاب بكلامه السنة حتى يدع الجدل ويسلم للنصوص ، فلم يشترطوا موافقة السنة فحسب ، بل التلقي والاستمداد منها ، فمن تلقى من السنة فهو من أهلها وإن أخطأ ، ومن تلقى من غيرها فقد أخطأ وإن وافقها في النتيجة))

نحتاج أولاً لنعلم ما هوعلم الكلام الذي نهوا عنه ؟ وما سبب نهيهم عن ذلك ؟ وهل ينطبق ذلك على الأشاعرة وغيرهم من أهل السنة أم لا ؟

اولاً : ماهو الكلام الذي نهوا عنه ؟ قال ابن تيمية: " إن الكلام المذموم الذي ذمه السلف هو الكلام الباطل المخالف لصحيح المنقول وصريح المعقول."اهـــ [17]

---

[17] مجموع الفتاوي 212/12

ونعرف ذلك بأمور منها :

الأمر الأول : بالنقل عنهم : فقد ورد عن السلف كلام مجمل ،وكلام مفصل في النهي عن الكلام ، والمجمل لا يمكن أن نصل منه إلى جواب واضح ،ولا يصح الأخذ بالمجمل مع وجود المبين له ،فإليكم المبين : قال مصعب الزبيري : بلغني عن مالك بن أنس أنه كان يقول : الكلام في الدين كله أكرهه و لم يزل أهل بلدنا يكرهونه :القدر ، ورأي جهم ،وكل ما أشبهه ولا أحب الكلام إلا فيما كان تحته عمل ،فأما الكلام في الله فالسكوت عنه. ا هـــ[18].

إذن الكلام المنهي عنه هو الكلام الباطل لا الكلام الحق بقرائن منها :

1ــ أن السلف قد تكلموا في القدر للرد على المعتزلة ،وتكلموا في الله للرد على الحلولية والجهمية.

2ــ أن الإمام مالك حدد نوع الكلام المراد ذمه بضرب الأمثلة فقال : (القدر) أي ـــ رأي القدرية في مسألة القدر ـــ (و رأي جهم) وهو إنكار الصفات والقول بفناء الجنة و النار، والقول بالحلول وغيرها من طوامّه.

3ــ أن المنكر هو الكلام فيما ليس تحته عمل، وإنما هو مجرد خصومة بالباطل ،أما ماكان تحته عمل أو كان لإظهار الحق فلا ينكره عاقل ،ولذا فعله كثير من السلف ،و أي عمل أعظم من تصحيح الاعتقاد؟؟ .

4ــ أن المذموم هو كلام يعارض الكتاب والسنة الصحيحة ،أما ما يؤيدها ،وينصرها، ويبّينها فهو مطلوب وهذا ما فعله الأشاعرة وغيرهم من أهل السنة.

الأمر الثاني : من الدلائل الدالة على معنى الكلام المنهي عنه:معرفة أصحاب الكلام اللذين كان يذمهم علماء السلف، وهذا يعرف بواقع عصرهم ، والبدعة المنتشرة في عصرهم هي نفي الصفات ورأي القدرية الخبيث :

– ففي عصر مالك ،والنعمان بن ثابت ومن قبلهما ـــ رحمهم الله ـــ ابتدع رأي القدرية ،والجهمية ،والمشبهة ونحوهم كما سبق.

– وفي عصر الشافعي، و أحمد ،و ابن كُلاب ،وأبي الحسن الأشعري ،انتشر رأي المعتزلة .

إذن كانوا يقصدون ذم شيء رأوه وعرفوه في عصرهم ، وهو كلام أهل الكلام في عصرهم، من المعتزلة والجهمية والمشبهة ، أما أهل السنة من الأشاعرة فليسوا مثل هؤلاء أبداً لأن كلامهم لم يكن إلا كلاماً محموداً ،فالكلام وسيلة إلى أمر مقصود، فإن كانت النتيجة موافقة للحق فهو حق ،وإن كانت باطلة فهو باطل ،مادام أن الكلام المتكلم به في حد ذاته لم يأتي نهي عنه في كتاب ولا سنة فالأصل أن الكلام مباح ،وكلام المعتزلة في أغلبه بمقدماته ونتائجه باطل، فضلاً عن الجهمية والمشبهة.

فوائد: الفائدة الأولى : إن أساليب وطرق تقرير الحق غير توقيفية ،بل تارة تكون بالنقل إن وجد النقل ،وتارة تكون بالعقل .قال الإمام الحافظ ابن عساكر في كتابه الذي ألّفه في الدفاع عن الإمام الأشعري وبيّن فيه كذب من افترى عليه ما نصّه :"والكلامُ المذموم كلام أصحاب الأهوية وما يزخرفه أرباب البدع المُرْدية، فأما الكلام الموافق للكتاب والسنّة الموضح لحقائق الأصول عند ظهور الفتنة فهو محمود عند العلماء، ومن يعلمه، وقد كان الشافعي يحسنه ويفهمه، وقد تكلم مع غير واحد ممن ابتدع، وأقام الحجة عليه حتى انقطع". اهـــ.[19]

---

[18] اللالكائي 1/ 143 ، وجامع العلم لابن عبدالبر 309

[19] تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام الأشعري.

الرسالة الثانية :في تدعيم ثوابت الصحوة الإسلامية من هم أهل السنة؟ تأليف :غيث بن عبدالله الغالبي

ـ مصر - الأحد 29/ رمضان المعظم /1427 هـ 22/ 10/ 2006 م

الفائدة الثانية : ــــ إن الأئمة قد خاضوا في علم الكلام المحمود ،فقد اشتغل عدد من علماء السلف بعلم الكلام إلى جانب اشتغالهم بالقرآن والسنة، و ذلك لحاجة الرد على أهل البدع والدفاع عن عقيدة أهل الحق وحراستها من تشويشات وشُبَه هؤلاء المنحرفين.

وقد ذكر الأستاذ عبد القاهر البغدادي أن أول متكلمي أهل السنّة من الفقهاء أبي حنيفة ،والشافعي، ألفّ فيه الفقه الأكبر ،والرسالة في نصرة أهل السنّة إلى مقاتل ابن سليمان وكان مجسّمًا، وقد ناظر فرقة الخوارج ،والروافض ،والقدرية ،والدهرية ،وكان من دعاتهم بالبصرة، فسافر إليها نيفًا وعشرين مرةً، وفضّهم بالأدلة الباهرة، وبلغ في الكلام ـــ(أي علم التوحيد)ـــ إلى أنه كان المشار

إليه بين الأنام، واقتدى به تلامذته الأعلام.

وقال الفقيه الأصولي الزركشي: في تشنيف المسامع: "إن الأئمة انتدبوا للرد على أهل البدع والضلال، وقد صنّف الشافعيّ كتاب (القياس) ردّ فيه على من قال بقدم العالم من الملحدين، وكتاب (الرد على البراهمة) وغير ذلك، وصنف أبو حنيفة كتاب (الفقه الأكبر) وكتاب (العالم والمتعلّم) رد فيه على المخالفين، وكذلك مالك سئل عن مسائل هذا العلم فأجاب عنها بالطريق القويم، وكذلك الإمام أحمد".أ.هــ.

رد الإمام الأشعري على من بدّع الخائضين في علم الكلام المحمود:

أسوق كلامه باختصار .قال الإمام الأشعري: الجواب من ثلاثة أوجه:

أحدها: قلب السؤال عليهم بأن يقال: النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يقل أيضاً: (أن من بحث عن ذلك وتكلم فيه فاجعلوه مبتدعاً ضالاً) فقد لزمكم أن تكونوا مبتدعة ضُلالاً إذ تكلمتم في شيء لم يتكلم فيه النبي (صلى الله وآله وسلم) وضللتم من لم يضلله النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)!!0

الجواب الثاني: أن يقال لهم: أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يجهل شيئاً مما ذكرتموه من الكلام في الجسم والعرض ..وإن لم يتكلم في كل واحد من ذلك (كلاماً) معيناً، وكذلك الفقهاء والعلماء من الصحابة،غير أن هذه الأشياء التي ذكرتموها معّينة أصولها، موجودة في القرآن والسنة جملة غير مفصلة:

1ــ أما الحركة والسكون والكلام فيهما: فأصلهما موجود في القرآن ،وهما يدلان على التوحيد .وكذلك الاجتماع والافتراق، قال الله تعالى مخبراً عن خليله إبراهيم صلوات الله عليه وسلامه في قصة أفول الكواكب والشمس والقمر وتحركهما من مكان إلى مكان ما دل على أن ربه عز وجل لا يجوز عليه شيء من ذلك0 وأن من جاز عليه الأفول والانتقال من مكان إلى مكان فليس بإله.

2ــ أما الكلام في أصول التوحيد فمأخوذ أيضاً من الكتاب، قال الله تعالى: (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا) وهذا الكلام موجز منبه على الحجة بأنه واحد لا شريك له0وكلام المتكلمين في الحجاج في التوحيد بالتمانع والتغالب ،فإنما مرجعه إلى هذه الآية وقوله عز وجل: (ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض) إلى قوله عز وجل: (أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم)

وكلام المتكلمين في الحجاج في توحيد الله إنما مرجعه إلى هذه الآيات التي ذكرناها0 وكذلك سائر الكلام في تفصيل فروع التوحيد إنما هو مأخوذ من القرآن.

3ــ وعلم نبيه –صلى الله عليه وآله وسلم- ولقنه الحجاج عليهم في إنكارهم البعث من وجهين على طائفتين منهم: طائفة أقرت بالخلق الأول وأنكرت الثاني، وطائفة جحدت ذلك بقدم العالم:

فاحتج على المقر منهما بالخلق الأول بقوله : (قل يحييها الذي أنشأها أول مرة) وبقوله: (وهو الذي بدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه) وبقوله : (كما بدأكم تعودون) فنبههم بهذه الآيات على أن من قدر أن يفعل فعلاً على غير مثال سابق فهو أقدر أن يفعل فعلاً محدثاً فهو أهون عليه فيما بينكم وتعارفكم وأما الباري –جل ثناؤه وتقدست أسماؤه- فليس خلق شيء بأهون عليه من الأخر.

ثم يقول: وأما الطائفة التي أنكرت الخلق الأول والثاني، وقالت بقدم العالم فإنما دخلت عليهم شبهة بأن قالوا: وجدنا الحياة رطبة حارة والموت بارداً يابساً وهو من طبع التراب، فكيف يجوز أن يجمع بين الحياة والتراب والعظام النخرة فيصير خلقاً سوياً والضدان لا يجتمعان!! فأنكروا البعث من هذه الجهة ..إلخ

ثم أطال الأشعري الكلام على هذه المسألة في نحو خمس صفحات ثم قال:

4ــ (يقال لهم): النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يصح عنه حديث في أن القرآن غير مخلوق أو هو مخلوق فلم قلتم أنه غير مخلوق؟ فإن قالوا: قاله بعض التابعين قيل لهم: يلزم التابعي مثل ما يلزمكم من أن يكون مبتدعاً ضالاً إذ قال ما لم يقله الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.!!

فإن قال قائل: فأنا أتوقف في ذلك فلا أقول مخلوق، ولا غير مخلوق، قيل له : أنت في توقفك في ذلك مبتدع !!، لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يقل: إن حدثت هذه الحادثة بعدي توقفوا فيها ولا تقولوا فيها شيئاً !! ولا قال: (ضللوا وكفروا من قال بخلقه أو من قال بنفي خلقه .!!

5ــ وخبرونا: لو قال قائل: إن علم الله مخلوق: أكنتم تتوقفون فيه أم لا؟: فإن قالوا: (لا) قيل لهم: لم يقل النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولا أصحابه في ذلك شيئاً، وكذلك لو قال قائل: هذا ربكم شبعان أو ريان أو مكتس أو عريان ..أو جسم أو عرض أو يشم الريح أو لا يشمها ... ونحو ذلك من المسائل أكان ينبغي أن تسكت عنه لأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يتكلم في شيء من ذلك ولا أصحابه، أو كنت لا تسكت فكنت تبين بكلامك أن شيئاً من ذلك لا يجوز على الله عز وجل وتقدس كذا وكذا بحجة كذا وكذا.

فإن قال قائل: أسكت عنه –أي عن القائل- ولا أجيبه بشيء، أو أهجره، أو أقوم عنه، أو لا أسلم عليه أو لا أعوده إذا مرض، أو لا أشهد جنازته إذا مات قيل له: فيلزمك أن تكون في جميع هذه الصيغ التي ذكرتها مبتدعاً ضالاً!! لأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يقل: (من سأل عن شيء من ذلك فاسكتوا عنه) ولا قال: (لا تسلموا عليه) ولا (قوموا عنه) ولا قال شيئاً من ذلك فأنتم مبتدعة إذا فعلتم ذلك ويقال لهم : ولِمَ لم تسكتوا عمن قال بخلق القرآن؟ ولِمَ كفرتموه و لم يرد عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حديث صحيح في نفي خلقه وتكفير من قال

بخلقه؟ فإن قالوا: لأن أحمد بن حنبل رضي الله عنه قال بنفي خلقه وتكفير من قال بخلقه، قيل لهم: ولِمَ لم يسكت أحمد عن ذلك، بل لِمَ تكلم فيه؟ فإن قالوا: لأن عباس العنبري ،ووكيعاً، وعبد الرحمن بن مهدي ،وفلاناً وفلاناً قالوا إنه غير مخلوق ومن قال بأنه مخلوق فهو كافر، قيل لهم: و لم لم يسكت أولئك عما سكت عنه (النبي) صلى الله عليه وآله وسلم؟! فإن أحالوا ذلك على الصحابة أو جماعة منهم، كان ذلك مكابرة.

فإنه (مع هذا) يقال لهم: فلم لم يسكتوا عن ذلك و لم يتكلم فيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولا قال: (كفروا قائله)؟ وإن قالوا: لا بد للعلماء من الكلام في الحادثة ليعلم الجاهل حكمها، قيل لهم :هذا الذي أردناه منكم0 فلم منعتم الكلام؟ فأنتم إن شئتم تكلمتم، حتى إذا انقطعتم قلتم نهينا عن الكلام!!، وإن شئتم قلدتم من كان قبلكم بلا حجة ولا بيان، وهذه شهوة وتحكم. أنتهى[20] [21]

قال النووي –رحمه الله– في مقدمة كتاب المجموع:ولو تشكك –والعياذ بالله– في شيء من أصول العقائد مما لابد من اعتقاده ,و لم يزل شكه إلا بتعليم دليل من أدلة المتكلمين وجب تعلم ذلك لإزالة الشك وتحصيل ذلك الأصل." ا.هـــ

قال الذهبي : في التذكرة إن المزي كان يقرر طريقة السلف في السنة فيعضد ذلك بقواعد كلامية ومباحث نظرية .

وقال الإمام محمد بن إبراهيم ابن الوزير اليماني : رحمه الله في العواصم والقواصم 3 /331 :(مذهب أحمد بن حنبل وأمثاله من أئمة الحديث وهم طائفتان : الطائفة الأولى : أهل الحديث والأثر وأتباع السنن والسلف الذين ينهون عن الخوض في علم الكلام ... [ثم قرر مذهب أهل الحديث وهو أن حقيقة الصفات وكنهها مما استأثر الله بعلمه , ثم ذكر كلام الغزالي في كتابه إلجام العوام في تقرير عقيدة السلف , ثم تكلم في النهي عن علم الكلام كل ذلك في صفحات طويلة جدا].

ثم قال 118/4 : هذا آخر ما أردت الإشارة إليه من جملة عقائد المحدثين وهم الطائفة الأولى. الطائفة الثانية : أهل النظر في علم الكلام والمنطق والمعقولات وهم فرقتان : أحدهما : الأشعرية ... . والفرقة الثانية من المتكلمين منهم : الأثرية كابن تيمية وأصحابه فهؤلاء من أهل الحديث لا يخالفونهم إلا في استحسان الخوض في الكلام وفي التجاسر على بعض العبارات و فيما تفرد به من الخوض في الدقائق الخفيات والمحدثون ينكرون ذلك عليهم لأنه ربما أدى ذلك إلى بدعة أو قدح في الدين) اهـــ[22]

وفيما سبق كفاية لبيان أهمية علم الكلام إذا كان بحق وهو مجرد وسيلة لا تأخذ حكماً بالنهي أو الطلب لها إلا بما يعرض لها .

---

[20] الرسالة نشرها د عبد الرحمن بدوي في كتابه مذاهب الاسلاميين :و هي "استحسان الخوض في علم الكلام".

[21] قال أبو إسحاق المَرْوَزي :سمعت المحاملي يقول في أبي الحسن الأشعري: لو أتى الله بقُراب الأرض ذنوباً رجوت أن يغفر الله له لدفعه عن دينه، وقال ابن العربي المفسر: كانت المعتزلة قد رفعوا رءوسهم حتى أظهر الله الأشعري فحجزهم في أقماع السماسم " اهـــ. كما في تشنيف المسامع للزركشي.

[22] كلام ابن الوزيراليماني بنصه استفدته من تعليق للشيخ عبدالفتاح اليافعي في تأيده لفتوى الشيخ الغنيمان .

قال السعد التفتازاني في شرحه على العقائد النسفية : وسموا معرفة العقائد عن أدلتها بالكلام، لأن عنوان مباحثه كان قولهم :الكلام في كذا وكذا. ولأن مسألة الكلام كانت أشهر مباحثه وأكثرها نزاعاً وجدالاً، حتى إن بعض المتغلبة قتل كثيراً من أهل الحق لعدم قولهم بخلق القرآن. ولأنه يورث القدرة على الكلام في تحقيق الشرعيات وإلزام الخصوم، كالمنطق للفلسفة.

ولأنه أول ما يجب من العلوم التي إنما تعلم وتتعلم بالكلام، فأطلق عليه هذا الاسم لذلك، ثم خص به، ولم يطلق على غيره تمييزاً. ولأنه إنما يتحقق بالمباحثة وإدارة الكلام من الجانبين وغيره قد يتحقق بالتأمل ومطالعة الكتب. ولأنه لابتنائه على الأدلة القطعية المؤيد أكثرها بالأدلة السمعية أشد العلوم تأثيراً في القلب وتغلغلاً فيه، فسمي بالكلام المشتق من الكلم وهو الجرح، وهذا هو كلام القدماء.... إلى أن قال:وبالجملة هو أشرف العلوم، لكونه أساس الأحكام الشرعية ورئيس العلوم الدينية، وكون معلوماته العقائد الإسلامية، وغايته الفوز بالسعادات الدينية والدنيوية، وبراهينه الحجج القطعية المؤيد أكثرها بالأدلة السمعية. وما نقل عن بعض السلف من الطعن فيه والمنع عنه فإنما هو للمتعصب في الدين والقاصر عن تحصيل اليقين، والقاصد إفساد عقائد المسلمين، والخائض فيما لا يفتقر إليه من غوامض المتفلسفين. وإلا فكيف يتصور المنع عما هو من أصل الواجبات وأساس المشروعات". اهـ.

الرد على دعوى تضليلهم في المذاهب الأربعة

قال الشيخ الحوالي غفر الله لنا وله :وسنأتي بحكمهم عند أئمة المذاهب الأربعة من الفقهاء فما بالك بأئمة الجرح والتعديل من أصحاب الحديث:

1- عند المالكية:

روى حافظ المغرب وعلمها الفذ ابن عبد البر بسنده عن فقيه المالكية بالمشرق ابن خويز منداذ أنه قال في كتاب الشهادات شرحاً لقول مالك : لا تجوز شهادة أهل البدع والأهواء ، وقال :

" أهل الأهواء عند مالك وسائر أصحابنا هم أهل الكلام ، فكل متكلم فهو من أهل الأهواء والبدع أشعرياً كان أو غير أشعري ، ولا تقبل له شهادة في الإسلام أبداً ، ويهجر ويؤدب على بدعته ، فإن تمادى عليها استتيب منها.

الجواب:بداية أحب أن أنبه على وهم توهمه الموجان في دفاعه عن الحوالي من أن عمر كامل لم يفهم كلام الحوالي ،ولذا فحكم الدكتور عمر كامل على الحوالي بالتدليس سوء فهم منه لأن الحوالي لايقصد الأئمة الأربعة وإنما هو يقصد أتباعة من الفقهاء .[23] وكلام الموجان باطل لأن الحوالي يقول بالحرف الواحد : أن ابن خويز منداد قال: أهل الأهواء عند مالك وسائر أصحابنا هم أهل الكلام..أشعرياً كان أو غير أشعري ..اهـ وبهذا يتبين أن سوء الفهم من الموجان هداه الله ـــ وليس من د: عمر كامل .

وأما التعليق على ما قال الحوالي فأقول و بربي أستعين :

---

[23] الرد الشامل للموجان ص24

1ــــ أن تنزيل أقوال الأئمة كمالك وغيره على الأشعرية خطأ محض ،لأن الأشعري ولد بعد وفاة الإمام أحمد وهو آخر الأئمة الأربعة وفاة ،فكيف بمالك ؟ ثم أن أهل الكلام في عصر مالك هم الجهمية والمعتزلة اللذين تكلموا بالباطل ،وليس مقصودهم من ذب عن اعتقاد أهل الحق ونصره . وقد أجاب الحافظ البيهقي عن هذه الشبهة بقوله: "إنما يريدون والله أعلم بالكلام كلام أهل البدع، فإن في عصرهم إنما كان يعرف بالكلام أهل البدع، فأما أهل السنّة فقلّما كانوا يخوضون في الكلام حتى اضطروا إليه بعد".اهــ.

2ــ أن الكاتب هداه الله: يحتج بقول ابن خويز منداد المالكي وهو مطعون فيه من جهة علمه ومن جهة نقله ؛ قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في "لسان الميزان" ما نصه:

"عنده شواذ عن مالك، واختيارات وتأويلات لم يعرّد عليها حذّاق المذهب كقوله إن العبيد لا يدخلون في خطاب الأحرار وأن خبر الواحد مفيد العلم.... وقد تكلّم فيه أبو الوليد الباجي و لم يكن بالجيد النظر ،ولا بالقوي في الفقه، وكان يزعم أن مذهب مالك أنه لا يشهد جنازة متكلّم ،ولا يجوّز شهادتهم ،ولا مناكحتهم، ولا أماناتهم، وطعن ابن عبد البر فيه أيضاً" انتهى كلام الحافظ ابن حجر.[24]

قال فيه الإمام الباجي: [لم أسمع له في علماء العراقيين ذكراً ، وكان يجانب الكلام جملة ، وينافر أهله ، حتى يؤدي إلى منافرة المتكلمين من أهل السنة ، وحكم على أهل الكلام أنهم من أهل الأهواء الذين قال مالك في مناكحتهم وشهادتهم ما قال] .

وقال فيه القاضي عياض: [وعنده شواذ عن مالك ، وله اختيارات لم يعرج عليها حذاق المذهب ، ولم يكن بالجيد النظر ولا بالقوي الفقه] [25] . وفي قول الباجي إشارة إلى أن الأشاعرة الذين خاضوا في علم الكلام ليسوا من أهل الأهواء والكلام المذموم الذين قال فيهم الإمام مالك ما قال .

فهذا هو حاله عند أئمة المذهب المالكي كابن عبدالبر ،والباجي، والقاضي عياض ،وعند علماء الجرح والتعديل كالحافظ ابن حجر . ولا يشك عاقل أن أكثر المالكية أشعرية .

قال الكاتب: عند الشافعية:
قال الإمام أبو العباس بن سريج الملقب بالشافعي الثاني ، وقد كان معاصراً للأشعري : " لا نقول بتأويل المعتزلة والأشعرية والجهمية والملحدة والمجسمة والمشبهة والكرامية والمكيفة بل نقبلها بلا تأويل ونؤمن بها بلا تمثيل "

استشهد الكاتب ــ هداه الله ــ بكلام ابن سريج ،ليثبت أن الشافعية يذمون الأشعرية وهذا باطل من وجهين :
الوجه الأول: بطلان نسبة هذا القول لابن سريج لسببين :

[24] 329/5 من طبعة دار الفكر
[25] انظر: ترتيب المدارك للقاضي عياض: 4 / 606 . الديباج المذهب لابن فرحون: 2 / 229 . تاريخ الإسلام للإمام الذهبي: الطبقة 39 – 40: ص 217 . الوافي بالوفيات للصفدي: 2 / 52 .عقائد الأشاعرة للشيخ الأردبلي

السبب الأول: أن الأشعرية لم تظهر بعد : فقد توفي ابن سريج سنة 306، وتوفي الأشعري 324 وولد سنة 260 فإذا كان الأشعري لازم الاعتزال أربعين سنة ،ثم فارق الجبائي بعد ذلك فإن كان طلب العلم على الجبائي وعمره عشر سنوات مثلاً ولازمه أربعين سنة فهذا يعني أن ابن سريج مات قبل توبة الإمام الأشعري عن الاعتزال بأعوام مديدة بل هب أنه مات قبل رجوع الأشعري عن الاعتزال بيوم واحد فكيف يذم مذهب لم يولد بعد ؟!!فهذا لم يقله ابن سريج قطعاً لأن ابن سريج لا يعلم الغيب .

السبب الثاني: وهو أن الزنجاني هذا الذي يحكي هذا الكلام عن ابن سريج ولد بعد وفاة ابن سريج بنحو (80) سنة تقريباً فالإسناد منقطع. فقد توفي ابن سريج كما في "سير أعلام النبلاء" سنة (303) هـ والزنجاني ولد سنة (380) هـ

كما في "سير أعلام النبلاء" (385/18) . فكيفما قلبت الأمر وجد ته باطلاً .[26] فابن القيم ذكر هذه الرواية في كتابه اجتماع الجيوش دون تمحيص لها سنداً ومتناً، واغتر الكاتب بذلك فنقله بثقة تامة .

الوجه الثاني: أن علماء الأشعرية ورؤس أهل السنة من الأشعرية هم على مذهب الإمام الشافعي كالغزالي صاحب الوجيز والبسيط والوسيط في الفقه الشافعي، و إمام الحرمين، والنووي وابن حجر ،والرازي ،والسبكي، وابن الصلاح، وانظر طبقات الشافعية لتعرف أهم أشعرية .فسبحان الله كيف غاب هذا عن الكاتب؟!.

> قال الكاتب: قال الإمام أبو الحسن الكرجي من علماء القرن الخامس الشافعية ما نصه : " لم يزل الأئمة الشافعية يأنفون ويستنكفون أن ينسبوا إلى الأشعري ويتبرأون مما بنى الأشعري مذهبه عليه وينهون أصحابهم وأحبابهم عن الحوم حواليه على ما سمعت من عدة من المشايخ والأئمة " ، وضرب مثالاً بشيخ الشافعية في عصره الإمام أبو حامد الإسفرائيني الملقب "الشافعي الثالث" قائلاً :
> " ومعلوم شدة الشيخ على أصحاب الكلام حتى ميز أصول فقه الشافعي من أصول الأشعري ، وعلق عنه أبو بكر الراذقاني وهو عندي ، وبه اقتدى الشيخ أبو إسحاق الشيرازي في كتابيه اللمع والتبصرة حتى لو وافق قول الأشعري وجهاً لأصحابنا ميزه وقال : " هو قول بعض أصحابنا وبه قالت الأشعرية و لم يعدهم من أصحاب الشافعي ، استنكفوا منهم ومن مذهبهم في أصول الفقه فضلاً عن أصول الدين " أ.هـ.

أولاً: أخذ كلام عالم من علماء مذهب معين شذ به عن بقية علماء مذهبه لا يعتبر قولا لهم بل هو قول له فقط .

ثانياً: الكرجي عالم من علماء الشافعية أثنى على عقيدته الإمام السمعاني وهو أشعري العقيدة كما لا يخفى ،والنقل الذي ذكره الكاتب لا سند له بل هو كلام ذكره ابن القيم، وشيخه ابن تيمية ومعروف حطهم على الأشعرية ،وكلام الخصوم لا يؤخذ في بعضهم إلا بتثبت و لم يثبت ،فالكلام لا يصح عن الكرجي .

ـــ وقد نُسب للكرجي قصيدة فيها شيء من التجسيم وهي لا تصح عنه لأسباب ثلاثة :

السبب الأول: ـــ أن السمعاني الأشعري أثنى على القصيدة ولا يمكن أن يثني على التشبيه ،وفيها سب للأشعري ولا يمكن أن يثني السمعاني على ذلك بل فيه كلام لا يصدر من عالم .

[26] أنظر لزيادة الفائدة رسالة تهنئة الصديق المحبوب.

الثاني : ـــ أن الشاعر يتهم الأشعري بأنه مات مقتولاً وأن موته في الأحساء! وهذا باطل لأنه مات على فراشه موتة طبيعية في بيته، لا في الأحساء ،و لم يقتل بل مات موتة طبيعية وأهل السنة يبكون عليه رحمه الله و رضي عنه.

الثالث: ـــ أما الأبيات قال السمعاني أنها تزيد على المائتين بينما القصيدة التي فيها التجسيم تزيد على المائتين والأربعين بيتاً ،وهذا معناه أن هناك دس واضح ،ويؤيد ذلك أن أبياتها غير متناسبة وخصوصاً مافيه التجسيم. قال ابن السمعاني: [وله قصيدة بائية في السُّنة شرح فيها اعتقاده واعتقاد السلف ، تزيد على مئتي بيت ، قرأتها عليه في داره بالكرج] فكل هذه الطوام تجعل المسلم ينفي عن الكرجي هذه الزيادات الباطلة لما فيها من الكذب ،بل لو قالها الكرجي لدل على أنه كاذب إذ كيف يقول أن الأشعري مات مقتولاً ، ومات بالأحساء وهما كذبتان واضحتان ، ولكن حاشه رحمه الله عن ذلك ،بل هذه الزيادات من أناس لا يخشون الله أتوا بها نصرة لباطلهم ،فالله يعامل من زادها عليه بعدله.[27]

2ـــ قولكم يا أخي:(وبه اقتدى الشيخ أبو إسحاق الشيرازي في كتابيه اللمع)

أقول :هو دليل آخر على أن الاسفراييني لم يقل ذلك لأن كون الإمام الشيرازي ليس بأشعري ولا مناصر للأشعرية غير صحيح وإليكم البراهين على ذلك :

الأول :ـــ كان الإمام الشيرازي ممن وقع المحضر الذي كتبه القشيري أيام فتنة بغداد[28] المشهورة فيقول الشيرازي: ((الأمر على ما ذكر في هذا المحضر من حال الشيخ الإمام الأوحد أبي نصر القشيري أكثر الله في ائمة الدين مثله من عقد المجالس وذكر الله بمايليق به من توحيده وصفاته ونفي التشبيه عنه و لم أسمع منه غير مذهب أهل الحق من أهل السنة والجماعة وبه أدين الله عزوجل، وإياه أعتقد ،وهو الذي ادركت أئمة أصحابنا عليه ،واهتدى به خلق كثير من المجسمة، وصار كلهم على مذهب أهل الحق و لم يبق من لمبتدعة إلا نفير يسير ..))فهذا نص كلام الشيرازي رحمه الله تعالى فهل في أشعريته شك؟! فكيف تدعي أنه استنكف عن الأشعرية ؟!!.[29]

الثاني :ـــ وقال الشيرازي رحمه الله تعالى في بعض كتبه : [فمن كان في الفروع على مـــذهب الشـــافعي وفي الأصول على اعتقاد الأشعري فهو معلم الطريق وهو على الحق المبين........ فأما قول الجهلة نحن شـــافعية الفروع حنبلية الأصول، فلا يعتد به لأن الإمام أحمد رضي الله عنه لم يصنف كتابـــا في الأصـــول (أي في العقائد) ،و لم ينقل عنه في ذلك شيء إلا صبره على الضرب والحبس حين دعاه المعتزلة إلى الموافقة في القول

---

[27] طبقات الشافعية 3/ 384 طبعة دار الكتب العلمية تحقيق عبدالقادر أحمد عطا .

[28] هذه الفتنة يسميها البعض فتنة الحنابلة والبعض فتنة القشيري والبعض فتنة بغداد فاخترت هذا للبعد عن التعصب.

[29] طبقات الشافعية للسبكي 99/3 وتبيين كذب المفتري ص313

بخلق القرآن فلم يوافق ،ودعي إلى المناظرة فلم يناظر ،والإقتداء بمن صنف في ذلك وتكلم فيه و قمع المبتدعة بالأدلة القاطعة والحجج الباهرة أولى وأحرى .[30]

تنبيه: لا يظن أهل الظنون ان الإمام الشيرازي يمنع أي تمذهب بغير الشافعية أو اعتقاد سني غير طريقة تقرير الأشعرية ،وإنما هو يبين أن من كان على هذه الطريقة فهو على الحق ،خلافاً لمن يبدعهم ممن لم يحفظ قدرهم ،و يبين أن الأشعري صنّف ،وأصّل، وفصّل في العقيدة، و لم يجمل كغيره من العلماء فمذهبه أحق بالاتباع.

وللعلم يا أخي فإن مما جاء عن مالك بن أنس رضي الله عنه أنه قال: إن الله قد قسم الأعمال كما قسم لأرزاق ،فقد رضيت بما قسم الله لي. هكذا قال مالك لرجل ينصحه بالتعبد وترك العلم ، ولا شك في صحة كلام الإمام مالك ـــ رحمه الله تعالى ـــ .فإن الله قد فتح على أناس في العبادة وآخرين في العلم ، والعلم أنواع :فمنه علم في الحديث والرجال ، وعلم في الاعتقاد ودقائقه ،وعلم في الفروع وغير ذلك .ولذا فلا ريب أن الله عظيم الفضل والمنة قد فتح على الأشعري ،والإمام الماتريدي في العقيدة أكثر من غيرهما وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء،ولا يعني ذلك أن غيرهم من أقرانهم ،ومن سبقهم على جهل بالعقيدة ، حاشاهم والله ولكن لم يتوسعوا في ذلك و لم يدونوا في العقيدة شيء مفصل واضح ،أعني في كل مسائل الاعتقاد ،إلا مرويات يسيرة في العقيدة ولكن ليس كعلم مؤصل مفصل ،والعمر ينقضي دون أن يدرك من العلم إلا اليسير فقسم الله هذه التركة بين رجال الأمة الناجية أهل السنة والجماعة .[31]

مع التنبه إلى أن ترك الأخ الحوالي غفر الله له الأئمة الذين يعوّل على كلامهم ويرجع إليهم حقاً وصدقاً عند الشافعية ، كالحافظ البيهقي و الشيرازي صاحب المهذب ،و إمام الحرمين الجويني و الغزالي وأبي بكر الشاشي ،و الإمام النووي وابن عساكر ،والخطيب البغدادي ،والحافظ العراقي ،والحافظ ابن حجر وغيرهم كثير، وكثير من المتأخرين أيضاً كالشيخ زكريا الأنصاري ،وابن حجر الهيثمي، والرملي والخطيب الشربيني إلى يومنا هذا !! فيه مافيه من عدم الإنصاف و عدم الأمانة .

> قال الكاتب : الحنفية : معلوم أن واضع الطحاوية وشارحها كلاهما حنفيان ، وكان الإمام الطحاوي معاصراً للأشعري وكتب هذه العقيدة لبيان معتقد الإمام أبي حنيفة وأصحابه ، وهي مشابهة لما في الفقه الأكبر عنه وقد نقلوا عن الإمام أنه صرح بكفر من قال إن الله ليس على العرش أو توقف فيه ، وتلميذه أبو يوسف كفر بشراً المريسي ، ومعلوم أن الأشاعرة ينفون العلو وينكرون كونه تعالى على العرش ومعلوم أيضاً أن أصولهم مستمدة من بشر المريسي.

الجواب:فيما قلت يا أخي هداك الله وختم لنا ولك بالخاتمة الطيبة عدة دعاوى :

اولاً : كلام ذكرته عن أبي حنيفة بفهمك لا بنصه وهو لايفيدك في إثباتك لعقيدة الجهة التي تسميها العلو وذلـــك لمخالفة النص الموجود في شرح الفقه الأكبر لما تعتقده من كون الله في جهة وها أنا ذا أنقله بنصه :

---

[30] الإشارة إلى مذهب أهل الحق ص283

[31] سيأتي إثبات كونهم من أهل السنة والجماعة والكلام عن التأويل والتفويض مع ذكر الأدلة إن شاء الله ليتجلى الأمر لطالب الحق.

قال الإمام أبو حنيفة في كتابه الوصية : نقر بأن الله على العرش استوى من غير أن يكون له حاجة إليه، واستقرار عليه، وهو الحافظ للعرش وغير العرش ،فلو كان محتاجاً لما قدر على إيجاد العالم وتدبيره كالمخلوق ،ولو كان محتاجاً إلى الجلوس والقرار فقبل خلق العرش أين كان الله تعالى ؟فهو منزه عن ذلك علواً كبيراً . انتهى بتمامه من شرح الفقه الأكبر [32]

هذا هو الموجود يا أخي وهو لا يفيد في كون الله حل في جهة بل هو صريح في أن الله لا يتغير ولا يتبدل فقال الإمام : فقبل خلق العرش أين كان الله؟!!

فالعلو ـــ بارك الله بكم ـــ صفة من صفات الله، ليس معناها الحلول في جهة السماء كما تقول الكرامية ،ولا في الأرض كما تقول الجهمية. وسيأتي مزيد إيضاح وافٍ عن صفة العلو الثابتة لله والرد على المخالفين .

الدعوى الثانية : قولك ومعلوم أن الأشاعرة ينفون العلو وينكرون كونه تعالى على العرش .

وهذا باطل فإن الأشاعرة لا ينكرون صفة العلو لله سبحانه وتعالى ولا ينكرون كون الله استوى على العرش كما أخبر لا كما يخطر في أوهام البشر. وإنما الذي ينكره كل أهل السنة والجماعة أن الله حال في جهة أو مكان ،و ينكرون تفسيرالاستواء بالجلوس أو الاستقرار أو نحوها من النقائص التي لا تليق بالله تعالى ،هذا الذي ينكره الأشاعرة وسائر أهل السنة ،وإليك النقول الصريحة عن أئمة أهل السنة من الأشاعرة من المتقدمين منهم والمتأخرين ليعلم أن قول القائل فرق بين متقدمي الأشاعرة ومتأخرهم في العقيدة هو مغالطة متهورة:

النقول الصريحة عن علماء الأشاعرة المتقدمين والمتأخرين في إثبات الاستواء و العلو: 1 ـــ وقال إمام أهل السنة أبو الحسن الأشعري (324 هـــ) رضي الله عنه ما نصه : " كان الله ولا مكان فخلق العرش والكرسي و لم يحتج إلى مكان، وهو بعد خلق المكان كما كان قبل خلقه " اهـــ نقله الحافظ ابن عساكر نقلا عن القاضي أبي المعالي الجويني.[33]

2ـــ وقال القاضي أبي بكر بن الباقلاني: وأن الله تعالى مستو على العرش و مستول على جميع خلقه كما قال تعالى ((الرحمن على العرش استوى)) بغير مماسة ولا كيفية ولا مجاورة وأنه في السماء إله وفي الأرض إلـه كما أخبر بذلك.[34]

3ـــ وقال اللغوي الزجاج أحد مشاهير اللغويين (311 هـــ) ما نصه : العلي هو فعيل في معنى فاعل، فالله تعالى عال على خلقه وهو عليٌّ عليهم بقدرته، ولا يجب أن يذهب بالعلو ارتفاع مكاني، إذ قد بينا أن ذلك لا يجوز في صفاته تقدست، ولا يجوز على أن يتصور بذهن، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا" أ.هـــ[35]

---

[32] شرح الفقه الأكبر ص126
[33] تبيين كذب المفتري ص150
[34] كتابه الإنصاف ص36

4ــ قال الإمام ابن بطال المالكي أحد شراح البخاري (449هــ) ما نصه : "غرض البخاري في هذا الباب الرد على الجهمية المجسمة في تعلقها بهذه الظواهر، وقد تقرر أن الله ليس بجسم فلا يحتاج إلى مكان يستقر فيه، فقد كان ولا مكان، وانما أضاف المعارج اليه إضافة تشريف، ومعنى الارتفاع إليه اعتلاؤه- أي تعاليه- مع تنزيهه عن المكان " اهــ .[36]

5ــ وقال الشيخ ابن المنيِّر المالكي (695 هــ) ما نصه:"جميع الأحاديث في هذه الترجمة مطابقة لها إلا حديث ابن عباس فليس فيه إلا قوله "رب العرش" ومطابقته- والله أعلم- من جهة أنه نبه على بطلان قول من أثبت الجهة أخذا من قوله (ذِى المَعَارِجِ) (سورة المعارج/3) ، ففهم أن العلو الفوقي مضاف إلى الله تعالى، فبيَّن المصنف- يعني البخاري- أن الجهة التي يصدق عليها أنها سماء والجهة التي يصدق عليها أنها عرش، كل منهما مخلوق مربوب محدث، وقد كان الله قبل ذلك وغيره، فحدثت هذه الأمكنة، و قدمه يحيل وصفه بالتحيز فيها" اهــ، نقله عنه الحافظ ابن حجر و أقره عليه .[37]

6ــ وقال الفقيه الإمام الشيخ أبو إسحاق الشيرازي (476 هــ) في عقيدته ما نصه (20): "وان استواءه ليس باستقرار ولا ملاصقة لأن الاستقرار والملاصقة صفة الأجسام المخلوقة، والرب عز وجل قديم أزلي، فدل على أنه كان ولا مكان ثم خلق المكان وهو على ما عليه كان " [38]اهــ.

7ــ وقال الإمام أبو بكر بن فورك : "واعلم أنا إذا قلنا إن الله عز وجل فوق ما خلق لم يرجع به إلى فوقية المكان والارتفاع على الأمكنه بالمسافة والإشراف عليها بالمماسة لشيء منها اهــ[39].

8ــ قال ابن عجيبة في تفسير قوله تعالى ((رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (54) ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (55) وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (56) ثم استوى على العرش)) استواء يليق به ، والعرش : جسم عظيم محيط بالأكوان . ....وقال القشيري : ثم استوى على العرش ، أي : تَوَحَّدَ بجلال الكبرياء بوصف الملكوت ، وملوكنا إذا أرادوا التجلِّي والظهور للحَشَم والرعية؛ برزوا لهم على سرير مُلكِهِم في إيوان مشاهدتهم . فأخبر الحقُّ سبحانه وتعالى بما يَقرُب من فَهم الخلق ، بما ألقى إليهم من هذه الكلمات ، بأنه استوى على العرش ، ومعناه : اتصافه بعز الصمدية وجلال الأحدية ، وانفراده بنعت الجبروت وجلاء الربوبية ، وتقدَّس الجبَّارُ عن الأقطار ، والمعبودُ عن الحدود . .ا هــ من تفسير ابن عجيبه.

---

[35] .[تفسير اسماء الله الحسنى) ص/48
[36] فتح الباري 416/13.
[37] فتح الباري (13/ 418- 419.
[38] أنظر عقيدة الشيرازي في مقدمة كتابه شرح اللمع (1/ 101
[39] مشكل الحديث ص/ 64

10ـــ وقال الإمام الرازي في تفسيره : قال تعالى : { ثُمَّ استوى عَلَى العرش } اعلم أن مذهب العلماء في هذه الآية وأمثالها على وجهين أحدهما : ترك التعرض إلى بيان المراد وثانيهما : التعرض إليه ، ....وصفة الاستواء مما لا يجب العلم بمعناها فمن ترك التعرض إليه لم يترك واجباً ، وأما من يتعرض إليه فقد يخطىء فيه فيعتقد خلاف ما هو عليه فالأول غاية ما يلزمه أنه لا يعلم ، والثاني يكاد أن يقع في أن يكون جاهلاً مركباً ... والمذهب الثاني : خطر ومن يذهب إليه فريقان أحدهما : من يقول المراد ظاهره وهو القيام والانتصاب أو الاستقرار المكاني وثانيهما : من يقول المراد الاستيلاء والأول جهل محض والثاني يجوز أن يكون جهلاً والأول مع كونه جهلاً هو بدعة وكاد يكون كفراً ، والثاني وإن كان جهلاً فليس بجهل يورث بدعة ، وهذا كما أن واحداً إذا اعتقد أن الله يرحم الكفار ولا يعاقب أحداً منهم يكون جهلاً وبدعة وكفراً ، وإذا اعتقد أنه يرحم زيداً الذي هو مستور الحال لا يكون بدعة ، غاية ما يكون أنه اعتقاد غير مطابق ، ومما قيل فيه : إن المراد منه استوى على ملكه ، والعرش يعبر به عن الملك ، يقال الملك قعد على سرير المملكة بالبلدة الفلانية وإن لم يدخلها. أ ـــ هـــ

وقال الامام الألوسي في تفسيره للآية في سورة يونس: وأنت تعلم أن المشهور من مذهب السلف في مثل ذلك تفويض المراد منه إلى الله تعالى فهم يقولون : استوى على العرش على الوجه الذي عناه سبحانه منزها عن الاستقرار والتمكن . ا هـــ

وقال الإمام الصاوي المتوفى في القرن الثاني عشر الهجري: استوى استواء يليق به وهذه طريقة السلف الذين يفوضون علم المتشابه إلى الله وهذا نظير ماوقع للإمام مالك ...فالاستواء يطلق حقيقة على الركوب وهو مستحيل على الله وعلى الاستيلاء والتصرف التام في ملكه وهو المراد .أ ـــ هـــ من تفسير آية الأعراف .

الفائدة من النقول السابقة :

1ـــ أن الأشاعرة متقدمهم ومتأخرهم يثبتون صفة الاستواء لله تعالى خلافاً لمن يزعم أنهم ينكرون صفة الاستواء والعلو.

2ـــ بعد إثبات صفة الاستواء يجزمون جزماً بالاتفاق بين أهل السنة والجماعة أن المراد منه ليس الجلوس أو الركوب على العرش ،أو فوق العرش بمسافة ،ونحوها من معاني الحلول في المخلوقات ،والتحيز في الجهات .

3ـــ بعد نفيهم للمعنى الباطل الذي يتنزه الله عنه اختلفوا في: هل الأولى السكوت عن معنى الاستواء لتعدد المعاني في لغة العرب وعدم الدليل القاطع على تحديد أحدها، أو أنه يبين معناه على قولين وهي مسألة اجتهادية لأن الخلاف ليس في إثبات الاستواء أو نفيه و إنما الخلاف في بيان المعنى فقط .

4ـ أن المنكر عليهم كالكرامية المجسمة والكاتب وغيرهم إنما ينكرون عليهم أنه عطلوا المعنى!! وماهو المعنى الذي عطلوه ؟! هو اعتقاد أن الله في جهة أو جالس في العرش أو نحوها من المعاني الباطلة الذي يعتقد الأشاعرة وسائر أهل السنة والجماعة أنها لا تليق بالله !!.

وقد انقسم الناس في المراد بالعلو : فأجمعوا جميعاً على إثبات العلو المعنوي وهو علو القهر، والغلبة ،والقدر، والمنزلة.

ثم زاد آخرون معنى آخر عارضهم فيه جمهور المسلمين ألا وهو: العلو الحسي المكاني : وهو الجلوس والاستقرار والتمكن، سواء أسموه مكانا عدميا أم وجوديا! فالعبرة بالمعاني .فقال هؤلاء :إن من علو الله أن يكون في جهة .ثم اختلف اصحاب الجهة فيما بينهم :فقال أبو عبدالله بن كرام رأس الكرامية : أن الله مماس للعرش من الصفحة العليا .ومن الكرامية من قال: إنه على بعض أجزاء العرش. وقال بعضهم :امتلأ العرش به والمتأخرون منهم قالوا : أنه بجهة فوق محاذ للعرش.[40] ثم اختلفوا فقالت العابدية : إن بينه وبين العرش من البعد مسافة ما لو قدر مشغول بالجواهر لاتصلت به.وقال ابن الهيصم : إن بينه وبين العرش بعد لا يتناهى وأنه مباين و نفى التحيز والمحاذاة و أثبت الفوقية الحسية و المباينة .

ثم لهم اختلافات في النهاية و الحد لله تعالى فمنهم من أثبتها من الجهات الست ،ومنهم من أثبتها من جهة تحت، ومنهم من أنكر ذلك .[41] وأثبت ابن الهيصم الكرامي أنه في جهة فوق في الخلاء فأثبت ما أثبتته الفلاسفة وهو نفس ما قرره ابن تيمية قبل توبته .[42]

وهذا مضاد لعقيدة أهل السنة. قال الإمام أحمد رضي الله عنه ورحمه: ولا يجوز أن يقال أنه استوى بمماسة ولا بملاقاة تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .[43]

وقال الإمام أبو سليمان الخطابي (388 هـــ) وهو من اصحاب الحديث صاحب "معالم السنن" ما نصه" وليس معنى قول المسلمين إن الله على العرش هو أنه تعالى مماس له أو متمكن فيه، أو متحيز في جهة من جهاته، لكنه بائن من جميع خلقه، وإنما هو خبر جاء به التوقيف فقلنا به ونفينا عنه التكييف إذ (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ)ا هـــ.[أعلام الحديث: كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ}[44]

---

[40] الملل والنحل 109/1
[41] الملل والنحل 111/1

[42] نفس المصدر 112/1
[43] اعتقاد الإمام أحمد ص41
[44] 147/2

وقد تمسكوا بإثبات الجهة المكانية لله بأدلة أجاب عنها أهل السنة والجماعة وستجد شبهاتهم والرد عليها في ثناياالبحث إن شاء الله .

الدعوى الثالثة : قال الكاتب: (ومعلوم أيضاً أن أصولهم مستمدة من بشر المريسي) . !!!!

وهذا باطل : وتجاسر من الكاتب هداه الله ،فليت خصمه واحد ولكنهم جمهور علماء أهل السنة .وأما المريسي فذكر في ترجمته أنه جرد القول بخلق القرآن ، ودعا إليه ، حتى كان عين الجهمية في عصره و عالمهم ، فمقته أهل العلم ، وكفره عدة ، و لم يدرك جهم بن صفوان ، بل تلقف مقالاته من أتباعه. فهل تجعل هذا قدوة للأشاعرة رحمهم الله تعالى ؟.والأشاعرة منذ ظهروا وهم شوكة في حلوق المعتزلة فضل عن الجهمية!!.

قال الكاتب :الحنابلة : موقف الحنابلة من الأشاعرة أشهر من أن يذكر فمنذ بدّع الإماه م أحمد " ابن كلاب " وأمر بهجره – وهو المؤسس الحقيقي للمذهب الأشعري – لم يزل الحنابلة معهم في معركة طويلة ، وحتى في أيام دولة نظام الملك – التي استطالوا فيها – وبعدها كان الحنابلة يخرجون من بغداد كل واعظ يخلط قصصه بشيء من مذهب الأشاعرة ، و لم يكن ابن القشيري إلا واحداً ممن تعرض لذلك ، وبسبب انتشار مذهبهم وإجماع علماء الدولة سيما الحنابلة على محاربته أصدر الخليفة القادر منشور " الاعتقاد القادري " أوضح فيه العقيدة الواجب على الأمة اعتقادها سنة 433 هـ.

الجواب على هذه الشبهة : وفي كلامكم أخي رعاك الله عدة مسائل :

الأولى : قول الكاتب [فمنذ بدّع الإمام أحمد " ابن كلاب " وأمر بهجره.....]

أقول للأخ الكاتب ـــ غفر الله له ـــ أن الإمام أحمد رضي الله عنه بدّع الإمام ابن كلاب ،والإمام الكرابيسي ،والإمام داود الظاهري .وليس المجتهد حجة على المجتهد الآخر .فالعبرة بالدليل والإمام أحمد رضي الله عنه قد يصيب ،وقد يخطيء فليس بمعصوم .والمسألة التي هجر فيها الإمام أحمد إخوانه من أهل السنة ،هي مسألة اللفظ وهي :هل لفظي بالقرآن مخلوق؟ فقال الكرابيسي: نعم لأن أفعال العباد مخلوقة قال تعالى (والله خلقكم وما تعملون)). وألف الإمام البخاري كتاباً في ذلك أيد ما كان عليه ابن كّلاب [45]. وكان ابن كلاب من أئمة السلف كما قال الحافظ ابن حجر في لسان الميزان .وكان الإمام مسلم على ذلك أيضاً . وتأمل فيما جرى من المخالفين

[45] جاء في لسان الميزان :عبد الله بن سعيد بن محمد بن كلاب القطان البصري ذكره العبادي في الفقهاء الشافعية مختصرا فقال عبد الله بن سعيد بن كلاب القطان ونقل الحاكم في تاريخه عن بن خزيمة أنه كان يعيب مذهب الكلابية ويذكر عن أحمد بن حنبل أنه كـــان أشد الناس على عبد الله بن سعيد وأصحابه ويقال أنه قيل له بن كلاب لأنه كان يخطف الذي يناظره وهو بضم الكاف تشديد اللام وقول الضياء أنه كان أخا يحيى بن سعيد القطان غلط وإنما هو من توافق الإسمين والنسبة وقول بن النديم أنه من الحشوية: يريـــد مـــن يكون على طريق السلف في ترك التأويل للآيات والأحاديث المتعلقة بالصفات و يقال لهم المفوضة وعلى طريقته مشى الأشـــعري في كتاب الإبانه .أ ـــ هـــ

للبخاري فيما ذهب إليه والمخالفين للكرابيسي وابن كلاب وداود الظاهري .و رحم الله أئمة الإسلام فقد وصل الحال إلى تبديع الإمام أحمد لقرنه الكرابيسي[46] وقول الكرابيسي: ماذا نفعل لهذا الصبي؟!!![47]
و وصل الحال إلى نهي أبي زرعة عن الأخذ عن البخاري! .ومفارقة الإمام مسلم[48] لهم ومشايعته للبخاري .والحق أن هناك مسائل من فروع العقيدة ليست بقطعية ،و لذا فمن الطبيعي جداً أن يختلف فيها العلماء. ثم إن كلام الأقران يطوى ولا يروى كما قرر ذلك جمع من أهل العلم. ولولا أن المقام مقام ايضاح ما تكلمنا بهذا .إذن فتعصب السادة الحنابلة على الكرابيسي وابن كلاب لا يعني أن ابن كلاب ليس من أهل السنة هداك الله . قال الذهبي : ولا ريب أن ما ابتدعه الكرابيسي وحرره في مسألة اللفظ وأنه مخلوق هو حق ، لكن أباه الإمام أحمد لئلا يتذرع به إلى القول بخلق القرآن . أ ـــ هـــ [49]
إذن هو على راي الإمام أحمد من باب سد الذرائع فقط .
قال الذهبي: والرجل ـــ ابن كلاب ـــ أقرب المتكلمين إلى السنة بل هو في مناظريهم .[50] ويحزنني تحامل الموجان في رده على الدكتور عمر حيث قال معقباً على كلام الذهبي : واضح أنه ليس من أهل السنة بل أقرب إليهم يعني مقارنة بالمعتزلة والجهمية !!أ ـــ هـــ[51] فأتى من رأسه بأن كلام الذهبي معناه أقرب مقارنة بالجهمية والمعتزلة ، فلا أدري ماذا يصنع ببقية كلام الذهبي المفسر لما اشتبه على الموجان وهو قول الذهبي (بل هو في مناظريهم)؟؟ .وقال ابن أبي زيد القيرواني : وما علمنا من نسب ابن كلاب إلى البدعة ،والذي بلغنا أنه يتقلد السنة ويتولى الرد على الجهمية وغيرهم من أهل البدع أ ـــ هـــ [52] وقال الحافظ ابن حجر : و البخاري في جميع ما يورده من تفسير الغريب إنما ينقله عن أهل ذلك الفن كأبي عبيدة ....[إلى أن قال] وأما المسائل الكلامية فأكثرها من الكرابيسي وابن كلاب ونحوهما .انتهى كلامه رحمه الله [53].
وأتعجب من الموجان عندما أعيته هذه النقول عن أئمة الدين في بيان فضل الإمام ابن كلاب ،وكون البخاري على عقيدته قال : ماهذا القول السقيم ؟!
هذا هو القول السقيم عند الموجان أن البخاري توافق مع ابن كلاب في المعتقد ولا أدري ما ذا يغضبه ؟!
أ كل هذا نصرة للشيخ سفر؟! فوالله لَلإمام ابن كلاب والأشعري والكرابيسي أولى بذلك .

---

[46] أنظر ترجمة الكرابيسي في كتاب الإنتقاء في مناقب الثلاثة الفقهاء لابن عبدالبر 106.
[47] أنظر فتح الباري لابن حجر (492/13) وسير اعلام النبلاء (288/11)
[48] السير 572/12
[49] السير 12/ 82 و11/ 510
[50] السير 175/11
[51] الرد الشامل 29
[52] تبيين كذب المفتري للحافظ ابن عساكر ص50
[53] فتح الباري 1/ 293.

ثانياً : قولك :[لم يزل الحنابلة معهم في معركة طويلة ، وحتى في أيام دولة نظام الملك – التي استطالوا فيها – وبعدها كان الحنابلة يخرجون من بغداد كل واعظ يخلط قصصه بشيء من مذهب الأشاعرة]

أخي غفر الله لك : هذا من بعض علماء الحنابلة تعصب فقط ولا يعني أنهم أصابوا فيما فعلوه ،ولا يدل على أن السادة الشافعية أو الأشعرية مبتدعة أو ضلال .غاية ما في الأمر أنه تعصب مذهبي زال مع الأيام ولله الحمد . وأنت تشاهده في واقعنا اليوم من تعصب الجماعات على بعضها البعض ،وظلم الأقران لبعضهم .وإليك هذه الحكاية حتى يتبين لذي بصيرة أن التعصب ليس بميزان للحكم بين المختلفين :

حكاية الحنابلة رحمهم الله تعالى مع الإمام الطبري رحمه الله

قال الحموي في ترجمة الإمام المفسر المجتهد ابن جرير الطبري : فلما قدم إلى بغداد من طبرستان بعد رجوعه إليها تعصب عليه أبو عبد الله الجصاص وجعفر بن عرفة والبياضي . وقصده الحنابلة فسألوه عن أحمد بن حنبل في الجامع يوم الجمعة وعن حديث الجلوس على العرش . فقال أبو جعفر : أما أحمد بن حنبل فلا يعد خلافه . فقالوا له : فقد ذكره العلماء في الإختلاف ، فقال : ما رأيته روي عنه ، ولا رأيت له أصحاباً يعول عليهم . وأما حديث الجلوس على العرش فمحال[54] ثم أنشد :

سبحان من ليس له أنيس * ولا له في عرشه جليس

فلما سمع ذلك الحنابلة منه و ثبوا ورموه بمحابرهم ، وقيل كانت ألوفاً فقام أبوجعفر بنفسه ودخل داره فرموا داره بالحجارة حتى صار على بابه كالتل العظيم .[55]

أليس ابن جرير علما من أعلام الأمة ؟! أم انه مبتدع لأن الحنابلة قاموا عليه؟؟! يا اخي العزيز ماهو إلا التعصب المذهبي فلا تنفخ في ناره فهو نتيجة طبيعية للجهل أو قلة الورع.[56]

قال الحافظ الذهبي في ترجمة الإمام مسلم:

كان مسلم بن الحجاج يظهر القول باللفظ ولا يكتمه، فلما استوطن البخاري نيسابور أكثر مسلم الاختلاف إليه، فلما وقع بين البخاري والذهلي ما وقع في مسألة اللفظ ونادى عليه ومنع الناس من الاختلاف إليه حتى هجر – البخاري- وسافر من نيسابور، قال: فقطعه أكثر الناس غير مسلم فبلغ محمد بن يحيى فقال يوماً: ألا من قال باللفظ فلا يحل له أن يحضر مجلسنا، فأخذ مسلم رداءه فوق عمامته وقام على رؤوس الناس ثم بعث إليه بما كتب عنه على ظهر حمال،

قال: وكان مسلم يظهر القول باللفظ ولا يكتمه" انتهى.[57]

---

[54] جاء في كتاب السُّنة لأَبي بكر ابن أَبي عاصم إذ قال: وقال أَبو بكر: حدثنا ابن فضيل عن ليث عن مجاهد [عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً] قال: [يُقعده معه على العرش] ليثهذا وهو ابن أبي سليم كان قد أختلط فهو ضعيف فالأثرغير ثابت عن مجاهد فتنبه لذلك.

[55] في معجم الاَدباء ج 9 جزء 18 ص 57

[56] لكن تعصب أهل زماننا ليس تعصبا مذهبيا فقد جفوا المذاهب بل هو تعصب إقليمي أو حزبي .

[57] سير أعلام النبلاء" (572/12)

فإذا تبين لك أن ابن كلاب رأس من رؤوس السلف بل هو في مناظريهم علمت خطأ وظلم من يتحامل عليه وعلى من استمد منه معتقد أهل السنة كالأشعري والبخاري .

قال الكاتب: هذا وليس ذم الأشاعرة وتبديعهم خاصة بأئمة المذاهب المعتبرين ، بل هو منقول أيضاً عن أئمة السلوك الذين كانوا أقرب إلى السنة واتباع السلف ، فقد نقل شيخ الإسلام في الاستقامة كثيراً من أقوالهم في ذلك [58]، وأنهم يعتبرون موافقة عقيدة الأشعرية منافياً لسلوك طريق الولاية والاستقامة حتى أن عبد القادر الجيلاني لما سئل : " هل كان لله ولي على غير اعتقاد أحمد بن حنبل ؟ قال : ما كان ولا يكون "

الجواب : أخي الحبيب هداك الله :

لايوجد منافاة بين كلام الإمام الجيلاني وبين اعتقاد أهل السنة والجماعة ،سواء كانوا على مسلك الأشاعرة أو الإمام أحمد. فالثناء على عقيدة الإمام أحمد هو ثناء على عقيدة أهل الحق جميعاً ، وليس في كلامه ذم للأشاعرة ولا لغيرهم، وإنما هي استنتاجات مبنية عند الكاتب على خلفيات مسبقة يلقي فيها الكلام على ألسنة العلماء بحسب وهمه هداه الله.

دعوى تراجع كبار الأشاعرة عن مذهب الأشاعرة

قال الكاتب: وهاهنا حقيقة كبرى أثبتها علماء الأشعرية الكبار بأنفسهم – كالجويني وابن أبي المعالي والرازي والغزالي وغيرهم – وهي حقيقة إعلان حيرتهم وتوبتهم ورجوعهم إلى مذهب السلف ، وكتب الأشعرية المتعصبة مثل طبقات الشافعية أوردت ذلك في تراجمهم أو بعضه فما دلالة ذلك ؟إذا كانوا من أصلهم على عقيدة أهل السنة والجماعة فعن أي شيء رجعوا ؟ ولماذا رجعوا ؟ و إلى أي عقيدة رجعوا؟

الجواب : اولاً : ليفهم طالب العلم مذهب الأشاعرة غفر الله لك فأقول وبالله التوفيق :

هؤلاء العلماء من أهل السنة والجماعة من الأشاعرة كالإمام الرازي ،والجويني ،والغزالي وغيرهم في أخر حياتهم لم يرجعوا عن معتقد الأشاعرة كما يقال ،وإنما أخذوا في أخر حياتهم بأحد المسلكين الجائزين عندالأشاعرة ألا وهو التفويض ،فقدّموا التفويض على التأويل، وهم يدندنون حوله في كثير من كتبهم ،وليست المسألة أن هذا لم يحصل لهم إلا في الرمق الأخير كما يتوهم كثير من الكتبة ، ولا شك أن جهودهم تبيض وجوههم نرجوا ذلك لهم عند الله ،وهم لم يبطلوها و لم يقل أحد منهم أن أهل التأويل ليسوا على مذهب أهل السنة والجماعة أو أنهم مبتدعة ضلال ،وإنما حالهم حال الإنسان الحريص على الأولى؛ وإن ترك أمراً غير ه مع أنه جائز أو مستحب، فيتركه إلى أمر أقل استحباباً ، أو فيه خروج من الخلاف ، بل قد يجتهد فيراه محرماً ،ويراه الآخر جائزاً ، هذا كل مافي الأمر.

وتنبه إلى أنهم لم يخرجوا القائلين بالتأويل عن عقيدة أهل السنة والجماعة،ولا قالوا أنهم من الفرق الهالكة فهنا مربط الفرس.

قال الإمام اللقاني في جوهرة التوحيد:

وكل نص أوهم التشبيه أوله   أو فوض ورم تنزيها .

---

[58] يظهر بجلاء التقليد التام من الأخ الحوالي لابن تيمية وكأنه معصوم.

إذن لديهم مسلكان صحيحان بأيهما أخذ العبد فهو على السنة .

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى : "اعلم أن لأهل العلم في أحاديث الصفات وآيات الصفات قولين: أحدهما :وهو مذهب معظم السلف أو كلهم أنه لا يتكلم في معناها، بل يقولون يجب علينا أن نؤمن بها ونعتقد لها معنى يليق بجلال الله تعالى وعظمته اعتقادنا الجازم أن الله تعالى ليس كمثله شيئ وأنه منزه عن التجسيم والانتقال والتحيـــز في جهـــة وعن سائر صفات المخلوق، وهذا القول مذهب جماعة من المتكلمين واختاره جماعة من محققيهم وهو أسلم.

والقول الثاني: وهو مذهب معظم المتكلمين أنها تُتَأول على ما يليق بها على حسب مواقعها، وإنما يسوغ تأويلها لمـــن كان من أهله بأن يكون عارفاً بلسان العرب وقواعد الأصول والفروع ذا رياضة في العلم"أ‌ـــ هـــ.[59]

ثانياً : أين وجدت أنهم جعلوا ما رجعوا عنه في آخر حياتهم (ضلال) (وصاحبه ليس من أهل السنة والجماعة)؟!

فلم يقل ذلك أحد منهم لا الإمام الأشعري ،ولا الإمام الجويني ، ولا الرازي ، ولا غيرهم .[60]

ثالثاً : قرأنا كلاما للصحب الكرام رضي الله عنهم يتأسفون فيه على أنفسهم، فيقول قائلهم : ليت أمي لم تلدني ليتني كنت شجرة تعضد!! ، ونحو ذلك مما يحصل لأهل التقوى ، فهل نقول أنهم يتأسفون على معاص أمضوا العمر فيها ؟!! ألا وإن بعض الرافضة قد قالوا ذلك ،فسلطوا ألسنتهم على الصحب الكرام ،كما سلط غيرهم لسانه على العلماء الكرام. فنسأل الله أن يحفظنا من مضلات الفتن.

الفرق بين معنى الفطرة عند الكاتب و عند العلماء

> قال الكاتب : أما عوام المسلمين فالأصل فيهم أنهم على عقيدة السلف ؛ لأنها الفطرة التي يولد عليها الإنسان ، وينشأ عليها المسلم ، بلا تلقين ولا تعليم — من حيث الأصل — فكل من لم يلقنه المبتدعة بدعتهم ويدرسوه كتبهم ، فليس من حق أي فرقة أن تدعيه إلا أهل السنة والجماعة .
>
> ومن الأدلة على ذلك الإنسان الذي يدخل في الإسلام حديثاً ، فهل تستطيع أي فرقة أن تقول أنه معتزلي أو أشعري ؟ أما نحن فبمجرد إسلامه يصبح واحداً منا .

الجواب :نبحث اولاً في معنى الفطرة عند العلماء هل هي عقيدتكم بوضعها الراهن كما تقول يا أخي الكريم؟ أم لا ؟

جاء في بعض التفاسير مايلي : قال البغوي في تفسيره الفطرة :هي الدين وهو الإسلام ، وذهب قوم إلى أن الآية خاصة في المؤمنين هم الذين فطرهم الله على الإسلام { لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ } فمن حمل الفطرة على الدين قال : معناه . لا تبديل لدين الله وهو خبر بمعنى النهي أي لا تبدلوا دين الله ، قال مجاهد وإبراهيم : معنى الآية الزموا فطرة الله أي دين الله واتبعوه ولا تبدلوا التوحيد بالشرك ، { ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ } ، المستقيم ، { وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ } ، وقيل : لا تبديل لخلق الله أي ما جبل عليه الإنسان من السعادة والشقاء لا يبدل فلا يصير السعيد شقيا ولا الشقي سعيدا .

---

[59] "شرح صحيح مسلم" (19/3):

[60] دقق في الكلام لم يقل أحد منهم أنه ضلالة و لم يقل أنه مخالف لمذهب أهل السنة والجماعة .

2ـــ قال الثعالبي: والذي يعتمد عليه في تفسير هذه اللفظةِ أَنها الخِلْقَةُ والهَيْئَةُ التي في نفسِ الطفلِ التي هي مُعَدَّةٌ مُهَيَّئَةٌ لأَنْ يَمِيزَ بها مصنوعات اللّه ، ويستدلَّ بها على ربِّهِ ، ويعرف شرائعه؛ ويؤمن به ، فكأنه تعالى ، قال : أقم وَجْهَك للدِّينِ الذي هو الحنيفُ ، وهو فطرة اللّه الذي على الإعداد له . فُطِرَ البشر؛ لكن تعرضهم العوارضُ؛ ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح : « كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ . . . » الحديث ، ثم يقول : { فِطْرَتَ الله } الآية ، إلى { القيم } فذكرُ الأبوين إنما هما مثالٌ للعَوارِض التي هي كثيرةُ . وقال البخاريُّ : فِطْرَةُ اللّهِ : هِيَ الإِسْلاَمُ ، انتهى .تفسير الثعالبي[61]

إذن دار تفسيرها في أقوى الأقوال على الأقوال لتالية :

1ـــ أنها بمعنى الإسلام فلا يبدل التوحيد بالشرك ،قال البخاريُّ : فِطْرَةُ اللّهِ : هِيَ الإِسْلاَمُ. بناء على هذه الأقوال فكلامك يا أخي باطل فإن الأشعري والماتر يدي وأصحاب الحديث والخوارج والمعتزلة كلهم مسلمون .إذن فالفطرة هي الإسلام المضاد للشرك فيدخل فيه جميع أهل القلبة .

وهذا الكلام صحيح نقلاً وعقلاً قال الرسول صلى الله عليه وسلم ((كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه))

إذن ليس في المسألة مذهب حنبلي ،ولا أشعري ،ولا معتزلي، وإنما المسألة مسألة إسلام وضده الكفر ،وهذا صريح في الحديث،وتفسير ابن عباس ،والبخاري وغيرهما بكونها الإسلام وانتفاء الشرك.

2ـــ أنها بمعنى الخِلْقَةُ والهَيْئَةُ التي في نفسِ الطفلِ التي هي مُعَدَّةٌ مُهَيَّئَةٌ لأَنْ يَمِيزَ بها مصنوعات اللّه ، ويستدلَّ بها على ربِّهِ ، ويعرف شرائعه؛ ويؤمن به.

وعلى هذا القول فالإنسان مهيء لما يلقى إليه، فإن ألقي إليه الرفض صار رافضياً ،أو النصب صار ناصبياً أو التجسيم صار منهم ،أو النصرانية صار منهم أو الإسلام صار منهم وهكذا.

ويدل له قوله تعالى ((والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً))[62]

---

[61] الفطرة آية 32 من سورة الروم

[62] جاء في طرح التثريب شرح التقريب : باب أولاد المشركين اختلف في المراد بالفطرة هنا على أقوال:

أحدها) أن المراد الخلقة فإن الفطر بمعنى الخلق ، والمراد الخلقة المعروفة الأولى المخالفة لخلق البهائم أي على خلقة يعرف بها ربه إذا بلغ مبلغ المعرفة ؛ ذكره ابن عبد البر عن جماعة من أهل الفقه والنظر قال : وأنكروا أن يفطر المولود على كفر أو إيمان ، وإنما يعتقد ذلك بعد البلوغ إذا ميز . ولو فطر في أول أمره على شيء ما انتقل عنه وقد نجدهم يؤمنون ثم يكفرون ، ومحال أن يعقل الطفل حال ولادته كفرا أو إيمانا ، والله تعالى يقول { والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا } فمن لا يعلم شيئا استحال منه الكفر والإيمان قال ابن عبد البر : هذا القول أصح ما قيل في ذلك .

القول الثاني : أن المراد هنا الإسلام حكاه ابن عبد البر عن أبي هريرة ، والزهري ، وغيرهما .

)القول الثالث) أن المراد البداءة التي ابتدأهم عليها أي على ما فطر الله عليه خلقه من أنه ابتدأهم للحياة ، والموت ، والشقاء ، والسعادة قال محمد بن نصر المروزي .

)القول الرابع) أن معناه أن الله تعالى قد فطرهم على الإنكار ، والمعرفة ، ..

3ـــ لا تبديل لخلق الله أي ما جبل عليه الإنسان من السعادة والشقاء لا يبدل ،فلا يصير السعيد شقياً ولا الشقي سعيداً . قال محمد بن الحسين أن الفضل حدثهم وأخبرني عصمة بن عصام قال ثنا حنبل وأخبرني محمد بن أبي هارون ومحمد بن جعفر أن أبا الحارث حدثهم سمعوا أبا عبدالله (أحمد بن حنبل)في هذه المسألة قال :الفطرة التي فطر الله عز وجل العباد عليها من الشقاء والسعادة . إسناده صحيح[63]

إذن فالفطرة هي القدر الأزلي الذي قدره الله للعبد من شقاء، أوسعادة .

ثانياً : قول الكاتب: ومن الأدلة على ذلك الإنسان الذي يدخل في الإسلام حديثاً ، فهل تستطيع أي فرقة أن تقول أنه معتزلي أو أشعري ؟ أما نحن فبمجرد إسلامه يصبح واحداً منا .)

الجواب:لا يا أخي و إنما بمجرد إسلامه يصير مسلماً ،فكل فرقة يسلم على يديها فستعلمه ما لديها ،فإن قصدت أنه منكم قبل أن تعلموه أن الله محدود، وله جهة عدمية يحل فيها ، وأن له كلاما قديم النوع حادث الأفراد يحدث في ذاته شيء بعد شيء ،وقياس الغائب سبحانه وتعالى على الشاهد المخلوق ،وأن كل كمال للمخلوق فالله أولى به[64] ،ونحوها من الأخطاء الجسيمة ، كقدم العالم النوعي ،فأنا أخالفك في هذا، إلا في حالة واحدة وهي :التلقين لهذه البدع ،فحينها فقط يصبح واحدا منكم! هذا شيء .

الشيء الثاني : هناك فرق بين كون المسلم عاميا أشعريا،وكونه عالما أشعريا. ولمزيد إيضاح فإن هناك ثلاثة أشياء :

الشيء الأول : الأسماء فليست هي الهدف ولا المقصود ،سواء كان أهل الحديث ،أو أهل السنة والجماعة، أو الأشعرية ، أو الماتردية أوغيرها من الأسماء، فإنما هي مجرد دلائل و شعارات تدل على حملة الحق ، ولا يعني أن كل من تسمى بها على الحق فعلاً ، إلا بمراعاة الشق الآخر في المسألة ألا وهو المعنى .

الشيء الثاني: مراعاة المعاني : فالمعنى هو إثبات ما يليق بالله مع تنزيهه عن مشابهة المخلوق على أي مشابهة كانت أو أي اشتراك كان إلا مجرد الألفاظ .

فاسم الأشاعرة ،والماتردية ،وأهل السنة ،وأصحاب الحديث دال على معنى التنزيه والاعتقاد الصحيح ،فأما كون أي فرقة كالكرامية، أو المعتزلة ،أو غيرهم يّدعون أنهم أهل السنة والجماعة ،فلا يغير هذا الادعاء من حقيقتهم شيئاً من حيث حقيقة المعتقد.

الشيء الثالث: التفريق بين العالم الأشعري والعامي الأشعري ،وكذا بين العالم بالحديث وبين العامي من أتباع أصحاب الحديث ، فإننا نعلم جميعاً أن قول الرجل العامي: أنا من جماعة أصحاب الحديث لا يعني أنه محدث عالم

)القول الخامس) أن معناه ما أخذ الله من ذرية آدم من الميثاق قبل أن يخرجوا إلى الدنيا

)القول السادس) أن المراد بالفطرة ما يقلب الله قلوب الخلق إليه بما يريد فقد يكفر العبد ثم يؤمن .

)القول السابع) أن المراد بالفطرة ملة أبيه أي دينه بمعنى أن له حكمه حكاه القاضي عياض . أ ـــ هـــ

63 كتاب السنة للخلال أبي بكر .

64 هذه القاعدة باطلة لأن من كمال المخلوق أن يكون له ولد ومنزل ومركب ونحوه وكل هذا لا يليق بالله .والقاعدة عند أهل السنة من الأشعرية وغيرهم :أن كل كمال لا نقص فيه بوجه من الوجوه فيجب إثباته لله تعالى . أ ـــ هـــ فانظر أخي إلى دقة التعبير في تقعيد العقائد.

بعلوم الحديث ، وكون العامي على عقيدة السادة الأشاعرة لا يعني أنه عالم بعلم العقائد و رد الشبهات ، وإلجام خصوم الحق ، ولا غيرها من العلوم الشرعية .إذن :فلا وجه لقولك يا أخي أن العامي لا يكون أشعرياً ،فإن عنيت أنه لا يكون عالما بتفاصيل الاعتقاد والردود ونحوها فصحيح وهذا شأن العوام ،وأما إن قصدت أنه على غير عقيدتهم في الإثبات مع التنزيه ودفع التشبيه فغير مسلّم، والأمر كما نشاهده أن العامي يتأثر بعلماء بلده .

وأما طرق التفصيل والحجاج والبيان فليست إلا للعلماء ،حتى على مستوى فروع الدين، لن تجد عاميا يعرف تفاصيل أحكام الحج ،والزكاة، والصيام ،وغيرها من العبادات، وإلا لما كان هناك فضل لعالم على جاهل .

فتبين مما سبق أنك أخطأت يا أخي الكريم في بيان معنى الفطرة ،و في استجرار وإنزال النصوص عليكم بوضعكم الراهن ،و في عدم التفريق بين مقام العلماء والعامة . وفقنا الله وإياك لهداه.

وقد وقع الموجان فيما وقع فيه الحوالي وتخبط تخبطاً شديداً ،فنقل كلام الإمام القرطبي الأشعري في رده على متكلمي المعتزلة ، وتلهى عن كون الحافظ ابن حجر والقرطبي أشعريان .فقال الموجان معللاً طول النقل الذي نقله عن الأشعريين القرطبي وابن حجر :

[الأول : فيه فوائد من الفوائد ولا سيما بيان مذهب الأشاعرة في وجوب النظر والرد عليه .أ ــ هـــ [65]

وكلامه باطل : فإن رد السمعاني والقرطبي كان على من يزعم أن دعوة الرسل ما كانت إلا لبيان الفروع ، وعلى من يقول: أن العقل هو الداعي إلى الله لا الرسول ، هذا هو محل النزاع الذي تدعي أنك تحرره فأغفلته و لم تتصوره أصلاً ، ولذا قال السمعاني : ونحن لا ننكر أن العقل يرشد إلى التوحيد وإنما ننكر أنه يستقل بإيجاب ذلك حتى لا يصح إسلام إلا بطريقه مع قطع النظر عن السمعيات. انتهى [66]

إذن ما ينكره السمعاني والقرطبي المستشهد بكلام السمعاني إنما هو أن يكون العقل هو مصدر التلقي دون الشرع (السمعيات) ، وهو معتقد الأشاعرة وغيرهم من أهل السنة قال عبدالسلام اللقاني في تحفة المريدشرح جوهرة التوحيد : لا يجب على المكلف معرفة ماقدوجب لله عقلاً إلا بالشرع إذ قبله لا حكم أصلاً لا أصلياً ولا فرعياً كما هو المنقول عن الأشاعرة وجمع من غيرهم.أ ــ هـــ[67] ويأتي مزيد بيان لعقيدة الأشاعرة في ذلك عند الكلام على مصدر التلقي ، وسبق شيء من ذلك . وما نقل هنا يؤيد مذهب الأشاعرة وليس قول غير قولهم ، لكن الوهم أتاك من تصورك أن كلمة المتكلمين تخص الأشاعرة إذا أوردها علماء الأشاعرة ، والحق أن مرادهم المعتزلة ونحوهم.

بل كان من ضمن ما نقله الموجان كلام صلاح الدين العلائي الأشعري حيث قال : يمكن أن يفصل فيقال :من ليس له أهلية لفهم شيء من الأدلة أصلاً وحصل له اليقين التام بالمطلوب إما بنشأته على ذلك أو بنور يقذفه الله في قلبه فإنه يكتفى منه بذلك، ومن فيه أهلية لفهم الأدلة لم يكتف منه إلا بالإيمان عن دليل.أ ـــ هـــ [68]فعجبي للشيخ

---

[65] الرد الشامل 126

[66] الرد الشامل 125

[67] تحفة المريد مع حاشية ابن الأمير ص60

[68] الرد الشامل 125ــ 126

الموجان غفر الله له كيف ينقل ثم لا يعتبر ولا يدقق .!فكلام الحافظ العلائي هو عين معتقد الأشعرية المعتمد.وانظر إلى ما في الحاشية بعاليه في معنى الفطرة ومنه أقوال أصحاب الحديث لتعلم إلى أين بلغ بكم التعصب غفر الله لنا جميعاً.

قال الكاتب: (وإن شئت المثال على عقيدة العوام فاسأل الملايين من المسلمين شرقاً وغرباً هل فيهم من يعتقد أن الله لا داخل العالم ولا خارجه ولا فوقه ولا تحته كما تقول الأشاعرة).

الجواب:وليس فيهم من يعتقد الجهة العدمية ، ولا القدم النوعي ولا نحوها من الطوام . وقول الأشاعرة: أن الله لاداخل المخلوقات ولا يوصف بأنه خارجها ولا شرقها ولا غربها فمعناه أن الله لا يحل في مخلوق سواء أسميته "عدمي" أم مخلوق وجودي .وليس هذا من رفع النقيضين كما تتوهمون ،بل هو من قبيل الملكة وعدمها : أي أن الله لا يصح وصفه بأنه في شرق ولا غرب ولا نحو ما ذكرت ولا يعني ذلك أنه غير موجود لأن الأشياء في الوجود على قسمين :

القسم الأول: وجود الخالق سبحانه وتعالى : وهو وجود نؤمن به بما يليق بجلاله من غير حلول في مخلوقاته ،ولا مزاحمة بين وجودها ووجوده ،فلا تتخيل أنه في مكان ومخلوقاته في مكان أخر ،لأن الله موجود قبل خلق المكان وقبل كل مخلوق .

فإن قلت كيف يكون هذا الوجود ؟!! فأقول لك: بلا كيف وكيف عنه مرفوع، إنما وجوده كسائر صفاته نؤمن به ولا ندخل فيه متوهمين بآرائنا.

القسم الثاني: وجود المخلوقات : وهو وجود على مايليق بها من نقص ،وقصور ،وافتقار إلى بعضها ،وافتقار جميعها إلى موجدها عز وجل.

مثال على الملكة وعدمها : نحن نؤمن بأن الله يستحيل أن يوصف بأنه متزوج سبحانه وتعالى عن ذلك ولا يعني أيضاً أن العكس هو الحاصل أي كونه أعزباً فلا يوصف بالعزوبة ولا بالزواج ،وليس في هذا بعد ولا غرابة بل هو الحق قطعاً لأن ذلك أصلاً لا يجوز أن يوصف به .

وكذا قل في وجوده ،فنحن نؤمن به من غير حلول في مخلوقاته سواء كان حلول في مخلوق اسمه الجهة أو غيرها من المخلوقات .وأما وهم الفضاء الذي فوق العرش وكونه فضاء غير مخلوق، فهذا مكابرة للحقائق ،لأن العدم يعني لا شيء .فقولكم: أن الله حل في الفضاء أو الجهة العدمية بدعة أتت من الكرامية والفلاسفة فواليتم وعاديتم عليها. وليس في الكون إلا الخالق وهو الله وحده بأسماءه وصفاته ، وكل ماسواه مخلوق .فمن أين أتيتم بفضاء غير مخلوق؟!! فالواجب أن نثبت لله صفة العلو وهي علو معنوي معناه علو ذاته وصفاته قدراً و سلطة كما أخبر سبحانه لا كما تتخيل يا أخي من حلوله في جهة عدمية .!!!!!!

الاستدلال بفهم العوام

قال الكاتب: أم أنهم كلهم مفطورون على أنه تعالى فوق المخلوقات ، وهذه الفطرة تظل ثابتة في قلوبهم حتى وإن وجدوا من يلقنهم في أذهانهم تلك المقولة الموروثة عن فلاسفة اليونان.

الجواب : بأجوبة ثلاث :

الأول : أن كلامك صحيح في كون الله فوق مخلوقاته ،لكنها عند أهل السنة من الأشاعرة وغيرهم فوقية معنوية هي فوقية القدر والقهر والسلطة ، وعندكم زيادة كونها حسية مكانية وهذا هو نوع من الحلول ،وهو اعتقاد بدعي نـــــــــكره عليكم سراً وجهاراً.

الثاني:أن العلم لشرعي لايؤخذ عن العامة في أمور الآداب ونحوها فضلاً عن علم العقيدة ،فإذا كان مستندك في إثبات فلسفة الجهة العدمية هو كلام العامة فهذا باطل يا أخي الكريم.

الثالث: أن العامة تبع لعلماءهم وخطباءهم ،فإن لقنوهم البدعة تلقنوا .وأجزم جزماً يا أخي الكريم أن العامة لايدرون أن في الكون أناس يهرفون بوجود الله في مكان معدوم .

والخلاء العدمي هو أمر قرره الفلاسفة فشغف به أتباعهم في المعنى وإن شنعوا على التسمية.

عقيدة الجهة

يقول الأخ الحوالي في شرحه للطحاوية : ((والمقصود أنه إذا أريد بالجهة أمر وجودي، أو جهة من الجهات الموجودة، ونحن لا نثبتها لك ولا يصح ذلك، فإن الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- أعظم من كل هذه الموجودات، ونحن لا نثبتها له

ولا يصح ذلك، وإن أُريدَ بالجهة أمر عدمي، وهو ما فوق العالم، فليس هناك إلا الله وحده، فإذا قيل: إنه في جهة بهذا الاعتبار فهو صحيح، ومعناه: أنه فوق العالم حيث انتهت المخلوقات فهو فوق الجميع عالٍ عليهم. فلم نقصد بكلمة الجهة حيزاً معيناً، وإنما أردنا شيئاً اعتبارياً أي: بالنسبة للكون فإنه توجد جهة ينتهي إليها فنقول ما فوق الكون، فلو قلنا: الكرسي فوق السماوات السبع، وفوقه العرش والله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- فوق العرش، إذاً الجهة هنا ليست شيئاً وجودياً وإنما شيئاً اعتبارياً، وقد قلنا -ونعيد-: إن الجهة يمكن أن تكون أشياء اعتبارية فقط، فنحن -مثلاً- نقول للسقف: إنه عالٍ علينا وما ذلك إلا باعتبارنا نَحْنُ لأننا تحته.

ولو أن هنالك بيتاً للنمل في سقف، والنمل يمشي فيه، فبالنسبة للنملة يكون العلو ما نَحْنُ عليه ونعده أسفل، فالقصد أن هذا شيئاً اعتبارياً.

فباعتبار الكون وأنه كله ضئيل وحقير بالنسبة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، هل هناك جهة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؟ نعم، جهة الفوقية، أي: أن الله فوق هذا الكون، ولكن نفاة لفظ الجهة نفوا الاحتمال الصحيح ويريدون بذلك نفي العلو.))أ نتهى كلام الكاتب

أنظر إلى التنافضات في كلام الكاتب: 1ـــ إدعى الأخ الكاتب ـــ هداه الله ـــ أنه لا يقول إلا بقول الله ورسوله ثم جاء بما لم يقل الله ولا رسوله صلى الله عليه وسلم ،ثم زاد على ذلك فنسبه إلى السلف وليس له سلف في ذلك إلا الفلاسفة والكرامية .

2ـــ قول الكاتب (نفاة لفظ الجهة) وكذلك ردد الموجان في كتابه نفس كلام الحوالي وزاد الموجان فقال : بل لفظ المكان ذكر الذهبي أنه في الصحيح . وقال في الحاشية: ولعل الذهبي أراد حديث الإسراء وفيه ((فعلا إلى الجبار جل جلاله وهو في مكانه))وإن كان السياق ليس مجزوماً فيه أن المراد الرب تعالى . أ ـــ هـــ

[69] أقول فإذا كان السياق ليس مجزماً به فلماذا تورده لإيهام القراء أن الله سبحانه في مكان أو جهة . وكلام الحوالي يوهم أن الخلاف في مجرد اللفظ وأن المبتدع هو اللفظ فقط ،وهذا باطل ،فالذي ينكره الأشاعرة وسائر أهل السنة هو كون الله في جهة باللفظ والمعنى ،فعند أهل السنة أن الله لا يحل في مكان سواء اسميته مغالطة بالمكان أو الجهة العدمية ،أواسميته بالجهة الوجودية ،أواسميتة علواً أو ارتفاعاً،أو ما أردت من أسماء .وليست المسألة مجرد لفظ .

ـــ يقول الكاتب : [فإنه توجد جهة ينتهي إليها فنقول ما فوق الكون، فلو قلنا: الكرسي فوق السماوات السبع، وفوقه العرش والله –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى– فوق العرش، إذاً الجهة هنا ليست شيئاً وجودياً وإنما شيئاً اعتبارياً]

الجواب: يدعي الدكتور الحوالي وكذا الموجان ـــ غفر الله لي ولهما ـــ أن الجهة أمراً اعتبارياً وليس وجودياً ، مع تسليمهم بأن الله تعالى لا يحل في الجهة الوجودية لكنه في الجهة الاعتبارية .قال الموجان : أن الجهات لا نهاية لها ،وما لا يوجد فيما لانهاية له فليس بموجود .اهـــ [70]

فأقول : تأملوا هذا الذي يصفه الحوالي والموجان هل يسمى شيئاً اعتبارياً؟!!

قال الحوالي: تقول [الكرسي فوقه العرش] هل هذا حسي أم اعتباري ؟ ثم الله سبحانه فوق العرش ، فكلامك يفيد إثبات مكان حسي وليس اعتبارياً .ويؤكد ذلك قولك في صدر كلامك: (ومعناه: أنه فوق العالم حيث انتهت المخلوقات) ،فهل بعد هذا من تصريح بجهة حسية يحل الله فيها ؟!

فالأمور الاعتبارية تنقسم إلى قسمين :

أ) أمور اعتبارية انتزاعية .

ب) أمور اعتبارية اختراعية كبحر من زئبق فهو أمر اعتباري اختراعي أي ابتداعي لأنه ابتداع الشخص.وكلا الأمرين لا يثبت في مسألتك، لأنها من قبل المستحيل ،فدعوى وجود محيط من زئبق أيسر من دعواك وجود الخالق في جهة عدمية .والعلو الثابت لله يا أخي هداك الله هو علومعنوي ،لا جسماني فهو علو القهر والغلبة والسلطة وليس علواً حسياً في جهة عدمية فلسفية .!!وإنما أوتيتم من قبل قياسكم وجود الخالق على وجود المخلوق، فلم تعرفوا مخلوق إلا وهو في جهة أو مكان، وإن لم يكن كذلك فهو معدوم ،فجعلتم الخالق كالمخلوق . وقد ذكر ابن تيمية رحمه الله حديث الأوعال ، ورد على من حاول الطعن فيه وقال [هذا الحديث مع أنه رواه أهل السنن كأبي داود وابن ماجه والترمذي وغيرهم فهو مروي من طريقين مشهورين ، فالقدح في أحدهما لا يقدح في الآخر] [71] .

---

[69] الرد الشامل ص71

[70] الرد الشامل للموجان 71

[71] مجموع فتاوى ابن تيمية: 3 / 192 .

الجواب: حديث الأوعال روي من طرق عن سماك بن حرب عن عبد الله بن عَميرة عن الأحنف بن قيس عن العباس بن عبد المطلب عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: [هل تدرون بعد ما بين السماء والأرض؟] . فقالوا: لا . فقال: [إن بعد ما بينهما ... ، ثم السماء فوقها كذلك ، ... ثم فوق السابعة بحر ... ، ثم فوق ذلك ثمانية أوعال بين أظلافهم وركبهم مثل ما بين سماء إلى سماء ، ثم الله تبارك وتعالى فوق ذلك] .

فقوله : الحديث مروي من طريقين مشهورين وأن القدح في أحدهما لا يقدح في الآخر !! .

غير صحيح فهذا الحديث معروف ومشهور في عدد من المصادر بالسند المذكور بعاليه و ليس له غيره ، وهو سند ضعيف بيِّن الضعف ، فيه سماك بن حرب وعبد الله بن عميرة:

فأما سماك بن حرب فقد وثقه ابن معين وأبو حاتم ، لكن ضعفه شعبة وعبد الله بن المبارك وسفيان الثوري وغيرهم ، وقال أحمد: مضطرب الحديث . وقال النسائي: ليس ممن يعتمد عليه إذا انفرد بالحديث لأنه كان يقبل التلقين . وأما عبد الله بن عَميرة فقد ذكره ابن حبان في الثقات ، وقال الإمام مسلم: تفرد سماك بالرواية عنه . وقال إبراهيم الحربي: لا أعرفه . وقال ابن حجر في التقريب: مقبول . ومراد ابن حجر بقوله هذا أنه يقبل في المتابعات لا فيما انفرد به ، وذكره في ثقات ابن حبان لا ينفعه لما عرف من تساهل ابن حبان . فمثل هذا السند لا يصلح للاحتجاج به في الأحكام فكيف يحتج به في العقائد؟ !!![72]

4ــ قولك يا أخي الكريم :أن الله في جهة معدومة !تناقض تام .فكون الموجود حل في المعدوم هو نفي له .و كأني ببعض الناس لا يؤمن إلا بموجود في مكان ،فلما وجد أن العلماء قد أجمعوا على تكفير الحلولية قال :ليس موجود في موجود بل هو موجود في معدوم.!

5ــ وإنما أوتيتم من قبل قياسكم وجود الخالق على وجود المخلوق ، فلم تعرفوا مخلوق إلا وهو في جهة أو مكان وإن لم يكن كذلك فهو معدوم،فجعلتم الخالق كالمخلوق. والذي عليه أهل السنة والجماعة أن الله موجود قبل خلق الزمان والمكان، فإن استطعت أن تتخيل أو يتخيل غيرك بالذهن البشري القاصر حقيقة صفة وجوده قبل خلق السموات ،والأرض ،والعرش، والزمان ،والمكان :فيمكن أن تتخيله بعد خلقها ،وإن عجز ذهنك وخيالك :فأرح عقلك ،وسلم لربك يا أخي ،واعلم بأنه سبحانه لا يتغير ولا يتبدل .فإن ظننت أنه تغير بعد خلقه للمخلوقات، أو أن وجودها أثر عليه سبحانه وتعالى ؛فانحاز في فضاء وهي في فضاء ، أو أن وجوده كوجودها فظننت أن المخلوق مادام أنه في فراغ فالخالق كذلك ، فهذا نسج من خيال والله لا يقاس بخلقه ولا يتغير ولا يتبدل .لأنك إن ظننت أنه تغير :فإما أن يتغير إلى حال أفضل مما كان عليه قبل خلق المخلوقات ،وإما إلى حال أقل ،وعلى كلا الاحتمالين فهو إما أن يكون في حال نقص أعقبه كمال ، أو في حال كمال فتغير إلى نقص والله منزه عن كل ذلك.

---

72 وانظر ذلك بحروفه في رد الأشاعرة ودعاوى المناوئين للأدلبي.

6ـــ أنت كأي مسلم ،تُسلّم أن الله موجود بغير زمان ،أي أنه موجود قبل خلق الزمان ،فأزليته غير مرتبطة بزمن ، والناس لا يعقلون فيما نشاهد إلا أسبقية مرتبطة بزمن، فيقال موجود قبل ألف سنة ،أو منذ بداية الزمان ،أو نحو ذلك ،فكما عقلت وجود الله غير مرتبط بزمن، كذا فاعقل وجود الله غير حال في جهة ، لأن الأزمنة ،والأمكنة ،والجهات حادثات مخلوقة، ووجود الله أزلي لا يرتبط وجوده بوجودها .

تنبيه : الدهرية يعقلون وجود الله في غير جهة ومكان ،ولكن لا يعقلون أزلية الله إلا مرتبط بزمن.

والكرامية ،وكذا أتباع منهج ابن تيمية: يعقلون أزلية الله بغير زمن، ولكن لا يعقلون وجود الله إلا في جهة.

ووفق الله أهل السنة والجماعة للإيمان بوجود الله من قبل الزمان والجهات ولا يتغير ولايتبدل سبحانه عز شأنه ؛ فكانوا أمة وسطاً. قال الإمام أحمد ((والله تعالى لم يلحقه تغير ولا تبديل ،ولا تلحقه الحدود قبل خلق العرش ولا بعد خلق العرش))أ ـــ هـــ [73]

7ـــ قد وردت آيات وآحاديث ،أشكلت على فئام من الناس ؛فظنوا أن الله يحل في الأرض كقوله تعالى ((ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم))،وقوله ((وهو معكم أينما كنتم)) ، وقوله ((ونحن أقرب إليه من حبل الوريد)) ،فتأولها أهل السنة على معنى لائق بالله ونفوا أن يكون معناها على ظاهرهاالمتبادر للأذهان ،وقالوا (معنا)ليس بذاته وإنما (معنا)بعلمه.وكذا يقول أهل السنة في النصوص التي أوهمت حلول الله في العرش ،أو في السماء ،أو الجهة ،أو غيرها من المخلوقات ،فكيف بمن يقول بأنه يحل في المعدومات؟!

الأدلة الموهمة لحلول الله في الجهة : قد تمسكوا بإثبات الجهة المكانية لله بأدلة أجاب عنها علماء أهل السنة والجماعة أسوقها باختصار :

ولكن بداية فلابد من التأكيد على النقاط التالية :

اولاً : 1ـــ أن أهل السنة والجماعة من الأشعرية وغيرهم يؤمنون بوجود الله فكان الله و لم يكن شيء معـــه، ولا قبله .

2ـــ أن الله غير حال في مخلوقاته ومنها الجهات والأحياز .

3ـــ أن ذات الله وصفاته ومنها صفة الوجود لا يقاس بالحس و الخيال، فلا نكيفها ،ولا نقيسها على وجـــود المخلوقات .

ثانياً : كما أن أهل السنة والجماعة يؤمنون بآيات وأحاديث وردت في كتابه وسنة رسوله

---

[73] أعتقاد الإمام أحمد ص41

فيثبتونها لله مع القطع بأنها ليست على المعنى الذي لا يليق بالله ،كصفة اليد،والوجه ،والعين فليست بجوارح ولا أعضاء وهذا لا يعقل فيما نشاهد إلا كونها أعضاء، فكذلك وجود الله واستواءه ،وعلوه نثبته لله مع القطع بنفي المعنى الباطل الذي لا يليق به ،كوجوده في المخلوقات أو الأحياز والجهات ،وهذا مخالف لما نراه في وجود المخلوقات لأنه لا قياس بين الخالق والمخلوق.

قال الإمام أحمد: من قال أنه بذاته في كل مكان أو في مكان فكافر لأنه يلزم منه قدم المكان .[74]

وقال أيضاً : والله تعالى لم يلحقه تغير ولا تبديل ،ولا تلحقه الحدود قبل خلق العرش ولا بعد خلقه .

وقال:وهو عالم بالأشياء ومدبرها من غير مخالطة ولا مواجهة .[75]وقال: إن لله تعالى يدين وهما صفة له ،وليستا بجارحتين ،وليستا بمركبتين ،ولا جسم ،ولا من جنس الأجسام، ولا من جنس التركيب ،والأبعاض ،والجوارح ولا يقاس على ذلك..أ ــ هــ[76]

قال الإمام الرازي: أن كل موجودين ، فإن وجودهما يحتمل ثلاث احتمالات:

1ــ لا بد أن يكون أحدهما حالاً في الآخر 2ــ أو مبايناً عنه ، مختصاً بجهة من الجهات الست المحيطة بــه 3ــ أو غير حال في العالم[77]ولا مباين عنه بالجهة. وإن جمهور العقلاء المعتبرين ، اتفقوا على أنه تعالى ليس بمتحيز ولا مختص بشيء من الجهات ، وأنه تعالى غير حال في العالم ، ولا مباين عنه في شيء من الجهات .

و إن المخالفين لا بد لهم من الاعتراف بوجود شيء على خلاف حكم الحس والخيال .أ ــ هــ

مقارنة بين رأي الجهوية والدهرية :

قال الإمام الرازي :إن أهل التشبيه قالوا : العالم المخلوق والباري موجودان . وكل موجودين فإما أن يكون أحدهما حالاً في الآخر أو مبايناً عنه في جهة . قالوا : والقول بوجوب هذا الحصر معلوم بالضرورة ، والقول بالحلول محال. فتعين كونه مبايناً للعالم بالجهة . وبهذا الطريق احتجوا بأنه تعالى مختصاً بالحيز والجهة . وأهل الدهر . قالوا : العالم والباري موجودان . وكل موجودين فإما أن يكون وجودهما معاً أو أحدهما قبل الآخر . ومحال أن العالم والباري معاً وإلا لزم : إما قدم العالم ، أو حدوث الباري .

وهما محالان . فثبت : أن الباري قبل العالم . ثم قالوا : والعلم الضروري حاصل بأن هذه الأزلية لا تكون إلا بالزمان والمدة . وإذا ثبت هذا فتقدم الباري (على العالم) إن كان بمدة متناهية لزم حدوث الباري . وإن كان بمدة لا أول لها ، لزم كون المدة قديمة . فأنتجوا بهذا الطريق قدم المدة والزمان .

[74] نهاية المبتدئين 31

[75] أعتقاد الإمام أحمد 41

[76] أعتقاد الإمام أحمد 33 وهو بذلك رد على المشبهة والجهمية والمعتزلة فأثبت الصفة ونفى المعنى الباطل وهو عين عقيدة الأشاعرة وراجع تفسير الرازي وغيره لترى ذلك.

[77] العالم :أي المخلوقات.

فنقول : حاصل هذا الكلام : أن المشبهة زعمت أن مباينة الباري تعالى عن العالم ، لا يعقل حصولها إلا بالجهة . وأنتجوا منه : كون الإله في الجهة . وزعمت الدهرية : أن تقدم الباري (تعالى) على العالم لا يعقل حصوله إلا بالزمان . وأنتجوا منه : قدم المدة . وإذا ثبت هذا فنقول : حكم الخيال في حق الله تعالى ، إما أن يكون مقبولاً أو غير مقبول . فإن كان مقبولاً ، فالمشبهة يلزم عليهم مذهب الدهرية ، وهو أن يكون الباري (تعالى) متقدما على العالم بمدة غير متناهية ، ويلزمهم القول بكون الزمان أزلياً . والمشبهة لا يقولون بذلك . والدهرية يلزم عليهم مذهب المشبهة – وهو مباينة الباري (تعالى) عن العالم بالجهة والمكان – فيلزمهم القول بكون الباري (تعالى مكانياً – وهم لا يقولون به – فصار هذا التناقض وارداً على الفريقين.

وأما إن قلنا : حكم الوهم والخيال غير مقبول البتة في ذات الله تعالى وفي صفاته . فحينئذ نقول :

قول الكرامية : إن كل موجودين فلا بد وأن يكون أحدهما حالاً في الآخر ، أو مبايناً عنه بالجهة : قول خيالي باطل ، وقول الدهرية بأن تقدم الباري (تعالى) على العالم ، لا بد وأن يكون بالمدة والزمان : قول خيالي باطل .

وهذا هو قول أصحابنا أهل التوحيد والتنزيه ، الذين عزلوا حكم الوهم والخيال عن ذات الله تعالى وصفاته . وذلك هو المنهج القويم ، والصراط المستقيم.

برهان آخر: إن معرفة أفعال الله نعالى وصفاته ، أقرب إلى العقول ، من معرفة ذات الله تعالى . ثم القائلين بأن الله في الجهة وافقونا على أن معرفة أفعال الله تعالى وصفاته على خلاف حكم الحس والخيال.

إلى أن قال: وأما تقرير هذا المعنى في الصفات . فذلك من وجوه :

أحدها : إنا لا نعقل ذاتاً (تكون عالمة) بمعلومات لا نهاية لها على التفصيل دفعة (واحدة) فإنا إذا جربنا أنفسنا ، وجدناها متى اشتغلت باستحضار معلوم معين ، امتنع عليها في تلك الحالة ، استحضار معلوم آخر . ثم إنا مع ذلك نعتقد : أنه – تعالى – عالم بما لا نهاية له من المعلومات على التفصيل من غير أن يحصل فيه اشتباه والتباس . فكان كونه – تعالى – عالماً بجميع المعلومات : أمراً على خلاف مقتضى الوهم والخيال.

وثانيها : إنا نرى أن كل من فعل فعلاً ، فلابد له من آلة وأداة ، وأن الأفعال الشاقة تكون سبباً للكلالة والمشقة لذلك الفاعل . ثم إنا نعتقد أنه – تعالى – يدبر من العرش إلى ما تحت الثرى ، مع أنه منزه عن المشقة واللغوب والكلالة .

فثبت أن الوهم والخيال قاصران عن معرفة أفعال الله – سبحانه وتعالى – وصفاته . ومع ذلك فإنا نثبت الأفعال والصفات على مخالفة الوهم والخيال . وقد ثبت : أن معرفة كنه الذات أعلى وأجل وأغمض ، من معرفة كنه الصفات . ولما عزلنا الوهم والخيال في معرفة الصفات والأفعال ، فلأن نعزلهما في معرفة الذات كان أولى وأحرى .

فهذه الدلائل دالة على كونه – سبحانه وتعالى – منزه عن الحيز والجهة : ليس أمراً يدفعه صريح العقل وذلك هو تمام المطلوب .[78]

وللعلماء في الجواب عن هذه الكلمات أي دعوى كون الله في الجهة : نوعان من الجواب :

النوع الأول : أنتم ساعدتمونا على أن ظواهر القرآن . وإن دلت على إثبات الأعضاء والجوارح لله تعالى . فإنه يجب القطع بنفيها عن الله تعالى . والجزم بأنه منزه عنها . وما ذاك إلا أنه لما قامت الدلائل القطعية على استحالة الأعضاء والجوارح على الله تعالى ، وجب القطع بتنزيه الله عنها ، والجزم بأن مراد الله تعالى من تلك الظواهر ، شيء آخر . فكذا في هذه المسألة : نحن ذكرنا الدلائل العقلية القاطعة في أنه تعالى يمتنع أن يكون مختصاً بالمكان والجهة والحيز . وإذا كان الأمر كذلك ، وجب القطع بأن مراد الله تعالى من هذه الظواهر التي تمسكتم بها ، شيء آخر سوى إثبات الجهة لله تعالى . وهذا إلزام قاطع ، وكلام قوي . إلا أنا نقول : إن تلك الدلائل العقلية التي تمسكتم بها ، ليست قطعية [79]. بل محتملة . فنحن إذاً يجب علينا أن نتكلم معكم في تقرير تلك الدلائل ، ودفع وجوه الاحتمال عنها[80] . فثبت بهذا الطريق : أنا متى بينا أن تلك الدلائل العقلية قاطعة يقينية لم تقدر الكرامية على معارضة تلك العقليات اليقينية بهذه الظواهر . وهذا كلام في غاية القوة . وعند هذا نختار مذهب السلف ، ونقول : لما عرفنا بتلك القواطع العقلية : أنه ليس مراد الله تعالى من هذه الآيات : إثبات الجهة لله تعالى ، فلا حاجة بنا بعد ذلك إلى بيان أن مراد الله تعالى من هذه الآيات . ما هو ؟ وهذا الطريق أسلم في ذوق النظر ،وعن الشغب أبعد .

النوع الثاني: أن نتكلم عن كل واحد من هذه الوجوه على سبيل التفصيل :(لغرض التوضيح ودفع الشبه)

وعلى العموم فلقد تمسكوا بأدلة ترد عليها كثير من الاحتمالات فحملوها على أسوء المحامل التي لاتليق بالله.

والحجة الأولى عليهم : أن نصوص الفوقية لو حملت على المكان الحسي فيقابلها مثلها في نفي الفوقية فمن الآيات قوله سبحانه : {فلما أتاها نُودِيَ من شَاطِئِ الوادِ الأَيْمَنِ في البُقعَةِ المُبَارَكِةِ مِنْ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَى إِنِّي أَنا الله ربُّ العالمين} وظاهره إثبات وجود ذات الله في الأرض في وادي طوى عند الشجرة.

و قوله : {ووَجَدَ الله عنده} وكذا قوله : {: وقوله تعالى ﴿ ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون﴾ .

وقوله تعالى ((وهو معكم أينما كنتم))

---

[78] مختصر بتصرف من مقدمة أساس التقديس.

[79] لابد لطالب العلم من التفريق بين القطعي والظني في الأدلة والدلالات وهذا يستفاد من كتب أصول الفقه .

[80] أي أن وجود الاحتمال دخل عليهم من تمسكهم بظواهرالأدلة على فهمهم كما تمسكت الحلولية على حلول الله في الأرض بظواهر الأدلة الدالة على ذلك حسب فهمهم .فلوجود هذه الاحتمالات اللفظية اشتبه على الكرامية وجود الله في الجهة فكان لابد من إزالة هذه الشبه عنهم بتوجيه الأدلة النقلية المحتملة وذلك بحملها على الأدلة النقلية الأخرى التي تنفي التشبيه وكذلك الأدلة القطعية العقلية التي تنزه الله عن الحلول والانحصار.فبين لهم الإمام وغيره من ائمة السنة توجيه الأدلة وظهر جلياً أنها محتملة لعدة معان وليست بقطعية فبطل الاستدلال بها .

ومن الأحاديث : حديث أبي هريرة رضي الله عنه وفيه يقول النبيصلى الله عليه وسلم ((أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد" أخرجه مسلم (350/1) ، فقد يفهم منه قرب الذات الإلهية حساً من العبد أثناء السجود ، وكذا حديث أنس مرفوعاً: "إن أحدكم إذا قام في صلاته فإنه يناجي ربه)) ، أو ((إن ربه بينه وبين القبلة فلا يبزقن أحدكم قبل قبلته ، ولكن عن يساره أو تحت قدميه" خرجه البخاري برقم (450)

وقول بعض الأئمة للمصلين : استوى واعتدلوا فأنتم بين يد الله . وهو حتماً لا يقصد ظاهر الكلام حرفياً. وعليه فليس الأخذ بظاهر نصوص الفوقية بأولى من الأخذ بظاهر النصوص الأخرى التي حُكي شيء منها ، وعليه فإن الأخذ بالفوقية في المكانة والقدر هو الواجب إذ غيره ممتنع على الله ، وقد ورد عند العرب الفصحاء ذكر الفوقية المعنوية ، وكذا ذكر السماء والصعود ، ومنه قول عنترة ـــ كما في ديوانه في شرحه للتبريزي ص (35) ـــ :

مقامكم في جو السماء مكانه

وباعي قصير عن نوال الكواكب

ومنه قول الناس : فلان فوق فلان،أي في المنـــزلة، وكذا كل من في الشركة يخاف ممن فوقه من المسؤلين .

تفصيل المسائل :

أما الذي تمسكوا به أولاً . وهو الآيات الدالة على استواء الله تعالى على العرش .

فلابد أن نفهم لأن القرآن للتدبر:قال تعالى : ﴿ إن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يغشى اليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين﴾ (54) (سورة الأعراف)

من نظر إلى الآية وجد أنها تتكلم عن أفعال الله في مخلوقاته وهي كالتالي:

1ـــ خلق السموات والأرض .2ـــ أنه استوى على العرش 3ـــ أنه يغشي الليل النهار 4ـــ أن الشمس والقمروالنجوم مسخرات بأمره .

ثم نبه على ذلك بقوله (ألا له الخلق) (والأمر) إذا علمت هذا فالمفهوم من الآية لأول وهلة أنه تعالى خلق السموات والأرض – ثم دبرها وأمرها بما أراده منها فصارت مسخرة بأمره – فله الخلق والأمر ، وهذا دليل على تمام القدرة وإذن يجب أن يفهم من الأستواء المعنى المطابق لذلك مع ملاحظة البلاغة وقواعد اللغة .فيجب أن يفهم من (استوى) المعنى الذى يصح أن يكون متأخرا عن خلق السموات والأرض وليس ذلك إلا الكناية عن تدبير الملك وبذلك يكون المفهوم من (استوى) .بمعنى (قام بتدبير المخلوقات) مناسباً لخلق السموات والأرض ومرتبا عليه ، لأن التدبير لا يكون إلا بعد الخلق ، ويؤيد لك ما يفهم من قوله تعالى ﴿ يغشى اليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله ﴾ ولذلك يذكر الاستواء بعد الخلق دائما .

ويؤكده أيضا قوله تعالى : ﴿ ألا له الخلق والأمر﴾ فهو لف ونشر مرتب فالخلق يشير إلى خلق السموات والأرض ، والأمر يشير إلى الاستواء على العرش ،فلا يجوز أن يكون مراد الله تعالى من ذلك الاستواء : هو الاستقرار على العرش ، ويدل عليه وجوه :

أن ما قبل هذه الآية وما بعدها : مذكور لبيان كمال قدرة الله تعالى ، وغاية عظمته في الإلهية ، وكمال التصرف ، ولذلك تجد في الآية الأخرى في سورة طه «تنزيلاً ممن خلق الأرض والسموات العلى ،الرحمن على العرش استوى ، له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى)) فكلها أفعال فعلها لمخلوقاته تتجلى فيها عظمته فالعباد أنزل عليهم القرآن ، والأرض والسموات خلقها ، والعرش استوى عليه ، لا شك أن المفهوم منه : بيان كمال قدرة الله تعالى، وكمال إلهيته . فقوله : « له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى »بيان أيضاً لكمال ملكه وإلهيته . وإذا كان الأمر كذلك، وجب أن يكون قوله : « الرحمن على العرش استوى » كذلك . وإلا لزم أن يكون ذلك كلاماً أجنبياً عما قبله وعما بعده . .

ويؤيد هذا المعنى آية سورة يونس لأن نصها : ﴿ إن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الأمر﴾ فذكر التدبير بعد الاستواء فهو كالتفسير له فى شرح المفهوم من آيات الاستواء على العرش بما يطابق أصول اللغة والتوحيد وبلاغة القرآن العظيم.

فالمقصود هو لازم معناه ، وهو التدبير وتسخير ما فيها وهو وصف فعلي تأثيره حاصل فى السموات والأرض وما فيها وليس وصف ذاتى كالعلم والحياة .

ولزيادة تأكيد استحالته على الله تعالى نورد الآيات المناقضة لمعنى الاستقرار على العرش ،فنقول الآيات المناقضة لمعنى الاستقرار ثلاث وهى :

اولا : قال الله تعالى فى سورة الحديد : ﴿ هو الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج فى الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أين ما كنتم والله بما تعملون بصير ﴾ .

فإذا فهم من الاستواء والمعية ظاهرهما الذى هو الظرفية المكانية لزم التناقض ،لأن الاستقرار على العرش يمنع المعية المكانية مع أهل الأرض ، والتناقض فى كلامه تعالى محال ، ولزم اتصاف القديم جل وعلا بصفات الحوادث وهى المعية المكانية وما يتبعها وهو محال .

فإن قيل : المقصود من المعية لازمها وهو (العلم) بقصد التخلص من مماثلة الحوات وهذا حق بلا ريب فكذلك المقصود من الاستواء لازمه وهو تدبير خلقه لأن الموجب فى الاستواء والمعية لازمها وهو (العلم) والتدبير بقصد التخلص من مماثلة الحوادث .وفضلاً عن ذلك فإن الموجبات لفهم الاستواء بالتدبير أكثر من موجبات فهم المعية بلازمها مناسب لمعنى التدبير لمملوكاته، ومرتبط به فى المعنى بخلاف الاستقرار الذى لا يتوقف عليه التدبير .

- كونه تعالى معنا بعلمه وصفاته كما يليق بتقديسه ، وكونه بصيراً بأعمالنا ، كل هذا يدل على المراقبة ،والمراقبة تقتضى الاجراءات والتصرفات التى أرادها الله تعالى بكل مخلوق وهذا كله يدخل ضمن التدبير بخلاف الاستقرار الحسي .

الرابع : إن ظاهر قوله تعالى : « ونحن أقرب إليه من حبل الوريد » وقوله : « وهو معكم أينما كنتم » وقوله : «وهو الذي في السماء إله ، وفي الأرضُ إله » [81]

ينفي كونه مستقراً على العرش ، وليس تأويل هذه الآيات لنفي الآيات التي تمسكوا بها على ظاهرها : أولى من العكس .[82] فجاز أن يكون المراد : هو ، القهر ونفاذ القدر ، وجريان الأحكام الإلهية .

أما الذي ذكروه ثانياً وهو التمسك بالآيات المشتملة على ذكر الفوقية . فجوابه : أن لفظ الفوق (يستعمل) في الرتبة والقدرة . فقد قال الله تعالى : {وفوق كل ذي علم عليم } {وإنا فوقهم قاهرون} {يد الله فوق أيديهم }والمراد بالفوقية في هذه الآيات : الفوقية بالقهر والقدرة (ويستعمل في الفوق الذي هو بمعنى الجهة قال تعالى : {بعوضة فما فوقها } أي أزيد منها في صفة الصغر والحقارة . وإذا كان لفظ الفوق محتملاً للفوق في الرتبة ، والفوق في الجهة ، فلم حملتوه على الفوق في الجهة؟! مع أن الآئق بالله هو فوقية الرتبة لا الحلول في الجهة.

والذي يدل على أن المراد بلفظ الفوق ههنا : الفوق بالقدرة والمكنة وجوه :

الأول : إنه قال : « وهو القاهر فوق عباده » والفوقية المقرونة بالقهر ، هي الفوقية بالقدرة والمكنة، لا بمعنى الجهة. بدليل : أن الحارس قد يكون فوق السلطان في الجهة (فيكون في سطح المنزل مثلاً)، ولا يقال إنه أعلى من السلطان .

الثاني : أنه تعالى وصف نفسه بأنه مع عبيده فقال : « إن الله مع الذين اتقوا، والذين هم محسنون» (وقال : « إن الله مع الصابرين »وقال : « وهو معكم أينما كنتم » وقال: « ونحن أقرب إليه من حبل الوريد » وقال:« وإذا سألك عبادي عني فإني قريب » وقال : « ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم » وإذا جاز حمل المعية في هذه الآيات : على المعية بمعنى العلم والحفظ والحراسة فلم لا يجوز حمل الفوقية في الآيات التي ذكرتم على الفوقية بالقهر والقدرة والسلطنة ؟

وأما الذي ذكروه ثالثاً . وهو التمسك بالآيات المشتملة على لفظ العلو : فالجواب : أن لفظ العلو بسبب الجهة . فقد يستعمل أيضا في العلو بسبب القدرة . فإنه يقال : السلطان أعلى من غيره ، ويكتب في أمثلة السلاطين : الديوان الأعلى . ويقال لأمرهم الأمر الأعلى ويقال لمجالسهم : المجلس الأعلى [83]. والمراد في الكل : العلو ، بمعنى : القهر والقدرة و(السلطة). لا بسبب المكان والجهة.

وأيضاً : قال الله تعالى لموسى : « لا تخف إنك أنت الأعلىُ» وقال : « ولا تهنوا ولا تحزنوا ، وأنتم

---

[81] وحديث النزول وغيره من الأدلة التي تبين أن المقصود ليس وجود في مكان وانتقال إلى مكان .

[82] يقولون : الاستلاء لا يكون إلا عن مغالبة . فيقال لهم والاستقرار لا يكون إلا بعد اضطراب فسبحان الله عن ذلك.

[83] ومنه الدارج بيننا في هذا الزمن بقول: مجلس القضاء الأعلى ،والمجلس الأعلى لهيئة الأمم... إلخ.

الأعلون »وقال : « وكلمة الله هي العليا » وقال فرعون : « أنا ربكم الأعلى » والعلو في هذه المواضـــع بمعنى العلو بالقدرة ، لا بمعنى العلو بالجهة .

والذي يدل على أن المراد ما ذكرناه : وجوه :

الأول : أنه تعالى قال : « سبح اسم ربك الأعلى » فحكم بأنه تعالى أعلى من كل ما سواه .

والجهة شيء سواه . فوجب أن تكون ذاته أعلى من الجهة . وما كان أعلى من الجهة امتنع أن يكون علـــوه بسبب الجهة . فثبت : أن علوه لنفس ذاته ، لا بسبب الجهة . ولا يقال : الجهة ليست بشيء موجود حـــتى تدخل تحت قوله : « سبح اسم ربك الأعلى » لأن العلماء ومنهم الإمام : قد بينوا في باب الدلائل العقلية : أنها لا بد وأن تكون الجهة أمراً موجوداً .

وأما الذي تمسكوا به رابعاً : وهو الآيات المشتملة على لفظ العروج أو الصعود. كقوله تعالى : « ذي المعارج . تعرج الملائكة والروح إليه»

فجوابه : ليس المراد من حرف "إلى" في قوله "إليه" : المكان . بل المراد : انتهاء الأمور إلى مراده عزوجـــل. ونظيره : قوله تعالى : « وإليه يرجع الأمر كله» وهو كقولـــه تعـــالى في الظـــل ((ثم قبضـــناه إليناقبضـــاً يسيراً))ومعلوم أن المقصود ليس وجود الله في مكان فتبين أن المراد شيءأخر.

وهو كقول إبراهيم : « إني ذاهب إلى ربي سيهدين » ويمتنع أن يراد به مكان وجودي لله يقطع بالمسافة.وعلـــم منه أن مثل هذه الآيات لاتؤخذ بظاهرها.

حجة الصعود إلى الله كقوله {إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه} حيث إن المراد قبول الله للطاعة قولاً أو عملاً، نص عليه أئمة ومنهم أبو حيان في "البحر المحيط" حيث قال وصعود الكلام إليه تعالى مجـــاز في الفاعـــل وفي المسمى إليه لأنه تعالى ليس في جهة؛ ولأن الكلم ألفاظ لا توصف بالصعود(الحسي)؛ لأن الصـــعود يكـــون مـــن الأجرام، وإنما ذلك كناية عن القبول ووصفه بالكمال،

كما يقال : علا كعبه، وارتفع شأنه ، ومنه ترافعوا إلى الحاكم ورفع الأمر إليه، وليس هناك علو في الجهة" . أ ـــ هــــ [84]

وأما الذي تمسكوا به خامساً : وهو لفظ الإنزال والتنزيل . فجوابه : يمتنع حمل النـــزول على الهبـــوط في قولـــه : {وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج} قال المفسرون كما في تفسير ابن جرير (194/13): أي جعل لكم من الأنعام . إذن معناها جعل .

ومن أقوال الحنابلة في المسألة :[[قال القاضي أبو يعلى: وصفه بالنزول والعلو لا على جهة الانتقال والحركة وقال ابن عقيل الحنبلي : ليس بزوال ولا انتقال ولا كنزولنا] .

---

[84] البحر المحيط 303/7

وقال السجزي: لأن الله كان ولا مكان ،ثم خلق المكان وهو كما كان قبل خلق المكان. [85]]وأما الذي تمسكوا به سابعاً . وهو قوله تعالى : « أم أمنتم من في السماء » ؟ فجوابه : لم يقل المولى عزوجل : (أم أمنتم الله) فمن أين أتوا بذلك؟ . والآية يمكن إجراء ها على ظاهرها ولما تبين أنه ليس فيها ذكر للفظ الجلالة فلم لا يجوز أن يكـــون المراد من قوله تعالى ((أم أمنتم من في السماء)) الملائكة الذين هم في السماء ؟ لأنه ليس في الآية ما يـــدل علـــى أن الذي في السماء هو الإله لا الملائكة ، ولا شك أن الملائكة أعداء الكفار والفساق وأن جبريل حمل أربع قرى حـــتى عنان السماء ثم خسف بهم الأرض.

بل حتى لو قيل أن المراد من « أم أمنتم من في السماء » : أي ملكه أو سلطانه ؟ وخص السماء بالذكر لأنها أعظم من الأرض تفخيماً للشأن . فإذا وردت كل هذه الاحتمالات فالاستدلال باطل.

ومن الآيات التي يستدلون بها على حلول الله في الجهة : قوله تعالى : ((وهو الله في السموات وفي الأرض))ـــــ وهذا باطل بدليل قوله تعالى ((وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله)) فبطل تمسكهم بكونه حالاً فيها أو عليها . ولما كان كونه في الأرض ليس بمعنى الاستقرار ، فكذلك كونه في السماء ، يجب أن لا يكـــون بمعـــنى الاستقرار وإنما هو بمعنى أنه معبودمن في السموات ومن في الأرض لأن هذا هو معنى الألوهية .

وأما الذي تمسكوا به ثامناً . وهو الآيات المشتملة على الرفع كقوله تعالى: « والعمل الصالح يرفعه » فالجواب:يفسره قول النبي صلى الله عليه وسلم ((إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا)) فرفع العمل الصالح هو قبوله وتنميته ـــ وليس دليل على وجود مكان يحل الله فيه ـــ

وأما الذي تمسكوا به تاسعاً. وهو الآيات المشتملة على (لفظ العندية : (فلم لا يجوز أن يكون المراد بالعندية : العندية بالشرف والدليل عليه : قوله عليه الصلاة والسلام — حكاية عن رب العزة – : « أنا عند المنكســـرة قلوبهم لأجلي » وقوله « أنا عند ظن عبدي بي » بل هذا أقوى لأن النصوص التي ذكروها تدل علـــى أن الملائكة عند الله وهذه النصوص تدل على أن الله تعالى عند العبد . وأيضاً قال تعالى : « وإن له عندنا لزلفى » وليس المراد بهذه العندية (العندية) بالجهة فكذا ههنا . فهذا هو الإشارة إلى الجواب عن الوجوه التي تمسكوا بها من القرآن في إثبات الجهة لله تعالى .

وأما الأخبار التي تمسكوا بها . فنقول :

وأما الخبرالأول : وهو قوله عليه السلام: « لما قضى الله الخلق. كتب كتاباً فهو عنده فوق العرش » فالجواب عنه بجوابين : ما تقدم من لفظ « عند » في القرآن .

الجواب الثاني: أنه قد ورد في "الصحيحين" قول النبي ρ : "إن الله كتب كتاباً لما قضى الخلـــق أن رحمتـــه سبحانه سبقت غضبه فهو عنده فوق العرش" البخاري (522/13) ومسلم (2107/4) .

---

[85] نهاية المبتدئين ص32

قال الحافظ في "الفتح" (526/13) : والغرض منه الإشارة إلى أن اللوح المحفوظ فوق العرش . اهـ . وعلى هذا فتبطل دعوى أنه لا وجود لشيء فوق العرش سوى الله .

تنبيه : بعض الطلبة هداه الله تأول ذلك بأنه كتب ذلك على نفس العرش ، وهذا باطل لأن الرواية صريحة في كونه ليس على نفس العرش بل كتب كتاباً فبطل تأوله .

وأما الخبر الثاني :وهو حديث الجارية .

وجوابه :بجوابين :

1ـ إن لفظ « أين ؟ » كما يجعل سؤالاً عن المكان فقد يجعل سؤالاً عن المنزلة والدرجة يقال : أين فلان من فلان ؟ فلعل السؤال كان عن المنزلة ، وإشارتها إلى السماء . أي هو رفيع القدر جداً . ومن ذلك قول العرب في المدح : فلان على رأسي . يقصدون مكانة ومنزلة لا مكاناً واستقراراً.

فالسماء تأتي بمعنى الجرم المعهود ،وتأتي بمعنى العلو المعنوي ومنه قول عنترة ــ كما في ديوانه في شرحه للتبريزي ص (35) ــ :

مقامكم في جو السماء مكانه
وباعي قصييرعن نوال الكواكب

2ـ : أن لفظة ("أين الله" قالت في السماء) المحفوظ خلافها قرره جماعة ومنهم البزار في المسند (14/1) كما في "الكشف" ، والحافظ كما في "التلخيص الحبير" (223/3)، ذلك أن لفظة "(أين الله) قالت في السماء" في سندها هلال بن علي بن أسامة ، وقد ضعفه أبو حاتم الرازي كما في "تهذيب الكمال" للمزي، ولو قيل بعدم ضعفه فهناك من روى القصة بغير لفظه أين ؟، مع كونه أوثق منه وذلك هو ما خرجه عبد الرزاق في مصــنفه (175/9) عن ابن جريج أنه قال أخبرني عطاء فذكر الحديث وفيه : ائتني بها فسألها النبي ρ "أتشهدين أن لا إله إلا الله؟" قالت نعم.

وخرج عبد الرزاق في مصنفه (175/9)، ومالك في الموطأ (ص777) وأحمد في المسند (451/3) عن ابن شهاب ــ أي الزهري ــ عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أن رجلاً من الأنصار جاء إلى رسول الله ρ ... الحديث بمثــل لفظ عطاء . قال ابن كثير في "التفسير" (547/1): إسناده صحيح وجهالة الصحابي لا تضر ا.هـ. وحمل الســند على الاتصال جماعة ومنهم ابن عبد البر في التمهيد (114/9) وللفظ (أتشهدين) شواهد عند الدارمي (187/2) ، وعند البزار في "المسند" (14/1) كما في "الكشف" . وحمله على هذا أولى لأننا نعلم أنه لوجاء يهودي فسألته اين الله فقال في السماء، لما حكمنا بإسلامه لأن الإقرار يكون بالشهادتين لا بقول أن الله في الســماء . ومن هذا الباب أيضاً : ما روى أنس بن مالك – رضي الله عنه – قال : كان جبريل عن النبي ε فأتاه ملك . فقال أين تركت ربنا ؟ فقال : في الأرضين فجاء آخر . فقال : أين تركت ربنا ؟ فقال : في سبع سموات فجاءه آخر . فسأله عنه ؟ فقال : في المشرق . وآخر في المغرب . والتأويل : إنه على وفق قوله تعالى : « وهو الذي في السماء إله ، وفي الأرض إله » وقوله : « وهــو

الله في السموات وفي الأرض » وقوله ك « فأينما تولوا فثم وجه الله » أي أنه تعالى في كل مكان بالحفظ والتدبير والإلهية لا بالحول في الجهات .

وأما قصة المعراج. فالمقصود : أنه يريه الله – تعالى - أنواع مخلوقاته في العالم العلوي والعالم السفلي ، لتكون مشاهداته للدلائل أكثر ، فتصير نفسه أقوى وأكمل . كما في حق الخليل – عليه السلام –.

وأما قوله : « ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى » ففيه وجوه :

« ثم دنا فتدلى » أي جبريل دنا من محمد – عليهما السلام – والدليل عليه : قوله تعالى في آية أخرى : « ولقد رآه بالأفق المبين » ثم لما دنا جبريل من محمد – عليهما السلام – حصل الوحي من الله تعالى إليه ولهذا قال : « فأوحى إلى عبده ما أوحى »

وأما الجواب عن التمسك بقول فرعون « يا هامان ابن لي صرحاً » فهو أن هذا الكلام من فرعون . وهو معارض بأن موسى – عليه السلام – لم : يقل الرب في السماء ، بل قال : « رب السماء» ثم إن فرعون كان قد ظن فيه أن الإله مستقر في السماء .ـــ أي فلا نأخذ بظنون فرعون في

إثبات عقيدتنا ـــ فهذا هو الجواب عن هذه الشبه أــ هـــ[86]

فالخلاصة: أن الكرامية تمسكوا بالمتشابه لإثبات أن الله حال في العرش أو في جهة فوق

العرش وتابعهم ابن تيمية ،ثم أتى أناس في عصرنا فمزقوالأمة بعقيدة غير صحيحة ،وزادوا الطين بلة بنسبتها للسلف الصالح.!!ولا شك أنه الله لا يحل في مخلوقاته خلافاً للحلولية ،وقد تمسك حلولية الأرض بآيات وأحاديث فوقعوا في الزيغ ، وتمسك حلولية الجهة بآيات وأحاديث ،ظنوا بها أن الله حل في مخلوق اسمه الجهة ، بل بعضهم كابر فقال :إنها غير مخلوقة .والمسلم لا يعلم إلا خالق ومخلوق فكيف يقال أن الجهة غير مخلوقة ؟والناظر في اللفاظهم وتصريحاتهم يتبين له أنهم يثبتون جهة حسية لا مجرد أمر اعتباري، وقد سبق بيان ذلك.

إذن فالأشاعرة وسائر أهل السنة والجماعة يثبتون صفة العلو لله تعالى ويفسرونه بعلو القدر والسلطة والمنزلة لا بمعنى العلو الحسي المعروف في المخلوقات .

أخيراً : إذا علمت أن كلام الله ورسوله صلى الله عليه وسلم يرد عليه احتمالات في معناه فإن البشر من السلف الصالح رضي الله عنهم يرد على كلامهم احتمالات من جهتين :

---

[86] جمعت الكلام السابق من مواطن متفرقة للعلماء فمن ذلك كتاب اساس التقديس وغيره من الكتب وكتاب المشبهة والمجسمة لعبدالرحمن خليفة رحمه الله وغيرها من كتابات علماء الأمة .

الاحتمال الأول : من جهة معناه في لغة العرب فإن اللسان العربي يحتمل المعاني بشرط أن يكون ذلك ثابت من جهة اللغة ولا ئق بالله ،فإذا أتى كلام في معناه احتمالات فيحمل على اللائق بالله الذي لا يتصور أن الأئمة يقصدون غيره من المعاني القاضية بالتشبيه .

الاحتمال الثاني: ضعف الرواية عنهم، إما من جهة السند، وإما من جهة المتن ،كأن يكون الكلام المنقول فيه نكارة يخالف مقطوع به من الآيات أو الأحاديث.وهذا الكلام القصير يغني عن تتبع النقول التي توهموا منها تشبيه الله بخلقه فإذا غلط الناس في فهم معان كلام الله تعالى

ورسوله فكيف بما دونهم من البشر.

وأخيراً : فإليكم صورة للكون ، ولأرض من ضمنه ، يتضح فيها بجلاء خطأ اعتقاد كون الله في جهة منه ، أو في جهة اسمها العلو ، وقد كان الناس قديماً يظنون أن الأرض ليست كروية بيضاوية ، وإنما هي منبسطة ،وكانوا يظنون أنها ثابتة لا تتحرك ، فبنى بعض هؤلاء على ضوء هذه الفكرة الحسية كون الله في جهة ، وقد تبين قطعاً في هذا الزمن أن الأرض تدور ،وأنها بيضاوية الشكل وسترى في الصورة التالية موقع الأرض من الفضاء ، وشكلها[87] ، وترى كل في فلك يسبحون ، وتعلم أن القياسات التي كان يقيسها الكرامية وغيرهم ، والخيالات التي بنوا عليها عقيدة الجهة لا أساس لها من الصحة .

ولذا فلا وجه للتمادي في الباطل بعد أن تبين الحق لكل مبتغ له ، إلا إذا وصل الخيال الفاسد ببعضهم إلى أن يتخيل أن الله ـــ سبحانه وتعالى عن ذلك ـــ ذو جسم ممتد حول الكون بشكل دائري ، فهذا والله ضلال مبين .إذن فنؤمن بصفة العلو لله وليست حلول في الجهات ، وقد سبق الكفاية.

دعاوى ضد علماء من أهل السنة

قال الكاتب: من المعلوم أن إمام الأشعرية المتأخر الذي ضبط المذهب وقعد أصوله هو الفخر الرازي (ت 606 هـ) ثم خلفه الآمدي (631 هـ) والآرموي (682 هـ) فنشرا فكره في الشام ومصر واستوفيا بعض القضايا في المذهب (وفكر هؤلاء الثلاثة هو الذي كان الموضوع الرئيسي في كتاب درء التعارض) وأعقبهم الأيجي صاحب المواقف (الذي كان معاصراً لشيخ الإسلام ابن تيمية) فألف " المواقف " الذي هو تقنين وتنظيم لفكر الرازي ومدرسته وهذا الكتاب هو عمدة المذهب قديماً وحديثاً .

وقد ترجم الحافظ الذهبي – رحمه الله – في الميزان وغيره للرازي والآمدي بما هم أهله ، ثم جاء ابن السبكي – ذلك الأشعري المتعصب – فتعقبه وعنف عليه ظلماً ، ثم جاء ابن حجر – رحمه الله – فألف لسان الميزان فترجم لهما بطبيعة الحال – ناقلاً كلام ابن السبكي ونقده للذهبي و لم يكن يخاف عليه مكانتهما وإمامتهما في المذهب كما ذكر طرفاً من شنائع الآرموي ضمن ترجمة الرازي .

[87] وهي كالنقطة الصغيرة في هذا الفضاء.فما تكون فيها أيه الإنسان الظلوم الجهول.

الجواب: بالنسبة للإمام الرازي رحمه الله تعالى فهنا مسائل :

اولاً :التشغيب على الإمام الرازي:فأقدم بما يلي :

1ـــ أطبقت كتب السير والتاريخ كلها على أنه مات على أحسن حال ولله الحمد .هذه نقطة .

2ـــ أن الإمام الرازي ليس بمعصوم فقد يخطأ لكنه من أهل السنة والجماعة بلا شك، فإن ثبت أنه أخطأ في مسائل فلا يعني هذا أن الأشاعرة كلهم غلطوا لأنه غلط .

3ـــ وهذا بعض ما نسب إليه ، فقد نسب إليه كتاب في السحر وهذا باطل ، لا يصلح أن ينسب إلى عامي فضلاً عن عالم من علماء الأمة إلا بيقين ،أو التماس عذرله في ذلك، ولكن يبطل دعوى نسبة الكتاب إليه مايلي :

الأول : حكم السحر فيما دوّنه في مؤلفاته الثابتة عنه ،حيث حكم بأنه كفر مخرج من الملة وساق المسألة بتفصيل نفيس يستحق أن يعلمه أهل العلم . [88] فإذن كتابه المنسوب إليه في السحر باطل.

الثاني : قال تاج الدين السبكي: [لم يصح أنه له ، بل قيل إنه مختلق عليه] [89].وهذا هو الصحيح إن شاء الله ، وقطع بعدم صحة نسبته إليه أيضاً صاحب الفوائد البهية ،وصاحب كفة الإرشاد.

لفتة : العالم قد يقرأ في كتب يعرف بها طرائق السحرة لتفنيد ذلك ؛وبيان طرقهم ؛وتفنيد شبهاتهم والتحذير منهم ؛ وبيان وسائلهم ؛وهذا لا يخفى على أهل العلم أنهم أمر مهم ،بخلاف من يقرأه ليسحر الناس بنفع أو مضرة،أي بصرف أو عطف ،أو غيرها من الشعوذات .ولذا قال الرازي في وصيته: اعلموا أني كنت رجلاً محباً للعلم ، فكنت أكتب من كل شيء شيئاً لأقف على كميته وكيفيته ، سواء كان حقاً أو باطلاً .انتهى كلامه

وأقول يا أخي: لو أخذنا الكلام بميزان العدل لعلمنا أن انتصار السبكي للإمام الرازي [90] انتصار في مكانه لتحامل الإمام الذهبي عليه ،وكان الإمام الذهبي من تلاميذ الإمام ابن تيمية ،غفر الله للجميع ،ورغم ذلك فليس الذهبي حجة على الرازي والآمدي ، ولا الرازي والآمدي حجة عليه ،فكلهم علماء لهم قدرهم ويستفاد من علومهم ، و لم أجد فيما ترجمه الحافظ ابن حجر ولا الذهبي إخراج لهم عن عقيدة أهل السنة والجماعة ولا إلحاقاً لهم بالمرجئة أو

---

[88] التفسير الكبير 1/ 626 تفسير آية رقم (102) من سورة البقرة.

[89] طبقات الشافعية الكبرى للسبكي: 8 / 87 .

[90] هو محمد بن عمر بن الحسين بن علي القرشي التيمي البكري الطبرستاني، ابن خطيب الري المشهور بفخر الدين الرازي .
ولد في شهر رمضان من عام (544 هـــ) في مدينة الري واليها نسبته بالرازي.
كان ربع القامة، عبل الجسم، كث اللحية، جهوري الصوت، صاحب وقار وحشمة، له ثروة ومماليك وبزة حسنة وهيئة جميلة.
كان فريد عصره ومتكلم زمانه جمع كثيراً من العلوم ونبغ فيها، فكان اماماً في التفسير والكلام والعلوم العقلية وعلوم اللغة، ولقد اكسبه نبوغه العلمي شهرة عظيمة، فكان العلماء يقصدونه من البلاد ويشدون اليه الرحال من مختلف الاقطار.
اخذ العلم عن والده ضياء الدين وعن الكمال السمعاني والمجد الجيلي وغيرهم من العلماء الذين عاصرهم ولقيهم، والى جانب شهرته العلمية فقد اشتهر بالوعظ حتى قيل انه كان يعظ باللسان العربي واللسان العجمي.
وكان يلحقه عظيم الخشوع في حال الوعظ ويكثر البكاء فيبكي سامعوه كثيراً من شدة وقع مواعظه في قلوبهم وسحرها في افئدتهم.
التفسير والمفسرون ج1، ص 290.

الجهمية كما تفعل .

قال الذهبي في ترجمة فخر الدين الرازي محمد بن عمر المتوفى سنة (606هـ) : [رأس في الذكاء والعقليات ، لـه كتاب السر المكتوم في مخاطبة النجوم ، سحر صريح ، فلعله تاب من تأليفه إن شاء الله ، وله تشكيكات على مسائل من دعائم الدين تورث حيرة] [91].

وأنقل لكم كلام الإمام ابن تيمية في الإمام الرازي غفر الله لهما لتعلم سر تحامل الإمام الذهبي ؛

قال ابن تيمية : وهذا موجود في كلام متقدمي الجهمية ومتأخريهم ، مثل أبي عبدالله محمد بن عمر الرازي الجهمي الجبري وإن كان قد يخرج إلى حقيقة الشرك وعبادة الأوثان في بعض الأوقات وصنـــف في ذلك كتابه المعروف في السحر وعبادة الأوثان .!! (مج الفتاوى 213/16)

إذا كان هذا رأي ابن تيمية في إمام المسلمين الفخر الرازي فماذا تتصور من تلاميذه بعد هذه التهمة له نسأل الله العافية ؟!!

وقد تأثر به تلاميذه وأتباعه ومنهم الإمام الطوفي الحنبلي وغيره،ولذا تأثر الشيخ محمد بن عبدالوهاب النجدي بكلام ابن تيمية قال فيه:وأبلغ من ذلك أن منهم من صنف في الردة كما صنف الفخر الرازي في عبادة الكواكب ،وهـــذه ردة عن الإسلام باتفاق المسلمين. أ ــ هــ تاريخ نجد 348 قال الشيخ محمد بن عبدالوهاب : فانظر كلامــه (أي ابن تيمية) في التفرقة بين المقالات الخفية وبين مانحن فيه في تكفير المعين ،وتأمل تكفيره رؤوسهم :فلانــاً وفلانــاً بأعيانهم ،وردهم ردة صريحة ، وتأمل تصريحه بحكاية الاجماع على ردة الفخر الرازي عن الإسلام . انتـــهى كـــلام الشيخ محمد بن عبدالوهاب بحروفه [92].

ومنه يتبين للقارىء الكريم عدة أشياء :

1ــ تكفير ابن تيمية وابن عبدالوهاب للعلماء بأعيانهم وليس التكفير الوصفي فحسب كما يدعي المدعون.

2ــ دعوى الإجماع على تكفير الإمام الرازي وكونه يؤلف في عبادة الأوثان .!!فالله المستعان.

وقارن بينه وبين كلام إمام من أئمة الجرح والتعديل وهو الحافظ ابن حجر حيث قال: : [والفخر كان من أئمة الأصول ، وكتبه في الأصلين شهيرة سائرة ، وله ما يُــقبل وما يُــرد] [93] . فجزاه الله خيرًا ما أعظم إنصافه .

قال الإمام السبكي يتحدث عن الرازي: فإنه يعتبر مجدد القرن السادس .وقال وهو يرد على شيخه الذهبي لتنقصــه للرازي : ليس لذكره في هذا المكان معنى ولا يجوز من وجوه عدة : أعلاها أنه ثقة حبر من أحبار الأمة .وأدناها أنه لا رواية له ،وذكره في كتاب الرواة مجرد فضول وتعصب ،وتحامل تقشعر منه الجلود .وقال في الميزان : له كتــاب أسرار النجوم سحر صريح، قلت : وقد عرّفناك أن هذا الكتاب مختلق عليه ،وبتقدير صحة نسبته إليه ليس بســحر

---

[91] ميزان الاعتدال : 3 / 340

[92] في الرسالة (21) المودعة في تاريخ نجد ص348ــ 349 لابن غنام تحقيق ناصر الدين الأسد.

[93] لسان الميزان: 4 / 427 .

فليتأمله من يحسن السحر .يكفيك شاهداً على تعصب شيخنا عليه ذكره إياه في حرف الفاء حيث قال :الفخر الرازي ولا يخفى أنه لا يُعرف بهذا ولا هو اسمه ، أما اسمه فحمد ،وأما ما اشتهر به فابن الخطيب ،والإمام ...اهـ [94]

بل يعلق طاش كبري زاده على كتاب السر المكتوم المكذوب على الرازي فيقول: إن الكهانة في السر المكتوم على قسمين : قسم يكون من خواص بعض النفوس وهذا ليس بمكتسب .وقسم يحصل بالإشتغال بالعزائم ،ودعوة الكواكب وله طرق .ثم إن المفهوم من ذلك الكتاب أن سلوك هذا الطريق محرم في شريعتنا فيجب التحرز عن اكتسابه (أي فعله) وتحصيله .أـ هـ [95] ويقول ابن خلدون : ونحن لم نقف عليه والإمام الرازي لم يكن من أئمة الشأن فيما نظن . [96]

فالناتج من كلامهم مسائل :

الأولى :عدم صحة نسبة الكتاب للإمام الرازي رحمه الله تعالى .

الثانية : أن كتاب السر المكتوم بوضعه الذي رآه العلماء في زمنهم ليس فيه تقرير لعبادة الأوثان كما قال ابن تيمية ،بل حاصله أن سلوك طريق السحر والكهانة محرم في شريعتنا ،هكذا صرح به من أطلع عليه من العلماء . ولا يخفى أن حكاية الكفر وتوصيفه للتحذير منه والوقوف على صورته جائز .

الثالث : أن مؤلف كتاب السر المكتوم سواء كان هو الرازي ، أو غيره قد قال في مقدمة الكتاب :أما بعد فهذا كتاب نجمع فيه ملخص ما وصل إلينا من علم الطلمسات والسحريات ..مع التبري عن كل ما يخالف الدين واليقين .أـ هـ [97]

4ـ تهمة ابن تيمية للرازي بتهمة أخرى باطلة : قال ابن تيمية ـ غفر الله له ـ : [وقد قيل إن الأشعري في آخر عمره أقرَّ بتكافؤ الأدلة ، واعتبر ذلك بالرازي ، فإنه في هذه وهي مسألة حدوث الأجسام يذكر أدلة الطائفتين ، ويصرح في آخر كتبه وآخر عمره وهو كتاب المطالب العالية بتكافؤ الأدلة وأن المسألة من محارات العقول ، ولهذا كان الغالب على أتباعهم الشك والارتياب في الإسلام] [98].

ومعلوم أن الشاك في الإسلام كافر فضلاً عن المرتاب !!والذي ذكره الإمام فخر الدين الرازي في هذه المسألة في هذا الكتاب هو أنه فصَّل دلائل الفلاسفة فيها ، واستقصى في تقرير الوجوه المستخرجة من اعتبار حال الفاعلية والمؤثِّرية والدلائل المستنبطة من صفة القدرة والإرادة والحركة والسكون وغير ذلك ، كل ذلك على مذهب أصحاب القدم منهم وعلى مذهب أصحاب الحدوث ، وختم هذه المباحث بقوله: [وههنا آخر الكلام في هذا البحث المهيب

[94] طبقات الشافعية : 37/5
[95] مفتاح دار السعادة ومصباح السيادة 31/1
[96] مقدمة ابن خلدون ص930
[97] مقدمة القضاء والقدر للشيخ محمد البغدادي.
[98] التسعينية ص201

والمطلوب الهائل][99] . و لم يصرح بتكافؤ الأدلة وأن هذه المسألة من محارات العقول!!! كما ذكر ابن تيمية .وكأنه ــ رحمه الله ــ يبين في ذلك الفصل ما عند الفلاسفة من الاستدلال والاستدلال المضاد دون أن يذكر قوله هو،من باب عرض أقوال الناس كما هي لأنه في معرض البحث والنقل لا في مبحث الحكم ، ثم يذكر قوله معرباً ومفصحاً عنه بعد ذلك إذ يقول بعد ورقات أربع : [فإذا تأملنا في السموات وفي الكواكب وفي أحوال العناصر الأربعة وفي أحوال الآثار العلوية والمعادن والنبات والحيوان ولا سيما الإنسان ؛ وجدنا من الحكم القاهرة والدلائل الباهرة ما غرقت العقول فيها وحارت الألباب في وصفها ، لاجرم كانت هذه الاعتبارات بالدلالة على وجود الفاعل المختار الحكيم الرحيم أولى ، ومتى ثبت القول بالفاعل المختار فقد ثبت القول بحدوث العالم لا محالة][100] . فهل يصح أن ينسب للإمام فخر الدين الرازي رحمه الله أنه يقول بتكافؤ الأدلة في مسألة حدوث الأجسام وأن هذه المسألة من محارات العقول؟ !!! .

وأما مسألة المعارضات والشبه فقد تبرأ من تبعاتها ــ رحمه لله تعالى ــ في وصيته التي أوصى بها حالة الاحتضار ، فقال : [اعلموا أني كنت رجلاً محباً للعلم ، فكنت أكتب من كل شيء شيئاً لأقف على كميته وكيفيته ، سواء كان حقاً أو باطلاً ، ... ولقد اختبرت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيت فيها فائدة تساوي الفائدة التي وجدتها في القرآن ، لأنه يسعى في تسليم العظمة والجلال لله ، ويمنع عن التعمق في إيراد المعارضات والمناقضات ،... وأما الكتب التي صنفتها واستكثرت فيها من إيراد السؤالات فليذكرني من نظر فيها بصالح دعائه ، على سبيل التفضل والإنعام ، وإلا فليحذف القول السيء ، فإني ما أردت إلا تكثير البحث وشحذ الخاطر] [101] .

تنبيه : يشاع في كتابات الكاتب وغيره أن ابن حجر قال في لسان الميزان في آخر ترجمة فخر الدين الرازي [أوصى بوصية تدل على أنه حسّن اعتقاده] !!!. ولكن من نظر في طبعة لسان الميزان المحققة على عدة نسخ خطية ، بعناية الشيخ عبدالفتاح أبو غدة رحمه الله ، تبين له أن تلك الكلمة ليست في شيء من النسخ الخطية ، بل مكتوبة في حاشية إحدى النسخ ، فبطل إثبات تلك الكلمة عن الحافظ ابن حجر رحمه الله والاستدلال بها والبناء عليها وعلم أن آفات الكتب من نساخها المتعصبين أو المتهاونين.[102]

تحامل ابن تيمية على الرازي:

اولاً : ليعلم الجميع أن كتب الرازي كانت هي المقررة في تعليم الناس في زمان ابن تيمية فابن تيمية مما استفاد منها بلا شك .

ثانياً : كان ابن تيمية يدرس لطلابه كتب الإمام الرازي ومنها الأربعين في أصول الدين .

---

[99] المطالب العالية 4/ 322

[100] المطالب العالية 4/ 327 ــ ورد الشيخ صلاح الدين الأردبلي .

[101] انظر سير أعلام النبلاء للذهبي: 21 / 500 ــ 501 .ورد الشيخ صلاح الدين الأردبلي على الكاتب.

[102] مستفاد من رد الشيخ صلاح الدين الأردبلي.

قال ابن رجب: في ص14من العقود الدرية ((ولا زم الشيخ تقي الدين ابن تيمية مدة ،وقرأ عليه قطعة من الأربعين في أصول الدين للرازي. أنتهى .[103]

ثالثاً: إليكم بعد ذلك صور من تحامل الإمام ابن تيمية على الإمام الرازي يتبين به مدى تحامله عليه:

1ــ تدرج في تحامله عليه فبدأ بتنقصه من حيث ما يستمد منه الرازي علمه :فيقول وأما قول أئمة الحديث والتصوف والتفسير فكلام الرازي يدل على أنه لم يكن مطلعاً على ذلك. وكذلك كلام الصحابة والتابعين لهم بإحسان . أنتهى كلامه كما في موافقة صريح المنقول 82/2

مع أن الرازي ملأ تفسيره بالنقل عن أئمة الفقه والحديث والصحب الكرام .والتابعين وانظره لتستيقن .

2ــ حين رد على الرازي في القانون الكلي :يقول ابن تيمية : فالنصارى أقرب إلى تعظيم الرسل والأنبياء من هؤلاء.أ ــ هــ الموافقة 4/1ــ7

وهذه لا تحتاج إلى رد فبينهما (شهادة التوحيد يوم الموقف العظيم).ولا نعلم إلا أن النصارى كان تعظيمهم لنبيهم عبادة له ، فهل نرتضي هذا المقام للرازي.

3ــ يتهم الإمام الرازي بالحيرة ولا يكاد يخلو كتاب من كتبه من الكلام عن هذا ،فترى ذلك مثلاً في الفرقان (97/1) مج الرسائل الكبرى ــ معارج الوصول (185/1)، الرد على المنطقيين (321)تفسير سورة الإخلاص 137 .[104] فلا يخفى والله أن هذا يدل على حقد عظيم على الرازي غفر الله لهما.

وقد سبق أن ذكرت أن الصحابي إذا قال :ليتني شجرة تعضد ،أو ليت أمي لم تلدني ، ونحو هذا الكلام وكذا قول الرازي: تأملت الطرق الكلامية ..إلى أن قال : فلم أجد كالكتاب والسنة فلا شك والله في فضل هذا الكلام وفضل قائله ،وهو يدل على عظيم محاسبته لنفسه وخوفه من ربه وهذا دأب الخاشعين المخلصين.رحمه الله تعالى رحمة واسعة .ولا شك أنه لا أهدى من الكتاب والسنة .

4ــ يتهمه بالكذب كما في المناظرة في العقيدة الواسطية فيقول أنه قال :أبكذب ابن الخطيب (أي الرازي)وافترائه على الناس في مذاهبهم تبطل الشريعة وتندرس معالم الدين .!!!!!!

5ــ ثم وصل به الحال والمقال حتى كفّر الإمام الرازي وقال ((عبادة الأصنام باح بها متأخروهم كالرازي وصنف فيها مصنفاً))!!. مجموعة الرسائل الكبرى (159/1). وقال أيضاً: وأبلغ من ذلك أن منهم من صنف في الردة كما صنف الفخر الرازي في عبادة الكواكب ،وهذه ردة عن الإسلام باتفاق المسلمين. أ ــ هــ تاريخ نجد 348

ولا تعليق فقد سبق ما فيه شفاء .

---

[103] كتاب الأربعين في أصول الدين تحقيق د/أحمد حجازي ص6.

[104] مقدمة كتاب القدر للرازي بتحقيق محمد البغداديص22.

ثانياً : حتى نعلم هل كان السبكي متعصباً أم أن الإمام الذهبي غفر الله له أكثر التحامل على الأشعرية فبالإضافة إلى ما سبق انظر كلامه في الإمام الآمدي قال الإمام الذهبي في ترجـــمة ســـيف الدين الآمـــدي : [قد نفي من دمشق لسوء اعتقاده ، وصح عنه أنه كان يترك الصلاة) [105]

ثم قارن بينه وبين الإمام ابن كثير حيث قال ابن كثير في ترجمة الآمدي: [وكان كثير البكاء رقيق القلب ، وقد تكلموا فيه بأشياء ، الله أعلم بصحتها ، والذي يغلب على الظن أنه ليس لغالبها صحة] [106].وقال ابن حجر: [تفقه لأحمد ابن حنبل ، ثم تحول شافعياً ،... وكان يظهر منه رقة قلب وسرعة دمعة ...] ثم نقل قول القائل [شككنا هل يصلي؟] [107] فهل رقيق القلب لا يصلي ؟!رجل سريع الدمعة لايصلي !!وماهو الدليل على أنه لا يصلي ؟ حبر وضعوه على رجله فتركوه حتى نام ، وعلمنا على رجله بالحبر ، فبقيت العلامة نحو يومين مكانها .أي أن الآمدي لم يشعر بحبر يسكب على رجله و لم يستيقظ !!

1ـــ وهذه القصة باطلة سنداً ومتناً فأما السند فقد رويت بصيغة التمريض .

2ـــ من جهة المتن ففيه نكارة إذ كيف رجل رقيق القلب سريع الدمعة من خشية الله ولا يصلي.

3ـــ على فرض ثبوت قصة الحبر فقد قال الشيخ عبدالرزاق العفيفي : أقول قد يبقى الحبر أياماً على العضو مع تتابع الوضوء والغسل وخاصة عضو من لا يرى التدليك فرضاً في الطهارة بل يكتفي بإسالة الماء :والأصل البراءة حتى تثبت التهمة .أ ـــ هـــ كلام الشيخ العفيفي [108] فليت في هذا إيقاظا لذوي الديانة .

ثالثاً : إمام الحرمين رحمه الله ، وهو أبو المعالي عبد الملك الجويني ذكر أهل السير حكاية حيرته وقد رويت الحكاية من طريق الحافظ أبي العلاء العطار الهمذاني الحسن بن أحمد بن الحسن ، عن الشيخ الصوفي أبي جعفر الهمذاني محمد بن الحسن بن محمد أنه قال : سمعت أبا المعالي وسئل عن قوله تعالى [الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى] [109]. فقال: كان الله ولا عرش . وجعل يتخبط ، فقلت: هل عندك للضرورات من حيلة ؟ . فقال: ما معنى هذه الإشارة؟ . قلت: ما قال عارف قط يا رباه إلا قبل أن يتحرك لسانه قام من باطنه قصد لا يلتفت يمنة ولا يسرة ـــ يقصـــد الفـــوق ـــ , فهل لهذا القصد الضروري عندك من حيلة فتنبئنا نتخلص من الفوق والتحت؟ ! . وبكيت ، وبكى الخلق ، فضرب بكمه على السرير ، وصاح بالحيرة ، ومزق ما كان عليه ، وصارت قيامة في المسجد ، ونزل يقول: يا حبيبي ، الحيرة الحيرة ، والدهشة الدهشة [110] . وفي الطريق الآخر أنه قال فيما بعد: حيرني الهمذاني .

وهي قصة لا تثبت سنداً ولا متناً :

---

[105] ميزان الاعتدال: 2 / 259

[106] البداية والنهاية لابن كثير: 13 / 151

[107] لسان الميزان: 3 / 134 – 135 .

[108] كتاب اتهامات كاذبة ص45 تأليف إبراهيم الحازمي.

[109] آية 5 سورة طه .

[110] سير أعلام النبلاء للذهبي: 18 / 477 ، وانظر: 18 / 474 – 475 .

أما متناً فانظر إلى صياغة هذه المسرحية (1ـــ صاح بالحيرة ، 2ـــ ومزق ما كان عليه ، وصارت قيامة في المسجد ، 3ـــ ونزل يقول: يا حبيبي ، الحيرة الحيرة ، والدهشة الدهشة "!!!!يقوله إمام من أئمة الأمة في الفقه والاعتقاد .!!

أما من جهة السند فأتت بسندين :

الأول : ضعيف لأن الذهبي الذي أورد القصة نقلها عن أبي منصور بن الوليد فالذهبي ولد : 673 هـــ وتوفي : 748 هـــ وأبو منصور بن الوليد الحريمي الحنبلي الذي روى عنه الذهبي القصة توفي : 643 هـــ أي أن الحريمي توفي قبل ولادة الذهبي بثلاثين عاماً ، فيعني ذلك أن الذهبي لم يسمع منه القصة بنفسه مباشرة !! وكتاب العلو ألفه الذهبي في عشرينيات عمره !! أي بعد أكثر من خمسين عاما من وفاة الحريمي.

والحريمي وجه رسالة إلى الزنجاني نقل عنها الذهبي هذا الكلام لكن الزنجاني الموجهة إليه الرسالة هنا هو سعد بن علي الزنجاني : ولد : 380 هـــ توفي : 471 هـــ

السند الثاني : ضعيف أيضاً أوردها أيضا الذهبي في السير :أخبرنا يحيى بن أبي منصور الفقيه في كتابه، عن عبد القادر الحافظ، أخبرنا أبو العلاء الهمذاني، أخبرني أبو جعفر الحافظ، سمعت أبا المعالي وسئل عن قوله: "الرَّحْمنُ عَلَى العَرْشِ" طه ....إلخ يقول الذهبي أخبرنا يحيى بن أبي منصور الفقيه : يحيى بن أبي منصور بن أبي الفتح بن رافع بن علي بن إبراهيم الصيرفي الحراني الفقيه الحنبلي ، وانظر ترجمته في ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب . ولد : 583هـــ توفي : 678هـــ يحيى الصيرفي الحنبلي الحراني. وهذا يعني أن الذهبي لما توفي هذا الفقيه الحنبلي كان له من العمر 5 سنوات فقط !!! فكيف يروي طفل عمره خمس سنوات بلا تمييز عن شيخ متغير الحال ؟! فإن الإمام الصيرفي قد اختلط آخر عمره فحجبه أبناءه عن الناس ، فهو إذن لم يرى أي شخص في آخر سنتين من عمره و لم يره أحد . وهذا يعني أن هذا الفقيه الحنبلي غاب عن الناس وللذهبي ثلاثة أعوام فقط . يقول ابن رجب في ترجمته : وكان قد عمر وتغير من الهرم قبل موته بعامين أو أكثر. فحجبه ولده. انظر ذيل طبقات الحنابلة . والمعروف إذن أن الذهبي. إنما روى عنه بالإجازة كما قال ابن رجب .بل وهي في الإجازات من أضعف أنواع الإجازة !!!

فبطل التعلق بهذه القصص الواهية سنداً ومتناً . وبذا نعلم تعجل الشيخ الألباني في قوله بثبوتها .

تقييم الكاتب للإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني

قال الكاتب هداه الله : والذي أراه أن الحافظ – رحمه الله – أقرب شيء إلى عقيدة مفوضة الحنابلة كأبي يعلى ونحوه ممن ذكرهم شيخ الإسلام في درء تعارض العقل والنقل ووصفهم بمحبة الآثار والتمسك بها ، لكنهم وافقوا بعض أصول المتكلمين وتابعوهم ظانين صحتها عن حسن نية .ولو قيل إن الحافظ – رحمه الله – كان متذبذبا في عقيدته لكان ذلك أقرب إلى الصواب كما يدل عليه شرحه لكتاب التوحيد والله أعلم . وقد كان من الحنابلة من ذهب إلى أبعد من هذا كابن الجوزي وابن عقيل وابن الزاغوني ، ومع ذلك فهؤلاء كانوا أعداء الداء للأشاعرة ، ولا يجوز بحال أن يعتبروا أشاعرة فما بالك بأولئك ....إلى أن قال: وكثيراً ما تجد في كتب الجرح والتعديل – ومنها لسان الميزان للحافظ ابن حجر – قولهم عن الرجل أنه وافق المعتزلة في أشياء من مصنفاته أو وافق الخوارج في بعض أقوالهم وهكذا ، ومع هذا لا يعتبرونه معتزلياً أو خارجياً ، وهذا المنهج إذا طبقناه على الحافظ وعلى النووي وأمثالهما لم يصح اعتبارهم أشاعرة وإنما يقال وافقوا الأشاعرة في أشياء ، مع ضرورة بيان هذه الأشياء واستدراكها عليهم حتى يمكن الاستفادة من كتبهم بلا توجس في موضوعات العقيدة.

الجواب: اولاً :بالنسبة لمفوضة الحنابلة وهم أكثر الحنابلة فهم من أهل السنة والجماعة وهذا هو المطلوب، فابن لجوزي ، وابن هبيرة ، وابن حمدان ، والتميمي ، وجمهورالحنابلة من أهل السنة والجماعة على مسلك التفويض.وسيأتي بيان معنى التأويل والتفويض. وكون ابن عقيل أو ابن الجوزي يخالفون بعض الأشاعرة في بعض المسائل فليست المسألة عداوات كما تتصوريا أخي الكريم، وإنما هذا حال العلماء فبعضهم يرد على بعض ،وقد سبق أن بينت لكم حال الإمام أحمد مع الإمام الكرابيسي وحال أبي زرعة مع البخاري . فإذن ليس كل من خالف عالماً كان معادياً له وإلا فهو هوى وليس بعلم .فإن كان عداء فلا يعني أن يخرجه من الفرقة الناجية .بل قد يخالف في مسألة اجتهادية أو في طلب أسلوب أفضل ،أو في الرد على شخص معين أخطأ في تقرير مذهب الأشاعرة ،أواعتراض على أساليب التعليم بالنظر إلى حال المتعلمين ،أو على التوسع في التأويل من بعضهم ،وليس اعتراض على التأويل .وكل الخلاف بين الأشاعرة والحنابلة كقاعدة أغلبية فإنما هو في التأويل والتفويض وهي مسألة اجتهادية لن ينتهي الخلاف فيها إلا أن يشاء الله، ولا يعني ذلك اخراج أحدالمسلكين من حيز الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة، وهي كخلاف العلماء في كفر تارك الصلاة ونحوها من المسائل الاجتهادية ،فسيقول الحنبلي بكفر تاركها ويقول الجمهور بعدم كفره ولن ينتهي الخلاف فيها لأنها مسألة ظنية .

ثانياً:بالنسة لعقيدة الحافظ ابن حجر: فأشعري لا محالة، وتأويلاته الكثيرة في فتح الباري تدل على ذلك فمن ذلك قوله : ولا يلزم من كون جهتي العلو والسفل محالتين على الله أن لا يوصف بالعلو ، لأن وصفه بالعلو من جهة المعنى ، والمستحيل هو أن يكون ذلك من جهة الحس))ا هــ [111] ،أما تعريفه للإيمان فهو عين تعريف الأشاعرة وسيأتي إيضاح ذلك في الرد على النقاط التي اشتبهت على الكاتب عن علماء أهل السنة والجماعة .

وقال الحافظ في مقدمة الفتح ص 208 : قوله : (أطولهن يدًا) أي: أسمحهن، ووقع ذكر اليد في القرآن والحديث مضافًا إلى الله تعالى، واتفق أهل السنة والجماعة على أنه ليس المراد باليد الجارحة التي هي من صفات المحدثات ، وأثبتوا ما جاء من ذلك وآمنوا به ؛ فمنهم من وقف و لم يتأول، ومنهم من حمل كل لفظ منهـــا على المعنى الـــــذي ظهر له، وهكذا عملوا في جميع ما جاء من أمثال ذلك.اهـــ

قال الحافظ في الفتح 1 / 229 : قوله: "إن الله لا يستحيي من الحق" أي لا يأمر بالحياء في الحق.
قال الحافظ في الفتح 1 / 352 : "والمراد باليد هنا القدرة".أي في قول ابن مسعود: "والذي نفسي بيده"، قال الحافظ ابن حجر 508/1: "وفيه الرد على من زعم أنه على العرش بذاته "[أي:حديث : إن ربه بينه وبين القبلة]وقال الحافظ 1 / 514 : " لأن الحق عند أهل السنة أن الرؤية لا يشترط لها عقلا عضو مخصوص ، ولا مقابلة ، ولا قرب ... " .فلا شك في أشعريته رحمه الله تعالى شأنه في ذلك شأن السواد الأعظم من علماء الأمة.

---

[111] الفتح : 158/6

ثالثاً: بالنسبة للإمام النووي فأشعري يدور بين التأويل و التفويض وإليك بعض أقواله الدالة على ذلك والتي يثني فيها على المتكلمين من الأشعرية :يقول في مسألة الكسب والقدر: وقد قرر أئمتنا من المتكلمين ذلك أحسن تقرير بدلائلهم القطعية السمعية والعقلية .أ ـــ هـــ [112]

ويقول: اتفق أهل السنة من المحدثين والفقهاء والمتكلمين ...[113] وتنبه لقوله: أهل السنة .

تنبيه : تأول الموجان قول النووي : (قرر أئمتنا من المتكلمين) أنه يقصد الشافعية أي من جهة الفقه لا العقيدة ،فلا أدري ماذا يصنع بقول النووي : اتفق أهل السنة من المحدثين والفقهاء والمتكلمين.فهو يقول:أهل السنة. ويقول: محدثين ،وفقهاء ،و متكلمين . هداكم الله لقبول الحق .

قال الذهبي في ترجمة (النووي) في ((تاريخ الإسلام))إن مذهبه في الصفات السمعية السكوت ، وإمرارها كما جاءت ،و ربما تأول قليلاً في شرح مسلم. ونقله السَّخاوي في ((ترجمة الإمام النووي)) (36)عنه ، وتعقبه بقوله: كذا قال، و التأويل كثير في كلامه .ونقل السَّخاوي قبل ذلك عن بعض مترجميه أنه وصفه بأنه أشعري ، فقال : (ص 36) : وصرح اليافعي والتاج السُّبكي ــ رحمهما الله ــ أنه أشعري.أنتهى

وانظر إلى هذا القول الذي لا يمكن دفعه الدال قطعاً على عقيدة النووي قال النووي : من اعتقد قدم العالم أو حدوث الصانع ...أو أثبت له الاتصال أو الانفصال ،كان كافراً.[114] أ نتهى

رابعاً : بالنسبة لمذهب المفوضة فهو أيضاً عندكم من أشر المذاهب فسواء كان الحافظ النووي، والحافظ ابن حجر ،وابن الجوزي أشعرية أم مفوضة فكلا المذهبين ليسوا من أهل السنة والجماعة بميزانكم والله المستعان .

قال الكاتب : قال فضيلة الشيخ الفوزان عن الأشاعرة : " نعم هم من أهل السنة والجماعة في بقية أبواب الإيمان والعقيدة وليسوا منهم في باب الصفات ".   وهذا سبق قلم من فضيلته ، ومثل هذه الدعوى هي التي يهش لها الأشاعرة المعاصرون ويروجونها ، لأنه إذا كان الفارق هو الصفات فقط قالوا إن الخلاف فيها أصله الاجتهاد والكل متفقون على التنزيه فكأنه لا خلاف إذن ، وربما قالوا نحن مستعدون أن نثبت لله يداً وعيناً وسائر الصفات في سبيل توحيد الصف ووحدة الكلمة !!

الجواب : وهل هذا ما يقلقك هداك الله ؟ أم تريد أن تحمل سائر أهل لسنة والجماعة على فهمك وليتك مصيب ؟ !! ثم من قال لك أن الأشاعرة ينفون صفة العين واليد؟؟ فالأشاعرة وسائر أهل السنة والجماعة يثبتون ذلك ولكنهم ينفون المعنى الباطل ، فينفون كون اليد هي العضو والجارحة ، وينفون كون العين هي الحدقة المحاطة بجفن وإنما العين عندهم صفة لله تعالى ثم بعد ذلك إما أن يخاض في بيان معناها على الوجه اللائق بالله السائغ في لغة العرب وهذا هو التأويل ،أو تمر بلا تفسير لمعناها ويكتفى بمعرفة المراد من خلال السياق والسباق وهذا هو التفويض. وسيأتي بيان خطأك العظيم في فهم المسائل عند الأشاعرة إن شاء الله وتوضيح أكثر لهذه المسألة .

---

[112] شرح صحيح مسلم 110/1
[113] شرح صحيح مسلم 106/1
[114] روضة الطالبين 64/10

شروع الكاتب في نقد المسائل بعد كيل التهم

قال الأخ الكاتب وفقه الله لرضاه:

مصدر التلقي

مصدر التلقي عند الأشاعرة هو العقل ، وقد صرح الجويني والرازي والبغدادي والغزالي والآمدي والأيجي وابن فورك والسنوسي وشراح الجوهرة وسائر أئمتهم بتقديم العقل على النقل عند التعارض.

الجواب : ذكر الكاتب مسألتين في هذه الفقرة :

الأولى: مصدر التلقي ، والثانية مسألة تقديم العقل على النقل عند التغارض.

جواب المسألة الأولى :ليس بصحيح أن مصدر التلقي عندهم هو مجرد العقل وإنما العقل فقط شرط للفهم والتكليف واما الأحكام كلها فتثبت بالشرع .

1ـــ قال الإمام الباجوري: مذهب الأشاعرة أن الأحكام كلها ثبتت بالشرع لكن بشرط العقل .[115]وهم بذلك يخالفون المعتزلة اللذين يقولون : أن الأحكام كلها ثبتت بالعقل .[116]

2ـــ وقال الإمام الباقلاني: واعلم أن طرق المباين عن الأدلة التي يدرك بها الحق والباطل خمسة أوجه:كتاب الله عزوجل وسنة رسوله وإجماع الأمة .وما استخرج من هذه النصوص و بني عليها بطريق القياس والاجتهاد وحجج العقول.[117]

3ـــ وقال عبدالسلام اللقاني في تحفة المريد : لا يجب على المكلف معرفة ماقدوجب لله عقلاً إلا بالشرع إذ قبله لا حكم أصلاً لا أصلياً ولا فرعياً كما هو المنقول عن الأشاعرة وجمع من غيرهم.أ ـــ هـــ[118]

4ـــ قال ابن الأمير في حاشيته : متى تقرر الحكم في الواقع تعلق به ووجب الامتثال .بمجرد إخبار الرسول فإن قال قائل : من أين صحة رسالته لنا ؟ قلنا دليله معجزة مقارنة لا يقبل الإعراض عند العاقل تمسكاً بهذا الهذيان .[119]اهـــ كلامه رحمه الله ، فانظر كيف جعل من يجعل مصدر التلقي هو العقل هو ضرب من الهذيان ،لأن الامتثال يكون .بمجرد إخبار الرسول . فقول القائل : أن العقل هو مصدر التلقي عند الأشاعرة باطل وغير صحيح، ولكن العقل عندهم شرط لفهم الأحكام والتكليف بها ليخرج بذلك المجنون ونحوه من غير المكلفين. وأما المصدر عندهم فهو الشرع فقط كما سبق بيانه.فإذا علمت ذلك فلك أن تتعجب من الشيخ الموجان هداه الله حين أبهرته النقول التي تبطل مزاعم شغف بأقوالهم بدون تمحيص بل بمحض التقليد قرر في كتابه الشامل فقال: إن مذهب الأشاعرة والماتردية انبنى في حقيقة أمره على التلقي من العقل لاالسمع شاء ذلك الدكتور عمر أو لم يشأ .أ ـــ هـــ [120]

---

[115] حاشية الباجوري ص85 طبعة دار البيروني.

[116] والمعتزلة لا ينفون الشرع اصلاً وإلا لكفروا قطعاً بل قالوا : أن الشرع جاء مقوياً ومؤكداً للعقل .نفس المصدر

[117] الإنصاف ص30

[118] تحفة المريد مع حاشية ابن الأمير ص60

[119] حاشية ابن الأمير 62،61

[120] الرد الشامل ص34

هكذا بالقوة لا بالحجة لطلب الحق !!! ثم قال الموجان :قد أوضح صاحب المسامرة حقيقة ذلك بأن (الشرع إنما يثبت بالعقل ،فإن ثبوته يتوقف على دلالة المعجزة على صدق المبلغ ،وإنما ثبتت هذه الدلالة بالعقل ،فلو أتى الشرع بما يكذب العقل وهو شاهد له لبطل الشرع والعقل معاً)[121] ثم عزاه إلى كتاب المسامرة شرح المسايرة ص31وهذا الكلام لايوجد في المسامرة فقد بحثته فلم أجده بل الموجود في المسامرة ما نصه: وأولى ما يستضاء به من الأنوار ، ويسلك من طرق الاعتبار ،ما اشتمل عليه القرآن فليس بعد بيان الله بيان ..ثُم ساق الأدلة من الكتاب الكريم .[122]هذا الكلام بنصه . وليس هذا قول الأشاعرة فقط بل هو قول بقية أهل السنة والجماعة ومنهم الحنابلة وغيرهم .وبه بطلت دعوى الموجان والحوالي هدنا الله وهماإلى الحق وأماتنا عليه .

شواهد خضع فيها الكفار لديننا لاحترامه العقل

بينما يشنشن الكثير من السطحيين حول تهميش العقل في كونه وسيلة للعلم اليقيني ،نرى مدى تفاعل وتأثر كثير من الباحثين بقوة هذا المبدأ.وإليكم مثال:

فهذا الكاتب الماركسي "مسكيم رودنسون" يقول في حديثه عن "العقيدة القرآنية": "القرآن كتاب مقدس، تحتل فيه العقلانية مكانا جد كبير، فالله لا ينفك فيه يناقش ويقيم البراهين، بل إن أكثر ما يلفت النظر هو أن الوحي نفسه – هذه الظاهرة الأقل اتساما بالعقلانية في أي دين، الوحي الذي أنزله الله على مختلف الرسل عبر العصور، وعلى خاتمهم محمد – يعتبره القرآن هو نفسه أداة للبرهان، فهو في مناسبات عديدة يكرر لنا أن الرسل قد جاءوا "بالبينات" وهو لا يأل يتحدى معارضيه، أن يأتوا بمثله.والقرآن ما ينفك يقدم البراهين العقلانية على القدرة الإلهية، ففي خلق السماوات والأرض، واختلاف الليل والنهار، وتوالد الحيوان، ودوران الكواكب والأفلاك، وتنوع الخيرات ،والحياة الحيوانية والنباتية، تنوعاً رائع التطابق مع حاجات البشر، لآيات لأولي الألباب سورة آل عمران:180 .

وفعل "عقل" "بمعنى ربط الأفكار بعضها ببعض .. حاكم البرهان العقلي" يتكرر في القرآن حوالي خمسين مرة، ويتكرر ثلاث عشرة مرة هذا السؤال الاستنكاري، وكأنه لازمة {أفلا تعقلون} (سورة البقرة:44.(

"والكفار أولئك الذين يرفضون الاستماع إلى دعوة محمد، يوصفون بأنهم "قوم لا يعقلون"، لأنهم قاصرون عن أي جهد عقلي، يهز تقاليدهم الموروثة، وهم بهذا كالجمادات والأنعام، بل أكثر عجمة، ولذلك يكره الله هؤلاء الناس، الذين لا يريدون أن يعيدوا النظر في أسس تفكيرهم."

"ولئن كان "يعني الله سبحانه" يرسل "الآيات" الدالة" على وجوده وإرادته، وأهمها الآيات المنزلة على نبيه محمد، فلكي يفهمها الناس، ويجعلوا منها أساسا لتفكيرهم، ونرى الله يقيم البينة الفاصلة، ثم يختتم البرهان بقوله: {كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون}(سورة الروم:28.(

---

[121] الرد الشامل 34

[122] المسامرة ص39

ويستمر الكاتب في بيان احترام عقلانية الإسلام، مقارنا هذه بما جاء في العهدين القديم والجديد، لليهود والمسيحيين، إلى أن يقول "في مقابلة هذا، تبدو العقلانية القرآنية صلبة، كأنها الصخر".انتهى.

الشق الثاني: هل يقدم العقل على النقل عند التعارض؟

أخي الكريم فلتعلم أنه لابد أولاً من معرفة أن الدليل ينقسم إلى ظني وقطعي.

فأولاً: لابد أن نعرف ماهو الدليل ثم أذكر تعريف القطعي والظني وبالله التوفيق.

الدليل :اصطلاحاً له معنيان فالمعنى الأعم له :هو ماتوصل بصحيح النظر فيه إلى مطلوب خبري. فهو يشمل الدليل القطعي والظني.[123]

فالقطعي نجزم بلا تردد بثبوته وبدلالته على المعنى المراد لأنه لا يتطرق إليه الاحتمال .

تعريف القطعي: قال التفتازاني: القطع يطلق على نفي الاحتمال أصلاً ،وعلى نفي الاحتمال الناشيء عن دليل.[124]

ثمرة الدليل القطعي: أنه يفيد العلم اليقيني الذي لاتردد ولا شك فيه.قال الإمام السبكي: الدليل القطعي هو ما يفيد العلم اليقيني.[125]

تعريف الظني: قال الطوفي هو حكم راجح غير جازم .وقال الآمدي: ترجح أحد الاحتمالين على الأخر من غير قطع.[126]

وعلى ما سبق فإن الحديث الشريف قد يكون ظني الثبوت وهو كل ماسوى المتواتر .

وقديكون الدليل ظني الدلالة وهو ما لم تكن دلالته دلالة نص أي دلالة تدل قطعاًعلى أن المراد هذا المعنى دون غيره فيخرج بذلك بقية أنواع الدلالة.

وهذا التقسيم يترتب عليه أحكام عند العلماء فلم يوضع عبثاً .

وأذكركم أن الاحتمالات في اللفظ ثلاثة :

الأولى : دلالة النص: أو الصريح: وهو ما لا يرد عليه الاحتمال قطعاً بلا لبس أو شك .ولذا فلا يمكن أن يتعـــارض قطعي النقل مع قطعي العقل في هذه الحالة .

قال السرخسي : النص المطلق يوجب الحكم قطعاً.[127]

الثانية : الظاهر: وهو ما احتمل معنيين هو في أحدهما أظهر من الأخر.[128]

فالظاهر : يفيد الظن ولا يفيد القطع عند الجمهور.[129]

---

123 الإحكام للإمام الآمدي 12/1 شرح الكوكب المنير 51/1
124 شرح التلويح 35/1
125 الإبهاج 210/3
126 شرح البلبل 161/1 والإحكام للآمدي 30/1
127 اصول السرخسي 1/ 138
128 العدة141/1 قواطع الأدلة 480/2
129 البرهان 513/1والمستصفى 85/3

الثالثة : المجمل : مالا ينبئ عن المراد بنفسه .[130] ولذا فهو يحتاج مرجح من غيره.

ولذا فإن المجمل وأيضاً ما يسمى بالمشكل والخفي والمتشابه لايفيد قطعاً ولا ظناً بل يتوقف فيه حتى يرد مـــا يـــرجح معناه .

ولذا فمعرفة أصول الفقه أمر لازم لفهم مسائل الاعتقاد والذي يقول أنه عالم في العقيدة وهو لا يفهم أصول الفقـــه فهماً جيداً، ولا يفهم البلاغة، ولا المنطق ،فقد ظلم نفسه وظلم غيره ولابد من فهم اللغة العربية ــ بلاغة ،وتصريفاً ،ونحواً ــ وغير ذلك من علوم الآلة .

نتيجة ما سبق:

إذا تعارض دليل شرعي ظني الثبوت أو الدلالة مع قطعي العقل أو قطعي النقل فلا يرد النقلي هكذا اعتباطاً بل يحمل على محمل صحيح ،فإذا أمكن الجمع بينهما لم يرد، وإن لم يمكن الجمع بينهما فحينئذ يعدل إلى الترجيح فيقدم .وهذا معنى كلام الإمام الرازي الذي نقله الكاتب فلا داعي للتشنيع على علماء الأمة .لأن القطعي لا يمكـــن أن يعـــارض القطعي ولذا فوجوده أصلاً محال .

مثال لمعارضة ظني النقل للدليل العقلي القطعي : لدينا قطعي عقلي وهو أن الله عز وجل لا يمكن أن يمرض أو يموت سبحانه وتعالى .لكن قد يعارضه أخذ بعض الناس بظاهر حديث (عبدي مرضت فلم تعدني).ففي الحديث إثبات إضافة المرض لله سبحانه و تعالى وهو معارض بالدليل العقلي القاطع وهو أنه يستحيل أن يمرض الخالق جل شأنه ، فوجب على الواقف على الحديث أن يرد هذا المعنى المحتمل في ظاهر اللفظ بدلالة العقل القطعية إلى معنى صحيح. لأننا لوقلنا أن هذا النقل يسلم على ظاهره ويثبت منه صفة المرض لله فهذا يعارض إثبات كون الله يســـتحيل عليـــه النقص .

قال الإمام الرازي رحمه الله :ثم إن جوزنا التأويل اشتغلنا على سبيل التبرع بذكر تلك التأويلات على التفصيل ، وإن لم يجز التأويل فوضنا العلم بها إلى الله تعالى ، فهذا هو القانون الكلي المرجوع إليه في جميع المتشابهات وبالله التوفيق " .أ ــ هــ

لفتة : تجد أن الإمام الرازي رحمه الله تعالى يذكر الطريقين الذي يمشي الأشاعرة وغيرهم من أهل السنة عليها وهما طريق التفويض وطريق التأويل .فهذا هو القانون الكلي وهو من عهد الصحابة إلى يومنا و لم يخترعه الرازي كما يتوهمون .وقد كرر الموجان نفس شبهة الحوالي فقال الموجان : فالكتور سفر أخذ من مبدأ تقديم العقل على النقل ، أن النقل أصل يقدم على ماسواه .... أ ــ هــ [131]وقد تبين مما سبق أن هذا افتراء لا أساس له من الصحة بل هو مجرد مكابرة للحقائق المنقولة عنهم.

اعتراض الكاتب على الإمام السنوسي

قال الكاتب: يقول السنوسي (ت 885) في شرح الكبرى :
" وأما من زعم أن الطريق بدأ إلى معرفة الحق الكتاب والسنة ويحرم ما سواهما فالرد عليه أن حجتيهما لا تعرف إلا بالنظر العقلي ، وأيضاً فقد وقعت فيهما ظواهر من اعتقدها على ظاهرها كفر عند جماعة وابتدع

---

[130] العدة 142/1 روضة الناظر 570/2

[131] الرد الشامل69

ويقول : " أصول الكفر ستة ... " ذكر خمسة ثم قال :
" سادساً : التمسك في أصول العقائد بمجرد ظواهر الكتاب والسنة من غير عرضها على البراهين العقلية والقواطع الشرعية ".

الجواب : اولاً :كلام الإمام السنوسي كلام عظيم لمن يفهم العلم على ماهو عليه. وأضرب لذلك مثالاً من كتاب الله رده علماء أهل السنة بدلائل العقل القطعية وبه يتضح معنى كلام الإمام السنوسي إن شاء الله.

قال الله تعالى ((مايكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم)) أخذ بذلك أناس من الأمة فقالوا إن الله معنا في هذه الأرض فكفرهم السلف بهذا .وشبهتهم أنهم أخذوا بظاهر الآيات والأحاديث في ذلك ،رغم أن هناك أصل قطعي يعلمه العقلاء ،وهو أن الله يستحيل أن يحل في مخلوقاته .

ومن هنا تعلم أن كلام السنوسي صحيح لاغبار عليه.

ثانياً : دقق يا أخي الكريم في قول السنوسي :التمسك في أصول العقائد بمجرد ظواهر الكتاب والسنة من غير عرضها على [البراهين العقلية] و [القواطع الشرعية "]

فهو يتكلم عن الظواهر التي تخالف القطعيات من الأدلة الشرعية والقطعيات من البراهين العقلية وليس مجرد تحكيم لأهواء العقول كما يظن بعض الناس هداهم الله.

ثالثاً: ذكر السنوسي في كتابه المقدمات أن [من أصول الكفر والبدع التمسك في عقائد الإيمان بمجرد ظواهر الكتاب والسنة من غير تفصيل بين ما يستحيل ظاهره منها ،وما لا يستحيل] . ثم قال في الشرح : أما الكفر فكأخذ الثنوية القائلين بألوهية النور والظلمة من قوله تعالى [اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ] وأن النور أحد الإلهين واسمه الله ، و لم ينظروا إلى استحالة كون النور إلهاً لأنه متغير حادث.[132] .فليتك يا أخي كلفت نفسك بقراءة شرح ما كتب لأغناك ذلك عن سوءالظن به.

تعجب الكاتب من مبحث التعارض والترجيح عند العلماء

قال الكاتب: صرح – متكلموهم – ومنهم من سبق في فقرة " أ " أن نصوص الكتاب والسنة ظنية الدلالة ولا تفيد اليقين إلا إذا سلمت من عشر عوارض منها : الاضمار والتخصيص والنقل والاشتراك والمجاز ... الخ ، وسلمت بعد هذا من المعارض العقلي ..

الجواب: أخي الكاتب غفر الله لك . إن من لديه أساسيات علم الأصول يعرف مبحث التعارض والترجيح بين الأدلة .فكيف تتعجب من كلام الإمام الرازي وهو شيء غير مستنكر عند أي طالب علم ؟!وإن كان غيره من أهل الاجتهاد قد يخالفه في جزئيات مما ذكر ،ولا شك أن في الكتاب والسنة نصوص ظنية غير قطعية ،والظني لا يبنى عليه قطعي ،وإلا لكان مخالف الظني واقع في الكفر أو الفسق على أقل تقدير .وإن كان هناك أدلة ظنية بُنيت عليها أحكام قطعية ،فذلك بمستند إجماع الأمة عليها. فالإجماع هو مستندالقطع في مثل هذه المسائل.وأما أكثر المسائل التي اختلف فيها العلماء، فلأن أدلتها ظنية الثبوت أو ظنية الدلالة أما القطعية ثبوتاً ودلالة فلا خلاف بين العلماء فيها أصلاً .

وإثبات صفة لله بالظنيات المعارضة بالقطعيات ممتنع .

---

[132] شرح المقدمات للسنوسي: ص 45 ، 48 .

مثاله :وصف الله بأنه جالس على العرش ويجلس نبيه معه يوم القيامة فهذا باطل من جهتين :

1ـــ من جهة النقل لأنه حديث ضعيف فهو ظني الثبوت .

2ـــ ومن جهة العقل لأنه يخالف أصل أصيل وهو نفي النقص عن الله تعالى ومشابهته لمخلوقاته وكونه حالاً فيها .

ارتياب الكاتب بكون العلماء يردون السنة

قال الكاتب: موقفهم من السنة خاصة أنه لا يثبت بها عقيدة ، بل المتواتر منها يجب تأويله وأحادها لا يجب الاشتغال بها حتى على سبيل التأويل ، حتى إن إمامهم الرازي قطع بأن رواية الصحابة كلهم مظنونة بالنسبة لعدالتهم وحفظهم سواء ، وأنه في الصحيحين أحاديث وضعها الزنادقة ... إلى آخر ما لا استجيز نقله لغير المختصين ، وهو في كتابه أساس التقديس والأربعين.

الجواب : غفر الله لك كم تحب التشنيع وأنا سأنقل الكلام الذي قاله الرازي لنرى هل في كلامه خطأ ؟!ولكن قبل ذلك نجيب على الدعوى الأولى :يقول الكاتب هداه الله(موقفهم من السنة خاصة أنه لا يثبت بها عقيدة ، بل المتواتر منها يجب تأويله وأحادها لا يجب الاشتغال بها حتى على سبيل التأويل)

الجواب:1ـــ أن هذا الكلام هو في المتشابه فقط أما المحكم فلا إشكال فيه ولله الحمد فيثبت مقتضاه على ما يليق بالله بالدليل القاطع .

2ـــ أما إذا كان من المتشابه فقال الإمام ابن ابن أبي شريف : كل لفظ يردفي الشرع مما يسند إلى الله أو يطلق اسماً أو صفة له ،وهو مخالف للعقل ويسمى المتشابه فلا يخلو إما :أن يتواتر أو ينقل آحاداً .

أ)والآحاد إن كان نصاً لا يحتمل التأويل (أي قطعي في دلالته أي لا يحتمل معان أخرى في اللغة لائقة بالله فإن كان قطعي الدلالة) قطعنا بافتراء ناقله أو غلطه أو سهوه وإن كان ظاهراً (أي ظاهر الدلالة) فظاهره غير مراد . أ ـــ هـــ (لأن له معنى أخر لائق بالله فيعدل إليه).

ب) [133]وإن كان متواتراً فلا يتصور أن يكون نصاً لا يحتمل التأويل (أي لا يتصور كونه قطعي الدلالة)بل لابد وأن يكون ظاهراً ، وحينئذنقول: الاحتمال الذي ينفيه العقل ليس مراداً منه ،ثم إن بقي بعد انتفاءه احتمال واحد تعين أنه المراد [134]بحكم الحال .وإن بقي احتمالان فصاعداً فلا يخلو إما :

أن يدل قاطع على واحد منهما، أولايدل . فإن دل على واحد منهما حمل عليه . وإن لم يدل قاطع على أحدهما فهل يعين معنى من هذه المعاني بالنظر والاجتهاد دفعاً للخبط عن العقائد ؟.

أولا يعين خشية الإلحاد في الأسماء والصفات ؟ أـــ هـــ (خلاف على قولين هما مذهب التفويض والتأويل أو مايسمى مذهب السلف والخلف)[135]

[133] لازال الكلام لابن أبي شريف.

[134] أي تعين أن هذا الباقي هو المعنى المراد قطعاً.

[135] المسامرة ص59

وكلامه هنا هو معنى قول العلماء : لا نفسره ،وقولهم أمروها كما جاءت بلا كيف ولا معنى كما نقل ذلك بالسند الصحيح عن الإمام أحمد وغيره.لكن تميز كلام الإمام ابن أبي شريف بالتفصيل فقط ، وهذا واضح إن شاء الله لا يحتاج إلى إيضاح.

وسأضرب له مثالاً في ثالث الاستنتاجات إن شاء الله.

نتج من الكلام المنقول عدة أشياء :

اولها: أن الأشاعرة وسائر أهل السنة لا ينبذون السنة أصلاً ولا يأولوها اعتباطاً .

ثانيها: أهم يأخذون بحديث الآحاد المتشابه فضلاً عن المتواتر ،مالم يدل معناه الظاهر قطعاً على معنى باطل لا يليق بالله . مثاله: عن قتادة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ((إن الله لما فرغ من خلقه استوى على عرشه واستلقى ووضع إحدى رجليه على الأخرى وقال : إنها لا تصلح لبشر)) أخرجه أبن أبي عاصم في السنه والخلال والطبراني والبيهقي .[136]

هذا الحديث آحاد ولكنه قطعي في الدلالة على أن الخالق ـــ سبحانه وتعالى ـــ له رجلين يستلقي ويضع أحداهما على الأخرى .فلا بدمن أحد الاحتمالات الثلاثة إما أن الحديث مكذوب، أو غلط أحد الرواة أو سهى وسبحان من لا يسهو . وقطعاً لا يمكن أن يقبل لأنه مخالف للقطعيات في تنزيه الله فلابد من رده.وقدرده العلماء لنكارة متنه ، ووهاء سنده.

ثالثاً : مثال للمتواتر وسأذكر آيات في ذلك فضل عن الأحاديث مثال ذلك((ثم استوى على العرش يدبر الأمر))فإن لله تعالى صفة الاستواء ثابتة في نصوص كثيرة وهنا عدة احتمالات .

فإما أن يكون معنى الاستواء هو الجلوس على العرش كما تقول المجسمة. أو معنى أخر لائق بالله ،فأهل السنة من الأشاعرة وغيرهم يثبتون صفة الاستواء ويقطعون أنه ليس بمعنى الجلوس .ثم بعد ذلك ينظرون في المعنى المراد ويعينونه أو يكتفون بالتفويض ،لكن بشرط اعتقاد أن معنى الجلوس ونحوه من النقائص غير مراد كما هو المسلك الأخر للأشاعرة وجمهور السلف.

أما كلام الإمام الرازي فهذا هو كما قال رحمه الله :

قال الإمام الرازي:كلام كلي في أخبار الآحاد

نقول : أما التمسك بخبر الواحد في معرفة الله تعالى فغير جائز . ويدل عليه وجوه :

الأول : أن أخبار الآحاد مظنونة . فلا يجوز التمسك بها في معرفة الله تعالى وصفاته . وإنما قلنا . إنها مظنونة . وذلك لأنا أجمعنا على أن الرواة ليسوا معصومين . وكيف ؟ "والروافض" لما اتفقوا على عصمة « علي » (رضي الله عنه) وحده . فإن المحدثين كفروهم . وإذا كان القول بعصمة « علي » - كـرم الله وجهـه — يوجب عليهم تكفير القائلين بعصمة « علي » فكيف يمكنهم القول بعصمة هؤلاء الرواة ؟ وإذا لم يكونـوا

[136] قال البيهقي هذا حديث منكر.

معصومين ،كان الخطأ عليهم جائزاً ، والكذب عليهم جائزاً . وحينئذ لا يكون صدقهم معلوماً ، بل مظنوناً . فثبت أن خبر الواحد مظنون . فوجب أن لا يجوز التمسك به لقوله تعالى : « إن الظن لا يغني عن الحق شيئاً]]

ولقوله تعالى في صفة الكفار: « إن يتبعون إلا الظن]] ولقوله : « ولا تقف ما ليس لك به علمٌ » ولقوله : « وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون »

أماالعمل في فروع الشريعة –فالمطلوب فيها الظن – فوجب أن يبقى في مسائل الأصول ـــ أي العقيـــدة ـــ على هذا الأصل .

والعجب من الحشوية . أنهم يقولون : الاشتغال بتأويل الآيات المتشابهة . غير جائز . لأن تعيين ذلك التأويـــل : مظنون . والقول بالظن في القرآن (لا يجوز) ثم إنهم يتكلمون في ذات الله تعالى وصفاته بأخبار الآحاد ، مع أنها في غاية البعد عن القطع واليقين ، وإذا لم يجوزوا تفسير ألفاظ القرآن بالطريق المظنون ، فلأن يمتنعوا عن الكلام في ذات الحق تعالى ، وفي صفاته ، بمجرد الروايات الضعيفة أولى .

الثاني : إن أجل طبقات الرواة قدراً ، وأعلاهم منصباً : الصحابة – رضي الله عنـــهم – ثم إنـــا نعلـــم ، أن رواياتهم لا تفيد القطع واليقين . والدليل عليه : أن هؤلاء المحدثين رووا عنهم : أن كل واحد منهم طعـــن في الآخر ، ونسبه إلى ما لا ينبغي .

ثم ساق وقائع من حال بعض الصحابة تؤيد قول أهل السنة في أن الصحابة غير معصومين إلى أن قال :

. أما الكلام في ذات الله وصفاته ، فكيف يمكن بناؤه على (هذه) الروايات الضعيفة ؟[137]

وهو نفس كلام ابن تيمية في المعنى إذ قال: [والكذب كان قليلاً في السلف ، أما الصحابة فلم يعرف فيهم ـــ ولله الحمد ـــ من تعمد الكذب على النبي صلى الله عليه وسلم ... ، وأما الغلط فلا يسلم منه أكثر الناس ، بل في الصحابة من قد يغلط أحياناً وفيمن بعدهم ، ولهذا كان فيما صُنف في الصحيح أحاديث يُعلم أنها غلط وإن كان جمهور متون الصحيحين مما يُعلم أنه حق] [138] . وتأمل قوله [جمهور متون الصحيحين] .

أما قولك عن الرازي أنه قال : (وأنه في الصحيحين أحاديث وضعها الزنادقة)... إلى آخر ما لا استجيز نقله لغير المختصين)

الجواب: لا تنقله أنت أنا سأنقله ليعلم الجميع أن الظلم لا يدوم فهاكم كلام الرازي كما هو قال

الرازي عن البخاري ومسلم: [نحسن الظن بهما وبالذين رويا عنهم ، إلا أنا إذا شاهدنا خبراً

---

[137] أساس التقديس 189

[138] مجموع فتاوى ابن تيمية: 1/249 – 250 ورد الشيخ صلاح الدين الأردبلي وفقه الله.

مشتملاً على منكر لا يمكن إسناده إلى الرسول صلى الله عليه وسلم قطعنا بأنه من وضع الملاحدة ومن ترويجاهم على أولئك المحدثين] [139] وصدق رحمه الله فإذا حصل ذلك كان كذلك

فكم من مدلس ووضاع يضع في الأحاديث ما يصحح بدعته وقد قيض الله علماء يدفعون .

نستنتج مما سبق :

1ـــ أن الإمام الرازي لا يقطع بوصف الله بصفة أو تسميته بأسم لم يثبت قطعاً كالأحاديث الظنية والروايـــات الضعيفة .

2ـــ أن قول الصحابي لا يفيد القطع واليقين لا حتمال أن يخطىء أو ينسى أو يعتريه ما يعتري البشر لأنه غير معصوم ولا عصمة إلا للرسل عليهم السلام .

3ـــ وضح الإمام الرازي تناقض البعض حيث يقطع بصفة يصف بها الخالق عزوجل ،وهي لم ترد إلا

بطريق ظني كالأحاديث الضعيفة بينما يحرمون تأويل معنى الصفة بدعوى أن المعنى الذي فسر به ورود الصفة ظني لأن المأول لا يستطيع أن يجزم بأن هذا مراد الله تعالى .[140]

وسأضرب مثالين على ذلك :

قوله تعالى ((نسوا الله فنسيهم)) فلا يجوز أن يوصف الله بالنسيان فيتعامل مع الآية إما بالتفويض

والإمرار وإما أن تأول بمعنى لائق بالله تعالى .

ومن الأمثلة : (فإن الله لا يمل حتى تملوا) فلا يجوز إثبات صفة ملل لله تعالى لسببين :

1ـــ أن الملل نقص من جميع الوجوه .

2ـــ أنه ظني الدلالة وقد أثبته في زماننا بعض الناس هداهم الله وثبوته عندهم بدلالة المفهوم .لأن الرســـول صلى الله عليه وسلم لم يقل حتى تملموا فيمل ، بل قال لا يمل حتى تملوا. وسكت. فأتى بعض الناس ففهم منه مقدر محذوف تقديره فيمل وبنى عليه عقيدة إثبات الملل لله سبحانه

وتعالى عما يقول.!!!

دعوى أن كتب عقائد الأشاعرة لا يوجد فيها آية ولا حديثاً

قال الكاتب: تقرأ في كتب عقيدتهم قديمها وحديثها المائة صفحة أو أكثر فلا تجد فيها آية ولا حديثاً ، لكنك قد تجد في كل فقرة " قال الحكماء " أو " قال المعلم الأول " أو " قالت الفلاسفة " ونحوها .

الجواب :

---

[139] أساس التقديس 218

[140] رغم أن الإمام الرازي يرجح التفويض في كثير من كتبه لكنه يتعجب من عدم طرد القاعدة في دفع الظنيات عند وصف الله تعالى .

1ـــ إن كتب العلم على مستويات فالرضيع لا يعطى اللحم ،بل يتدرج في طلب العلم من صغار العلم إلى كباره، كل بحسب قدراته ، فمن ذهب رأساً لكتب النقض على المبتدعة من الفلاسفة وغيرهم، وليس لديه الأهلية لذلك فلا يلومن إلا نفسه .

2ـــ أما قولك ليس فيها آية أو حديث ،فليس بصحيح أن كل كتب العقيدة الأشعرية هكذا، بل هي على أقسام :فمنها ما ذكرت وهي التي ترد على الفلاسفة والملحدين ونحوهم، وهذه وإن قلت فيها الأحاديث والآيات إلا أن فيها ثمرة الأحاديث والآيات كما لا يخفى على اللبيب .ولا أدري كيف تريدهم أن يحاجوا أهل الزندقة، والفلسفة، والإلحاد بكتاب الله والسنة وهم لا يؤمنون بها أصلاً.؟!!

ومن الكتب العقدية ماهو مليء بالآيات والأثار ،وهذا كثير ،وفيها المختصرات التي للحفظ ونحوه.

فما هذا التعميم ؟!وإن كنت يا أخي الكريم إنما تقصدالوعظ والرقائق الإيمانية فعندهم كتب خصصوها لذلك.[141]

حكم الاحتجاج بالأدلة العقلية :

اختلف الناس في حكم ذلك على أقوال :القول الأول : قول الحنابلة الذي نص عليه الإمام أحمد قال ابن عقيل : القياس العقلي حجة يجب العمل به ، ويجب النظر والاستدلال ،وقد نقل عن الإمام أحمد الاحتجاج بدلائل العقول وبهذا قال جماعة الفقهاء والمتكلمين من أهل الإثبات . أ ـــ هـــ وقال أبو الخطاب الكلوذاني الحنبلي: القياس العقلي والا ستدلال طريق لإثبات الأحكام العقلية نص عليه الإمام احمد وبه قال عامة الفقهاء .[142]

قال الإمام ابن مفلح : احتج الإمام أحمد بحجج العقول وعامة الفقهاء والأصوليين .[143]

قال الكاتب: ، وقد يصححون بعض الأحاديث ويضعفونها حسب هذا الذوق ، كحديث إسلام أبوي النبي صلى الله عليه وسلم ودخولهما الجنة بزعمهم ، ويسمون هذا " العلم اللدني " جريًا على قاعدة الصوفية " حدثني قلبي عن ربي"

الجواب: هذا الكلام غير صحيح لأن نجاة أبوي الرسول صلى الله عليه وسلم مسألة خلافية مبنية على أدلة نقلية، فجمع من العلماء على أن أبويه ناجيان ،ودونت فيها رسائل وبحوث علمية نافعة لا بمجرد الذوق. وأنت تختار من القولين هلاكهما فأنت وما تريد ولكن لا تلزم غيرك برأيك وفقنا الله وإياك لرضاه

أما الخلاف فهو يدور حول ماورد في الحديث الصحيح من حيث سنده ، لكن لفظة انفرد بها حماد وهي إما وهم منه أو تحمل على غير ظاهرها كمعنى العم الذي هو معروف لغة لتتوافق الرواية مع عشرات الآيات القرآنية ولهذا فالحديث معارض لآيات محكمات هن أم الكتاب كقوله تعالى:

{لِتُنذِرَ قَوْماً مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيـــرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ }[القصص: 46]،

{لِتُنذِرَ قَوْماً مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ } [السجدة: 3]،

---

141 من الكتب المفيدة في العقيدة كتاب كبرى اليقينيات الكونية .والمختصر المفيد للقضاة ،وكتاب العقيدة الإسلامية لعبدالرحمن حبنكة ، وكتاب العقيدة الإسلامية للكتور مصطفى الخن ومستو،و الأساس في السنة للحوى. وغيرها .

142 التمهيد 260/4 والعدة 4/ 1273 والتحبير شرح التحرير 4022/8

143 اصول ابن مفلح971/3

َمَا آتَيْنَاهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ } [سبأ: 44.[وقال الإمام الطبري في تفسير قوله تعالى : { وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير } سبأ (44) : وما أرسلنا إلى هؤلاء المشركين من قومك يا محمد فيما يقولون ويعملون قبلك من نبي ينذرهم بأسنا عليه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. وقال تعالى:وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا..[144]

إذن الأصل أن يغلب جانب حسن الظن في أبوي النبي صلى الله عليه وسلم على سوء الظن...

ثم إن دلالة القرآن قطعية، ودلالة السنة الصحيحة أقل منها إجماعاً، والجمهور على عدم نسخ القرآن بالسنة، هذا في الأحكام، أما في الأخبار فلا ينسخ القرآن حتى القرآن.

ودلالة القرآن على أهل الفترة قطعية، ودلالة ما جاء من الأحاديث حول والدي النبي صلى الله عليه وسلم ظنية قولا واحداً. إذن ليست المسألة ذوق بل جمع للنصوص في المسألة ثم الحكم فيها.

دعوى أن أهل السنة لا يعرفون إلا دليلاً يتميماً

> قال الكاتب: إثبات وجود الله:
> معلوم أن مذهب السلف هو أن وجوده تعالى أمر فطري معلوم بالضرورة والأدلة عليه في الكون والنفس والآثار والآفاق والوحي أجل من الحصر ، ففي كل شيء له آية وعليه دليل .
> أما الأشاعرة فعندهم دليل يتيم هو دليل " الحدوث والقدم "

الجواب: قول الكاتب : (معلوم أن مذهب السلف هو أن وجوده تعالى أمر فطري)

أخي الكريم : هذا مذهب جميع أهل السنة والجماعة قال الغنيمي الأشعري في شرح الطحاوية : فوجود الحق ثابت في فطرة الخلق كما في قوله تعالى ((فطرة الناس التي فطر الناس عليها))[145]

2ـ قولك : (والأدلة عليه في الكون والنفس والآثار والآفاق)

ـــــ هذه الدلائل التي ذكرتها تحتاج إلى آلة للأستدلال وهي العقل فيستدل بها العقل على وجود الخالق فهي عقلية فنقضت ماكنت تغزل من بداية الكتاب .

3ـ قولك ليس عند الأشاعرة دليل على وجود الله إلا دليل الحدوث والقدم .

هذا غير صحيح فهناك يا أخي الكريم ثلاثة أشياء :

1ـ أما كونه دليل فلاشك في ذلك بل هو أقوى الأدلة بلا ريب في ذلك .قال تعالى ((لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا))بل إن نظرية الحدوث والقدم كانت هي الدليل الذي خضع له كثيرمن الملحدين:

صرح جين ويرز وهو عالم عمل موظفاً في مشروع التكاثر الإنساني، صرح بالتالي في أعقاب ما أطلع عليه من ترتيبات إعجازيه. شاهدها رأي العين :

إن ما أذهلني حقاً هو كيفية بناء أو نشأة الحياه فنظام نشأة الحياه أمر بالغ التعقيد، فهو مستمر على ما هو عليه على نحو متواصل أي أن هناك قوه خارقه وراء نشأة هذه الحياة .[146]

---

[144] هناك رسالة قيمة للإمام السيوطي (مسالك الحنفا في والدي المصطفى) فصل في المسألة مطبوعة ضمن الحاوي للفتاوي الجزء الثاني.

[145] شرح الطحاوية 49.وتفسير الآية رقم(30) من سورة الروم في تفسير الإمام القرطبي الأشعري والإمام الرازي وغيرهم.

يقول الملحد البريطاني : أنطواني فلو الذي عاد في الآونه الأخيره ليعلن أنه قد تراجع عن الخطأ الذي وقع فيه وتخلى عن أفكاره الخاطئة وأنه يعترف ويقر بأن العالم مخلوق له خالق و لم يوجد من العدم . قال: لقد أثبتت أبحاث علماء الأحياء في مجال الحمض النووي الوراثي، مع التعقيدات شبه المستحيلة المتعلقة بالترتيبات اللازمة لإيجاد (الحياة) أثبتت أنه لابد حتماً من وجود قوة خارقة وراءها."

"لقد أصبح من الصعوبة البالغة مجرد البدء في التفكير في إيجاد نظرية تنادي بالمذهب الطبيعي لعملية

نمو أو تطور ذلك الكائن الحي المبني على مبدأ التوالد والتكاثر."

"لقد أصبحت على قناعة تامة بأنه من البديهي جداً أن أول كائن حي قد نشأ من العدم ثم تطور وتحول إلى مخلوق معقد الخلق للغايه". [147]

2ـــ وأما كون هذا الدليل هو الدليل الوحيد عندهم فليس بصحيح فقد سبق أنها أدلة.[148]

فمنها : ذكر الباقلاني عدداً من الأدلة ، ومنها قوله: [فإنا لا نشك في جهل من أخبرنا بكتابة حصلت بنفسها لا من كاتب ، وصناعة لا من صانع ، وحياكة لا من ناسج ، وإذا صح هذا وجب أن تكون صور العالم وحركات الفلك متعلقة بصانع صنعها ومحدث أحدثها ، إذ كانت ألطف وأعجب صنعاً من سائر ما يتعذر وجـــوده إلا مـــن صانع] [149] .

وقال الباقلاني: [وإن أردتم بقولكم ما هو: (أي)ما الدلالة على وجوده؟ فالدلالة على وجوده جميع ما نــراه ونشاهده من محكم فعله وعجيب تدبيره] [150] .

ـــ قال المتولي: ومن الدليل على إثبات الصانع أنه لا يتصور في العقول بناء بلا بانٍ ،وكتابة بـــلا كاتـــب ، فكيف يتصور خلق بلا خالق؟ ! ويتضح ذلك بآيات من كتاب الله تعالى [أَفَلا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ] , وقوله تعالى [وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ] وغير ذلك من الآيات أ نتهى كلامه [151] .

---

146 مع أنهم في كلامهم يأتون بألفاظ لا تجوز كتسمية الله بالقوة الخارقة ولذا فوجب التنبيه إلى عدم إقراري لهم بشيء يخالف عقيدة أهل السنة.

147 عودة العالم العلمي إلى الله

148 منها بطلان الرجحان بلا مرجح ومنها برهان بطلان التسسل ومنها بطلان الدور وقانون العلية أي التأمل في النظام الكوني . قد تستشكل الاصطلاحات المذكورة لكن الجديد على القارىء فقط هي الألفاظ أما مضمون معانيهافمعروف عند الناس جميعاً.أنظر كبرى اليقينيات الكونية لفضيلة الشيخ محمد البوطي .ص79

149 الإنصاف ص30

150 الإنصاف 192

151 المغني ص9

ــ ومنها أن الإمام الرازي ذكر أربعة براهين على وجود الله تعالى من الأدلة العقلية الكلامية ثم قال: [أمـــا دلائـــل الآفاق فبعضها سفلية عنصرية ، ومجامعها الاستدلال بأحوال الحيوان والنبات والمعادن ، وبعضها علويـــة فلكيـــة ، ومجامعها الاستدلال بأحوال الأفلاك والكواكب، والاستقصاء في هذا النوع من الدلائل مذكور في القرآن العظـــيم ، مشروح في كتابنا المسمى بأسرار التنزيل وأنوار التأويل][152].وفي هذا النص إشارة إلى أن الدلائل على وجـــود الله تعالى نوعان: الأدلة العقلية الكلامية ، ودلائل الآفاق ، والأشاعرة يذكرون في كتب العقيدة الأدلة الكلاميـــة علـــى طريقة المتكلمين الفلاسفة ، لإفحام ملاحدة الفلاسفة بالطرق الفلسفية التي يفهمونها ، والتي لا يخضعون إلا لها ، من باب محاربتهم بسلاحهم ، ولا ينكرون

دلائل الآفاق ، بل يقررونها ويشرحونها في كتب التفسير .

وقال الرازي رحمه الله: [الناس قد توصلوا إلى إثبات واجب الوجود بطرق ... ، ومن الناس من اعتمد على الإحكام والإتقان المشاهَدَين في السماوات والأرضين ، وخاصة في تركيب بدن الإنسان وما فيه من المنافع الجليلة والبـــدائع الغريبة ، التي تشهد فطرة كل عاقل بأنها لا تصدر إلا عن تدبير حكيم عليم ، وهذه الطريقة دالة على الذات وعلـــى العالِمية ، وهي طريقة من تأملها ورفض عن نفسه المقالات الباطلة وجد نفسه مضطرة إلى الاعتراف بإثبات المـــدبر عند مشاهدة خلقة أعضاء الحيوان][153] [154].

3ــ أنه من المسلم أن هذا الدليل لا يصلح مع جميع الناس .
ولذا قال الإمام الغزالي : فيما ينقله عنه العلاء البخاري مؤيداً له كما في المسامرة وشرح الطحاوية للغنيمي : إن الأدلة على وجود الصانع وتوحيده تجري مجرى الأدوية التي يعالج بها القلب والطبيب إذا لم يكن حاذقا ....وحينئذ يجب أن لايكون طريق الإرشاد لكل أحد على وتيرة واحدة فالمؤمن المصدق سمعاً أو تقليداً لا ينبغي أن نحرك عقيدته بتحرير الأدلة فإن الرسول لم يطالب العرب بأكثر من التصديق و لم يفرق بين أن يكون بتقليد أو بيقين برهاني والجافي الغليظ الضعيف العقل الجامد على تقليد المصر على الباطل لا تنفعه معه الحجة ولا البراهين وإنما ينفع معه السيف والسنان. والشاكون اللذين فيهم نوع من ذكاء ،ولا تصل عقولهم إلى فهم البرهان العقلي المفيد للقطع واليقين ،ينبغي أن يتلطف في معالجتهم بما أمكن من الكلام المقنع المقبول عنده لا بالأدلة اليقينية البرهانية لقصور عقولهم عن إدراكها لأن الغالب على الخلق القصور والجهل فهم لقصورهم
لا يدركون براهين العقول كما لا تدرك أنوار الشمس أبصار الخفافيش ، بل تضرهم الأدلة

---

[152] الأربعين في أصول الدين ص92

[153] المباحث المشرقية في علم الإلهيات والطبيعيات: 2/ 448 ، 451

[154]أنظر عقائدُ الأشاعرةِفي حوارٍ هادئٍ مع شُبهاتِ المناوئين للأردبلي.

البرهانية العقلية كما تضر ريح الورد الجعل وفي مثل هذا قيل شعراً:

ومن منح الجهال علماً اضاعه ومن منع المستوجبين فقد ظلم

واما الفطن الذي لا يقنعه الكلام الخطابي فيجب المحاجة معه بالدليل القطعي البرهاني .أ نتهـــى [155]كلام الإمام الغزالي رضي الله عنه.

فهل السادة الأشاعرة جمدوا على دليل وحيد؟! أم أنهم فصلوا في طريقة التدليل وأحوال الناس ومقدار معارفهم ،وعقولهم ، ونفسياتهم ،فهل بعد هذا من فقه يا أخي ؟!فاتق الله بارك الله لنا ولك في أعمالنا وأعمارناوجعلها في رضاه .

تنبيه : بعد ذلك حق لك أن تعجب من كلام الشيخ عبدالله الموجان في قوله :ومنه تلقف الأشاعرة الجوهر الفرد ، وأخلف الله على الأشاعرة في هذا الذي بنوا عليه أصل دينهم . [156]

فهو يتهم الأشاعرة رحمهم الله تعالى بأنهم بنوا (أصل) دينهم على الجوهر الفرد .!!!وقد سبق أن تبين للقارىء الكريم أن مصدر تلقي الدين عند الأشعرية هو الأدلة السمعية بشرط العقل وهو شرط يخرج به المجنون ، وليس على جوهر فرد أو غيره .

وللفائدة: الجوهر الفرد فرض عقلي لوحدة بناء المادة، صورته : أنه جزء لا يتجزأ ،و لم يقل أحد بأنه الذرة أو أحد مكوناتها ،فسواء توصل العلم إلى وحدة بناء للمادة لا تتجزأ فعلاً أو لم يصل فإنه يصح عقلاً أن تتكون المادة من أجزاء لا تتجزأ ،لأن ما لا يتناهي حصره لا يصح وجوده بالفعل ،فيصح أن تكون المادة ــ أي مادة ــ ينتهي حالها إلى عدد معين ولو بمليارات المليارات من الأجزاء التي لا تتجزأ. قال الباجوري: الجوهر الفرد معناه :الجزء الذي لا يتجزء . أ ــ هــ وقال : وعندنا معاشر المسلمين لا ينكر ثبوته وتقرره في الوجود لأن الله تعالى قادر على تفريق الأجسام بحيث لا يبقى جزء على جزء . أ ــ هــ [157] .فالجوهر الفرد ونظرية الأوتار الفائقة superstring theoryالمكتشفة حديثاً وغيرها من النظريات العلمية هي :وسائل تفيد في العلم والمعرفة ، وتساعد على نشر الإسلام ،ولا يعني ذلك أنها إذا سقطت ،أو تغيرت ،أو تطورت سقطت عقيدة المسلمين ،لأن عقيدة علماء الأمة من الأشاعرة وغيرهم من أهل السنة لا تقوم على ذلك ، ولكنه التخلف والرجعية التي يعاني منها من يحارب العلم والعلماء .والناس أعداء ما جهلوا .

قال الكاتب الثالث : التوحيد:

قال الكاتب: التوحيد عند أهل السنة والجماعة معروف بأقسامه الثلاثة وهو عندهم أول واجب على المكلف ، أما الأشاعرة قدماؤهم ومعاصروهم فالتوحيد عندهم هو نفي التثنية أو التعدد ونفي التبعيض والتركيب والتجزئة أي حسب تعبيرهم " نفي الكمية المتصلة والكمية المنفصلة " ومن هذا المعنى فسروا الإله بأنه الخالق أو القادر على الاختراع وأنكروا بعض الصفات كالوجه واليد والعين لأنها تدل على التركيب والأجزاء عندهم [أما التوحيد الحقيقي وما يقابله من الشرك ومعرفتُه والتحذيرُ منه فلا ذكر له في كتب عقيدتهم إطلاقاً ، ولا أدري أين يضعونه؟ أفي كتب الفروع؟ فليس فيها ، أم يتركونه بالمرة؟ فهذا الذي أجزم به] .

---

155 شرح الغنيمي 49. والمسامرة

156 الرد الشامل ص99

157 فتح المجيد في بيان تحفة المريد على جوهرة التوحيد 463

الرد: ــ هكذا يجزم الكاتب ولا شك أن الجزم بالحكم يكون ناتج عن تمحيص واستقراء لكتب الأشاعرة وما كتبه علماءهم وإلا فلا يكون جزماً بل مجازفات .

ومن البلية ما قاله الشيخ الموجان أيضاً عن الأشاعرة مانصه: نعم يجهلون معناها الذي أرسل به محمد صلى الله عليه وسلم فإنهم حرفوا معناها (أي لا إله إلا الله) فجعلوا إله بمعنى اله أي لا قادر على الاختراع إلا الله ، ولا يعرفون أن إله بمعنى مألوه أي معبود. أ ــ هــ[158]

الجواب:اولاً: الإله : هو المعبود المطاع الذي تألهه القلوب ، أي تتجه له وتقصده وتخضع له وتذل له وتتعلق به خشية وإنابة ومحبة وخوفاً وتوكلاً عليه وإخلاصاً له تبارك وتعالى .

وأما تقرير أن معنى مألوه أي معبود : فأقول هناك معان في اللغة سأذكرها باختصار ثم لها معنى شرعي عن أهل السنة من الأشاعرة وغيرهم: المعاني :التي أشتق منها « الاول « أنه مشتق من لاه الشيء إذا خفي ، قال الشاعر : لاهت فما عرفت يوما بخارجة * يا ليتها خرجت حتى عرفناها الثاني : أنه مشتق من التحير لتحير العقول في كنه عظمته ، قال : ببيداء تيه تأله العير وسطها * مخفقة بالال جرد وأملق الثالث : أنه مشتق من الغبيوبة ، لانه سبحانه لا تدركه الابصار ، قال الشاعر : لاه ربي عن الخلائق طرا * خالق الخلق لايرى ويرانا(هذا في الدنيا) . الرابع : أنه مشتق من التعبد ، قال طرفة : لله در الغانيات

المدة * سبحن واسترجعن من تألهي الخامس : أنه مشتق من أله بالمكان إذا أقام به ،ولا يجوز على الله قال الشاعر العربي : ألهنا بدار لايدوم رسومها * كأن بقاها وشام على اليد

السادس : أنه مشتق من لاه يلوه بمعنى ارتفع عن النقائص . السابع : أنه مشتق من وله الفصيل بأمه إذا ولع بها ، كما أن العباد مولهون ، أي : مولعون بالتضرع إليه تعالى .الثامن : أنه مشتق من الرجوع ، يقال : ألهت إلى فلان ، أي : فزعت إليه ورجعت والخلق يفزعون إليه تعالى في حوائجهم ويرجعون إليه ، وقيل للمألوه [إليه] إله ، كما قيل للمؤتم به إمام التاسع : أنه مشتق من السكون ، وألهت إلى فلان أي : سكنت ، والمعنى أن الخلق يسكنون إلى ذكره.العاشر : أنه مشتق من الالهية . وهي القدرة على الاختراع ».هذا لغة .

وأما قولك أنهم لايعرفون أن إله بمعنى معبود فباطل بلا ريب وإليك النقول : قال الإمام فخر الدين الرازي : قوله [إيّـاك نعبد] يدل على أنه لا معبود إلا الله ، ومتى كان الأمر كذلك ثبت أنه لا إله إلا الله ، فقوله [إيّـاك نعبد وإيّـاك نستعين] يدل على التوحيد المحض. ثم قال: [كل من اتخذ لله شريكا فإنه لا بد وأن يكون مقدما على عبادة ذلك الشريك من بعض الوجوه ، إما طلباً لنفعه ، أو هرباً من ضرره ، وأما الذين أصروا على التوحيد وأبطلوا القول بالشركاء والأضداد و لم يعبدوا إلا الله و لم يلتفتوا إلى غير الله فكان رجاؤهم من الله ، وخوفهم من الله ، ورغبتهم في الله ،

ورهبتهم من الله ، فلا جرم لم يعبدوا إلا الله ، و لم يستعينوا إلا بالله] .[159]

---

[158] الرد الشامل 101

[159] مفاتيح الغيب: 1/ 244 ، 245 .

و قال الإمام السنوسي في شرحه لأم البراهين : أما معنى الكلمة (لا إله إلا الله)فلا شك أنها محتوية على نفي وإثبات ، فالمنفي كل فرد من أفراد حقيقة الإله غير مولانا عزوجل ،والمثبت فرد واحد وهو الله عزوجل، وأتى بإلا لقصر حقيقة الإله عليه تعالى .بمعنى أنه لا يمكن أن توجد تلك الحقيقة لغيره تعالى لا عقلاً ولا شرعاً ، وحقيقة الإله : هو الواجب الوجود المستحق للعبادة ...إلى أن قال: والمعنى على هذا : لا مستحق للعبودية في الوجود إلا خالق العالم جلا وعلا.أنتهى[160]

وقال الإمام الباجوري في شرح الجوهرة عند شرح البيت الثاني : والتوحيد لغة هو العلم بأن الشيء واحد وشرعاً :هو إفراد المعبود بالعبادة مع اعتقاد وحدته والتصديق بها ذاتاً وصفاتا وأفعالاً.

وقال ابن أبي شريف : التوحيد: والمراد به هنا اعتقاد عدم الشريك في الألوهية وخواصها كتدبير العالم ،واستحقاق العبادة . أ ــ هــ [161] وسيأتي مزيد من النقول في ذلك.

ثانياً : لماذا كان معنى القادر على الاختراع معنى قوي مناسب كذلك ؟: لأن أي مخلوق قد يعبده الناس ضلالاً وغواية ،وهو قد يدعوهم إلى عبادة نفسه ويدعي أنه معبود ينفعهم ويضرهم .

لكن لا يستطيع أي شيء أن يدعي أنه قادر على الاختراع لأنه سيعجز عن ذلك قطعاً بلا ريب.

ولذلك فإن من أدعى الربوبية في عهد إبراهيم عليه السلام ، أدعى أنه يحي ويميت بزعمه ودلل على ذلك بفعله ، ولكنه عجز عن أن يخترع شيئاً يسيراً على الخالق ،وهو تغيير نظام شروق الشمس.

ولذا جعل بعض العلماء مسألة القدرة على الاختراع من أخص خصائص الربوبية لعجز الناس عن إدعاءها عادة .وقولي عادة ليخرج به ما يكون من أشراط الساعة والمعجزات ونحوها.كمعجزات عيسى عليه السلام ، وكالأمور التي يمكن منها الدجال فتنة للعباد.

فيا أخي أتمنى أن تقرأ كتبهم بإنصاف ، ولا تصدق تلك الدعاوى العريضة التي هي أوهى من خيوط العنكبوت . ومما سبق وما يأتي أقول ماتراه في ثالثاً ورابعاً :

ثالثاً ــ فأقول : ليس بصحيح أن أئمة الأشاعرة لم يهتموا بالتوحيد ،وهل ألف علماء الأشاعرة كتب العقيدة إلا لبيان التوحيد والرد على المشركين ،والمبتدعة،وإيضاح التوحيد من الشرك ؟! وإليكم هذه النقول التأكيدية :

قال الإمام الباقلاني في العقيدة وهو يشرح التوحيد : [والتوحيد له هو الإقرار بأنه ثابت موجود ، وإله واحد فرد معبود ، ليس كمثله شيء] . ويقول: [ويجب أن يُعلم أن صانع العالم جلت قدرته واحد أحد ، ومعنى ذلك أنه ليس معه إله سواه ، ولا من يستحق العبادة إلا إياه] [162] .

---

[160] شرح أم البراهين مع حاشية الدسوقي 328ــ 329

[161] المسامرة شرح المسايرة ص41

[162] الإنصاف: ص 32 ، 33 .

وقال سلطان العلماء العز ابن عبد السلام بعد ذكر الصفات الواجبة لله تعالى: [فإن الألوهية ترجع إلى استحقاق العبودية ، ولا يستحق العبودية إلا من اتصف بجميع ما ذكرناه] . ثم قال: [ولا يستحق الإلهية إلا من اتصف بجميع ما قررناه] [163].

وقال الإمام السنوسي رحمه الله: [وأنواع الشرك ستة: شرك استقلال ، وهو إثبات إلهين مستقلين ، كشرك المجوس ، وشرك تبعيض ، وهو تركيب إله من آلهة ، كشرك النصارى ، وشرك تقريب ، وهو عبادة غير الله تعالى ليقرب إلى الله تعالى زلفى ، كشرك متقدمي الجاهلية ، وشرك تقليد ، وهو عبادة غير الله تعالى تبعاً للغير ، كشرك متأخري الجاهلية ، وشرك الأسباب ، وهو إسناد التأثير للأسباب العادية ، كشرك الفلاسفة والطبائعيين ومن تبعهم على ذلك ، وشرك الأغراض ، وهو العمل لغير الله تعالى ، وحكم الأربعة الأُوَل الكفر بإجماع ،وحكم السادس المعصية ، وحكم الخامس التفصيل ، ....] [164].

وقال البيجوري: [ومعنى الإله: المعبود بحق ، ... وإذا كان معنى الإله ما ذكر كان معنى لا إله إلا الله لا معبود بحق إلا الله] [165] .وبهذا يتبين تهور من يجزم بأشياء دون أدنى تثبت .

رابعاً : ظنكم صحة تقريركم لمسألة التوحيد فهو ظن غير صحيح ،وقد كتبت بحثاً قصيراً في خطأكم في تقرير توحيد الربوبية ، وذلك في رسالة أخرى ومما جاء فيها ما يلي :

الخطأ في تقرير توحيد الربوبية .

لأن التوحيد هو أعظم مطلوب فأبدأ به، وأول أقسامه على الاصطلاح الدراسي في المناهج التعليمية توحيد الربوبية :

وتوحيد الربوبية : هو إفراد الله تعالى بأفعاله ، ومنها الخلق ، والرزق ، والتدبير .

طبعاً ليس المراد التوسع في ذلك ولكن المقصود بيان المسألة بحدها (تعريفها) وتطبيقها ومايرد عليها ووجه الانتقاد هنا:

فالمتأمل في الحد المذكور بعاليه ، يجد أن توحيد الربوبية منصب على اعتقاد العبد انفراد الله بأفعاله سبحانه وتعالى، ثم ضُرب أمثلة على أفعال الرب سبحانه وتعالى بذكر الخلق ،والرزق والتدبير وليست أفعال الرب سبحانه وتعالى محصورة في ذلك ، بل إنما هي أمثلة لبعض أفعاله.

إذا كان الأمر كذلك فهل كفار قريش وحدوا الله في الربوبية (أي إفراده بأفعاله) أم أنهم كفار في هذه المسألة ؟!

تتابع أهل التدريس على مختلف المستويات على قولهم :إن كفار قريش موحدون في الربوبية !بدليل قوله تعالى ((ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله))

---

[163] العقائد للعز ابن عبد السلام: ص 11 ، 13 .

[164] شرح المقدمات للسنوسي: ص 33 ، 40 .

[165] حاشية البيجوري على متن السنوسية: ص 42 .وعقائد الأشاعرة والرد على المناوئين للشيخ الأردبلي.

الرسالة الثانية :في تدعيم ثوابت الصحوة الإسلامية من هم أهل السنة؟ تأليف :غيث بن عبدالله الغالبي

ـ مصر - الأحد 29/ رمضان المعظم /1427 هـ 22/ 10/ 2006 م

{قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ}

، وَقَوْلَهُ تَعَالَى {قُلْ لِمَنِ الأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ، سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَذَكَّرُونَ ، قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ، سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ ، قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ، سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ}

فأفادت الآيات الكريمة أن كفار قريش قد وحدوا الله في الربوبية . هكذا يقال .!!

وهذا الكلام غير صحيح لأسباب :

1ــ أن أفعال الرب ــ سبحانه وتعالى ــ غير محصورة في الخالقية ، أو الرزق، أو التدبير ، بل المذكور في الآيات شيء من أفعال المولى ــ سبحانه وتعالى ــ وليست كل أفعاله ،فكيف نقول أنهم قد وحدوا الله في أفعاله (أي في ربوبته) وهم قد جحدوا أشياء من أفعاله ،منها البعث والنشور فيقول قائلهم ــ وقد أخذعظم قد أرم ــ : يا محمد أتزعم أن ربك يعيد هذا ؟!!والقائل هو العاص بن وائل القرشي

وقال تعالى ((زعم اللذين كفروا أن لن يبعثوا ..) فأين التوحيد في الربوبية ؟ ! فكونهم اعترفوا ببعض الأفعال لا يعني ذلك توحيدهم في بقية الربوبية ، بل لو أقروا بالبعث والنشور وسائر أفعال الخالق سبحانه وتعالى ، ثم اسثنوا نملة من مخلوقاته ،أو ذرة من التراب وقالوا :خلق الله جميع الخلق إلا هذه النملة أو هذه الذرة من التراب ،لكانوا بذلك كفاراً غير موحدين في الربوبية،فكيف وقد جحدوا البعث والنشور ،وزعموا أن أصنامهم شريكة لله في التصرف والتدبير وغير ذلك من ترهاتهم؟

2ــ كونهم يقرون لله ببعض أفعاله ، لايعني أنهم ينفون الشريك له فيها ، ولذا فنكمل الآية السابقة حتى يتبين الحق ، ولا تجتزيء النصوص ونبترها فيخفى الحق عن طالبه ، وسأسوق الآيات السابقات وما يتبعها من آيات حتى يتكامل المعنى لدى طالب الحق ((، قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ، سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ89 بل أتيناهم بالحق وإنهم لكاذبون 90 ما اتخذ الله من ولد *وماكان معه من إله* إذاً لذهب *كل إله بماخلق* ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون 91 عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون 92))

وهنا بارك الله بكم اكتملت الآيات واتضح المراد .

قال الإمام القرطبي في تفسيره: ((بل أتيناهم بالحق)) أي بالقول الصدق لا ما تقول الكفار من إثبات الشريك ونفي البعث . أ ــ هــ

وقد وضعت لك تحت كل شاهد على ما أسلفت خطاً ،لتعلم أن الإقرار بالربوبية إنما هو إقرار ببعض الأفعال لا بكلها ،ودون نفي وجود الشريك من آلهة أخرى ، ولاحظ أخي ــ رعاك الله ــ قوله تعالى ((وماكان معه من إله إذاً لذهب كل إله بماخلق)

هل تتصور أن المولى عزوجل يخاطبهم بأمور لم تقع منهم، بل ويدلل ببرهان التمانع على عقائد لم يعتقدوها !!سبحانه وتعالى عن ذلك .(معنى التمانع كون كل إله يذهب بماخلق)

فكفار قريش يعتقدون بوجود شركاء لله في الخالقية ، ويعتقدون أن الله الخالق سبحانه وتعالى والأمر جلي لمن تبصر ففيه ثلاث نقاط :

الأولى : اعترافهم أن الله مدبر، متصرف ، رازق، خالق ، فهم مقرون به : وهم بذلك يفترقون عن من ينكر ربوبية الله مطلقاً .

الثانية: اعتقاد وجود الشركاء لله ولو في بعض أفعاله (ربوبيته) ،وهم بذلك يفارقون من يعتقد أنه لا شريك له في ذلك.

الثالثة : أن هذا الاعتراف منهم، أو المعرفة، لا يعني أنهم موحدون في الربوبية لأن التصديق والإذعان غير متوفر فيهم فكيف نقول أنهم موحدون ؟ وأي توحيد هذا؟

النتيجة : أن كفار قريش لم يوحدوا في الربوبية ، وعليه فالشهادة لهم بذلك خطأ واضح ،فكيف بتقرير ذلك ، و نشره ، والتقليد فيه أليس في هذا بعد عن الصواب شاب عليه الكهل من أهل العلم ونشأ عليه الشباب؟ !!

فنسأل الله أن يهدي من يقرر ذلك أويشهد به لهم وأن يتوب علينا وعليه .

ثانياً : تفرع على التقعيد الأول ــ وهو اعتقاد أن الكفار قد وحدوا في الربوبية ــ اعتقاد أخر وهو أن الرسل عليهم الصلاة والسلام لم يبعثهم الله لتوحيد الربوبية ،وإنما بعثهم لتوحيد العبادة لأن الناس على التوحيد الحق في الربوبية .!!وهذا باطل بما سبق........ أ ــ هــ وبه تعلم أن تقرير التوحيد الذي تدّعونه غير صحيح . و توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية بينهما تلازم في الاصطلاح الشرعي. وكل هذا الخبط الذي يقوم به الشيخ الحوالي ، والموجان وغيرهما ، غلط في التقسيم، وقولهم إن المشركين كانوا موحدين توحيد الربوبية دون توحيد الألوهية جهل بحقيقة اعتقاد المشركين. غفر الله لنا ولهم .

قال الكاتب: (أما الأشاعرة قدماؤهم ومعاصروهم فالتوحيد عندهم هو نفي التثنية أو التعدد ونفي التبعيض والتركيب والتجزئة أي حسب تعبيرهم " نفي الكمية المتصلة والكمية المنفصلة ")

اولاً: الوحدانية : هي صفة الله سبحانه وتعالى، ومعناها انتفاء التعدد في ذاته تعالى، وصفاته، وأفعاله. فهو سبحانه لا شبيه له ، و لاشريك له في ذاته ، ولا في صفاته ، ولا في أفعاله. فهذا هو نفي التثنية أو التعدد الذي يشنع عليه الكاتب.

ثانياً: (التبعيض) : الأشاعرة وأهل السنة كلهم ، ينفون كون الله مركب من أعضاء، وأجزاء ،وأبعاض ــ سبحانه جل شأنه ــ أما المشبهة فقالوا أنه مركب من أجزاء فقال الجواربي: أنه جسم ،ولحم ودم وله جوارح وأعضاء ...إلخ لذا فإن أهل السنة ينفون التركيب لأنه تشبيه.[166]

ثالثاً: معنى (تنفي الكم المتصل والمنفصل) .ومعنى نفي الكم المتصل في الصفات :أنه ليس للإله من كل صفة من صفاته إلا صفة واحدة، فليس له مثلاً إرادتان بل إرادة واحدة، وليس له قدرتان بل قدرة واحدة، وهكذا في كل صفة من صفاته تعالى، ومع ذلك فإن إرادته تتعلق بجميع الممكنات، وقدرته كذلك، وعلمه يتعلق بجميع المعلومات... وهكذا، والتعدد في التعلقات لا يلزم منه تعدد الصفات .

---

[166] راجع أقوالهم في الملل والنحل 1/ 105 مبحث المشبهة .

ومعنى نفي الكم المنفصل في صفاته تعالى : أن كلّ ما ثبت صفة لله تعالى استحال ثبوته لغيره، وكذا كلّ صفة ثبتت للمخلوق استحال اتصاف الخالق بها. فلا شبيه لله تعالى مطلقاً. فإرادة الله تعالى ليست كإرادة المخلوقات، ولا علمه كعلمهم، ولا سمعه كسمعهم، ولا بصره كبصرهم، ولا حياته كحياتهم، وهكذا في كل صفة من صفاته.

استشكال الكاتب حول مسألة النظر وخلاف الأشاعرة في ترتيب ذلك:

> قال الكاتب : أما أول واجب عند الأشاعرة فهو النظر أو القصد إلى النظر أو أول جزء من النظر أو .. إلى آخر فلسفتهم المختلف فيها وعندهم أن الإنسان إذا بلغ سن التكليف وجب عليه النظر ثم الإيمان واختلفوا فيمن مات قبل النظر أو في أثنائه ، أيحكم له بالإسلام أم بالكفر ؟!

الجواب: اولاً : تصور الأمور كما هي يؤدي إلى الحكم الصحيح الراسخ الذي لايتزلزل بإذن الله، ولذا فإن معرفة الله واجبة بأسماءه ، وصفاته ، وأنه لا شريك له فيسبق هذا العلم اليقيني نظر وتفكر ولذا قال الله تعالى ((أفلا ينظـــرون إلى الإبل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت ..)) وقال تعالى ((وفي أنفسكم أفلا تبصرون)) وغيرها من الآيات الكثيرة التي توجب على الإنسان النظر ليتوصل لليقين .

قول الحنابلة وأصحاب الحديث في النظر:

قال القاضي أبو يعلى : أول واجب وطاعة اكتساب إرادة النظر المؤدي إلى المعرفة ،فمن تركه مع القدرة عليه لغـــير عذر أثم.[167]

وقال ابن حمدان ـــ وهو يذكر معتقد الحنابلة ــــ :يجب معرفة الله شرعاً بالنظر في الوجود والموجود على كـــل مكلف قادر.[168]

وأوجب ابن جيرير النظر عند البلوغ لما سُئل : متى لزمه فرض النظر في مدبره وصانعه؟[169]

إذن فمأخذهم شرعي صحيح لاغبار عليه ولم يأمرنا الله بالتفكر والنظر عبثاً ـــ سبحانه وتعالى ـــ بل أمرنا بـــالنظر لمقصد عظيم ، وهو ما يورثه ذلك النظر من اعتقاد راسخ ، فهو وسيلة لاغاية في نفسه بينما ترى المقلـــد في ذلـــك متزلزل لا يثبت على شيء ، وهذا ما جعل كفار قريش يصدقون عمرو بن لحي في كون الأصنام التي جلبها من الشام آلهة مع الله.

ثانياً : سبب الخلاف بين الأشاعرة ؟ الخلاف هنا خلاف لفظي

قال الإمام صفي الدين أبو عبد الله الأُرموي الأشعري:اختلفوا في أول الواجبات، فقيل: هو معرفة الله تعالى، وقيل: هو النظر المفيد للمعرفة، وقيل: هو القصد إلى النظر، والخلاف لفظي، لأنه إن أريد بأول الواجبات ما يجـــب مقصوداً بالذات فلا شك أنه القصد، وإن أريد به السبب المفيد لما هو المقصود بالذات فلا شك أنه النظـــر المفيـــد للمعرفة، ثم النظر واجب سمعاً.[170]أ ـــ هـــ

إذن هو في الحقيقة ليس بخلاف تضاد، ولذا أمكن الجمع بين أقوالهم جميعاً: ذلك أنها تأتي باعتبارات :

---

[167] نهاية المبتدئين ص22.

[168] نهاية المبتدئين ص22

[169] التبصيرفي معام الدين ص122

[170] الرسالة التسعينية في الأصول الدينية للأرموي المقدمة الثانية .

كما قال الباجوري: فابعتبار المقصد والهدف فلا شك أنه المعرفة ، وباعتبار أقرب وسيلة فهي النظر ولكي يتم ذلك النظر فلابد أن يقصد إليه ، بمعنى أن يفرغ القلب عن الشواغل والشبهات ليتسنى له النظر الصحيح . أ ـ هـ باختصار يسير [171] .فتبين أن مقصودهم صحيح ، وأن الهدف منه واجب ، ومستنده النصوص الشرعية ، والنظر الرجيح.

قال الكاتب : وينكر الأشاعرة المعرفة الفطرية ويقولون إن من آمن بالله بغير طريق النظر فإنما هو مقلد ....إلخ

الجواب:

اختلف العلماء في ذلك لأنها مسألة اجتهادية وسبب اختلافهم هو كونه يورثه

التردد والتحير في إيمانه وأكثر أهل السنة والجماعة من الأشاعرة والماتردية والحنابلة على تحريم التقليد في ذلك .

ولو دخلت موقع اللادينيين العرب لرأيت كم من شاب من شباب بلدك الحبيب إنزلق إلى الكفر ،ووقع في إلحاد و أيما إلحاد!! فالمقلد كالريشة في مهب الريح ولذا فوجب ترسيخ قضايا الإيمان بالله بكل الأدلة الممكنة المباحة.وأنا اذكر نفسي وإياكم بذلك.من باب الأمانةفي النصح.

أنقل ماذكره المرداوي في التحبير حيث قال:

قال الحنابلة : يحرم التقليد في معرفة الله تعالى، والتوحيد، والرسالة عند أحمد والأكثر ذكره القاضي ، وابن عقيل، وابو الخطاب الكلوذاني، وذكره عن عامة العلماء ،وذكر غيره أنه قول الجمهور .[172]

القول الثاني : أنه يجوز التقليد: أجازه العنبري المعتزلي، ويعزى للحشوية كما في شرح الفية البرماوي والتحبير شرح التحرير .[173]أ ـ هـ

والقول المعتمد الذي عليه الأشعرية هو ما اختاره الباجوري بعد أن ساق الأقوال في المسألة ثم قال: والقول الذي عليه المعول هو: أن التقليد في ذلك كافياً ، فإن كان فيه أهلية للنظر كالعلماء ونحوهم فهو مؤمن عاصي ، وإن لم يكن فيه أهلية النظر كأكثر الناس فهو معذور وإيمانه صحيح .أ ـ هـ [174] وهذا هو عين ما نقله الموجان في رده ناقلاً عن العلائي و لم يتنبه لما فيه وسبق ، الكلام عن ذلك في مكانه .

الأدلة النقلية على صحة ذم علماء الأشاعرة والإمام أحمد وعامة أهل العلم للتقليد في العقيدة:

والمقصود شيئين:

1ـ عدم التقليد في مخالفة القطعي .

2ـ عدم التقليد في تحصيله بل لابد من طلبه بدليله ولو بأقل دليل. بشرط أن يورث اليقين .

ودليلهم أن التقليد في الاعتقاد مذموم أن الشرع قد أتى بذمه في القطعيات فمن ذلك:

---

[171] شرح جوهرة التوحيد ص100.

[172] شرح التحرير 8/ 408

[173] شرح التحرير 8/ 408

[174] شرح الجوهرة 101

1- قوله –تعالى-: ((وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ))

2- قول الله –تعالى-: ((وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ)).

3- قول الله –تعالى-: ((إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ))

هذه الآيات وغيرها واردة في حق المشركين الذين قلدوا سادهم وكبرائهم من علماء وآباء في الكفر بالله –تعالى- وعبادة الأصنام، فهي تدل على المنع من التقليد في العقائد.

فكلامهم صحيح بلا ريب .

المسألة الثانية :

اختلاف مستويات الناس في الاستدلال العقلي

كل الخلق متفقون على الاستدلال بأدلة العقل على وجود الله المدبر لكل موجود،ولكن تختلف أساليبهم بحسب مستوياهم العقلية ، والعلمية .

أمثلة :1ـــ لا يغيب عنا حال ذلك الأعرابي الذي استدل بالعقل على وجود المدبرفقال :[البعرة تدل على البعير والأثر يدل على المسير، أفأرض ذات فجاج وسماء ذات أبراج ألا تدل على اللطيف الخبير] .

هذا الأعرابي بحسب إمكانياته العلمية استدل بدليل العقل على وجود الله تعالى ،فاستدل بدليل الحدوث وأن هذه الحادثات لابد لها من خالق أوجدها وهو الله تعالى .فبالأثر استدل على المؤثر.

2ـــ وتترقى المفاهيم العقلية فنرى سيدنا الخليل عليه السلام يستدل بالدليل العقلي على أن الأفلاك ليست المدبر في الكون بدليل لتغير من حال إلى حال قال تعالى {فلما جن عليه الليل رأي القمر بازغاً قال هذا ربي فلما أفل قال لاأحب الآفلين } فهو يحرك عقول قومه بالتنبيه إلى أن المتغير لا يمكن أن يكون هو الرب سبحانه جل شأنه ، لأن التغير دليل على الحدوث ، وهذا يدل على الافتقار للغير ، والخالق المعبود يكون غنياً عمن سواه .

خضوع كثير من أهل الفكر للدليل العقلي:

إن بعض كبار الباحثين يمتازون عن غيرهم بأهم يبحثون في الأمور بعقل ونظر . ولذا فإن شهاداهم تعد ذات اعتبار كبير في الأمور التي يدلون فيها بآرائهم ،وأذكر هنا أقوال بعض من العلماء المشهورين في قضية الوجود والخلق .

1ـــ قال نيوتن: إنه لا يمكن أن تأتي إلى حيز الوجود مباهج عالم الطبيعة الزاهرة ،ومنوعاهٍا هذه، بدون إرادة واجب الوجود، أعني به الإله القادر قدرة مطلقة، السميع البصير ... أ ـــ هــــ.

2ـــ أما العالم الأمريكي الفسيولجى أندرو كونواى ايفى فقد قال :إن أحداً لا يستطيع أن يثبت خطأ الفكرة التي تقول إن الله موجود،كما إن أحداً لا يستطيع أن يثبت صحة الفكرة التي تقول: إن الله غير موجود ، وقد ينكر منكر وجود الله تعالى ولكنه لا يستطيع أن يؤيد إنكاره بدليل.وأحيانا يشك الإنسان في وجود شيء من الأشياء ولابد في

هذه الحالة أن يستند شكه إلى أساس فكري، ولكنني لم أقرأ و لم أسمع في حياتي دليلاً عقلياً واحداً على عدم وجوده تعالى ، وقد قرأت وسمعت في الوقت ذاته أدلة كثيرة على وجوده، كما لمست بنفسي بعض ما يتركه الإيمان من حلاوة في نفوس المؤمنين وما يخلفه الإلحاد من مرارة في نفوس الملحدين).[175]

إشكالات الكاتب حول الإيمان

> الأشاعرة في الإيمان مرجئة جهمية أجمعت كتبهم قاطبة على أن الإيمان هو التصديق القلبي ، واختلفوا في النطق بالشهادتين أيكفي عنه تصديق القلب أم لابد منه ، قال صاحب الجوهرة:
>
> وفسر الإيمان بالتصديق والنطق فيه الخلف بالتحقيق
>
> وقد رجح الشيخ حسن أيوب من المعاصرين أن المصدق بقلبه ناج عند الله وإن لم ينطق بهما ومال إليه البوطي ، فعلى كلامهم لا داعي لحرص النبي صلى الله عليه وسلم أن يقول عمه أبو طالب لا إله إلا الله لأنه لاشك في تصديقه له بقلبه ، وهو وَمَن شابهه على مذهبهم من أهل الجنة!!
>
> هذا وقد أولوا كل آية أو حديث ورد في زيادة الإيمان ونقصانه أو وصف بعض شعبه بأنها إيمان أو من الإيمان .
>
> ولهذا أطال شيخ الإسلام رحمه الله الرد عليهم بأسمائهم كالأشعري والباقلاني والجويني وشراح كتبهم وقرر أنهم على مذهب جهم بعينه ، وفي رسالتي فصل طويل عن هذه القضية فلا أطيل به هنا.

الجواب :

1ـــ أدعى الكاتب أن علماء أهل السنة من الأشاعرة مرجئة جهمية في الإيمان.!

2ـــ أدعى أنهم لايدخلون العمل في الإيمان.

3ـــ أدعى أن لازم قولهم تصحيح إيمان المشركين كأبي طالب.

4ـــ أنهم لايقولون بزيادة الإيمان ونقصانه ولذا أدعى أنهم أولوا نصوص زيادة الإيمان ونقصانه معتمد في ذلك على كلام الإمام ابن تيمية .

و كل هذه الدعاوى باطلة قطعاً :

ووصفكم لهم بأنهم على مذهب جهم بعينه شهادة باطلة والله يتولى هداك:

واما البيت الذي نقلته لصاحب الجوهرة فأكتبه لكم كاملاً بسياقه

قال صاحب الجوهرة :

وفسر الإيمان بالتصديق والنطق فيه الخلف بالتحقيق

فقيل شرط كالعمل وقيل بل شطر والإسلام اشرحن بالعمل

ونأتي إلى بيان المسألة بعون الله تعالى :

السلف يقولون الإيمان هو (اعتقاد بالقلب ،وقول باللسان ،وعمل بالجوارح)

والخوارج والمعتزلة يقولون الإيمان (اعتقادبالقلب ،وقول باللسان ،وعمل بالجوارح)

فهل سلف أهل السنة والجماعة يتوافقون مع الخوارج في ماهية الإيمان، وكونها مركبة من أمور ثلاثة فمن أخل بشيء منها فهو كافر؟

[175] الله الخالق يتجلى في عصر العلم

وبداية أقول :إن أهل العقائد دونوا علم العقيدة ، واصطلحوا على مصطلحات علمية عقدية توزن بها أقوالهم ، وحين يذكرون الإيمان هنا فهم يقصدون أحد أمر ين :

الأمر الأول : ما ينتفي به الكفر المخرج من الملة وهو ما يسمى بأصل الإيمان .

الأمر الثاني: مازاد على ذلك وهو ما يسمى بكمال الإيمان.

والحقيقة القطعية أنه لاتوافق بين أهل السنة والجماعة سلفهم وخلفهم مع الخوارج ،والمعتزلة ،والمرجئة في معنى الإيمان ولذا فهل العمل عند سلف أهل السنة داخل في الإيمان ؟وهل وافقوا الخوارج في كونه شرط لصحة الإيمان ؟

الحقيقة أن أهل السنة والجماعة يفرقون بين أصل الإيمان، وكماله وسأبين ذلك لاحقاً بالنقلوالتوثيق ـــ إن شاء الله ـــ .

وسنرى هذه الجوانب الثلاثة عند الأشاعرة من كتبهم :

الجانب الأول: اعتقاد القلب : ومعناه هو التصديق المقترن بالإذعان . والأشاعرة يقررون ذلك ،وهذا هو أصل الإيمان الذي به يدخل الإسلام وينتفي به الكفر ، فهو التصديق ،ومعناه عند الأشاعرة : قبول القلب وإذعانه لماعلم من الدين بالضرورة.[176] فالتركيزعليه لأنه أصل الإيمان .

قال تعالى في المنافقين من الأعراب {وقالت الأعراب أمنا قل لم تأمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم}[177]

وفي حديث جبريل المشهور قال ما الإيمان ؟(قال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الأخر والقدر خيره وشره))

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث الشفاعة الطويل وجاء فيه (فيقال يا محمد ارفع رأسك ، وسل تعط ،واشفع تشفع ، فأقول يارب أمتي أمتي فيقول : انطلق فأخرج من كان في قلبه أدنى أدنى أدنى مثقال حبة خردل من إيمان فأخرجه من النار ، فأنطلق فأفعل)رواه البخاري في الصحيح وغيره[178]

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني الأشعري:الإيمان لغة التصديق .

وشرعاً : تصديق الرسول فيما جاء به عن ربه وهذا القدرمتفق عليه .

ثم وقع الاختلاف :هل يشترط مع ذلك مزيد أمر من جهة ابداء هذا التصديق باللسان المعبر عما في القلب إذ التصديق من أفعال القلوب ؟أو من جهة العمل ..كما سيأتي ذكره إن شاء الله.[179]

وقال الباجوري: المقصود بالتصديق هو التصديق المعهود شرعاً وهو :تصديق النبي صلى الله عليه وسلم في كل ماجاء به وعلم من الدين بالضرورة ..والمراد بتصديق النبي في ذلك الإذعان لما جاء به والقبول له ، وليس المراد مجرد

---

[176] المسامرة شرح المسايرةص279.

[177] أنظر تفسير البغوي وابن الجوزي والرازي والقرطبي و الشوكاني وابن جرير سورة الحجرات .

[178] مختصر صحيح البخاري ص738

[179] فتح الباري كتاب الإيمان 63/1

وقوع نسبة الصدق في القلب من غير إذعان وقبول له حتى لا يلزم الحكم بإيمان كثير من الكفار الذين كانوا يعرفون حقيقة نبوته ورسالته ومصداق

ذلك قوله تعالى ((يعرفونه كما يعرفون أبناءهم)).أ ـــ هـــ بحروفه.[180]

وهنا تبطل دعوى المؤلف من أن لازم قولهم تصحيح إيمان المشركين كأبي طالب، لأنه ليس الإيمان عندهم معرفة مجرده ،ولا هو مجرد وجود نسبة الصدق في القلب ،بل هو أمر زائد عن ذلك ألا وهو الإذعان والقبول لدين الإسلام .

وقال الإمام الخطابي وهو من أصحاب الحديث: أصل الإيمان التصديق وأصل الإسلام الاستسلام والانقياد.[181]

وقال محمد بن نصر المروزي ـــ وهو يحكي أقوال اصحاب الحديث ـــ:

الأصل التصديق بالله والخضوع له بإعطاء العزم للأداء بما أمربه ومجانباً للاستنكاف والاستكباروالمعاندة.[182]

وقال أيضاً: فإن قيل لهم اليس الإيمان ضد الكفر؟ قالوا الكفر ضد لأصل الإيمان ،لأن للإيمان أصلاً وفرعاً فلا يثبت الكفر حتى يزول أصل الإيمان الذي هو ضد الكفر.[183] فانظر كيف يثبتون أن للإيمان أصل وفرع .والفرع هو ما يسمى بالكمال.

وقال : وقالوا: فكذلك لا نسميه مؤمناً ،ونسميه فاسقاً زانياً وإن كان أصل في قلبه اسم الإيمان لأن الإيمان أسم أثنى الله به على المؤمنين ..

وقالوا: ولو كان أحد من المسلمين الموحدين يستحق أن لايكون في قلبه إيمان ولا إسلام من الموحدين لكان أحق الناس بذلك أهل النار الذين دخلوها فلما وجدنا النبي يخبر أن الله يقول ((أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان ثبت أن شر المسلمين في قلبه إيمان)).أ ـــ هـــ [184]

وغرضي من النقل عن الإمام المروزي بيان شيئين:

الشيء الأول: بيان اختلاف أصحاب الحديث في المسائل العقدية وهو اختلاف اجتهادي .

الثاني: لأبين كونهم يفرقون بين أصل الإيمان وكماله وأنهم يسمون فاعل الكبيرة فاسق مسلم وليس بكامل الإيمان وهو نفس كلام الأشاعرة لأنه عين مذهب السلف.

الجانب الثاني: عمل الجوارح: وهو شرط للإيمان عند الأشاعرة وجميع أهل السنة والجماعة ولكنهم يختلفون عن الخوارج والمعتزلة حيث أن الخوارج والمعتزلة يجعلون العمل شرط لصحة الإيمان ففاعل الكبيرة كافر عندهم في الأخرة فضلاً عن تارك العمل كلية وهو في الدنيا كافر عند الخوارج وفي منزلة بين الإيمان والكفر عندا لمعتزلة ، بينما الأشاعرة وافقوا السلف في أن تارك العمل ليس بكافر ولو ارتكب الكبائر بل هو مؤمن فاسق وهو تحت مشيئة الله في الأخرة إن شاء عذبه أو غفر له ولو دخل النار فلا يخلد فيها .

[180] شرح جوهرة التوحيد ص111.

[181] شرح صحيح مسلم للنووي 102/1

[182] تعظيم قدر الصلاة للمروزي521

[183] تعظيم قدر الصلاة334.للمروزي 202هـ إلى 299.

[184] تعظيم قدر الصلاة 335

لقوله تعالى ((إن الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء))

اما إذا كان تركه للعمل استحلالاً أو عناداً للشارع أو شكاً في مشروعية العمل فهو كافر فيماعلم من دين الإسلام بالضرورة.

ويدل على دخول العمل في الإيمان ((الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها قول لا إله إلا الله وادناها إماطة الأذى عن لطريق ..))

ولذا قال الباجوري: [(العمل) شرط كمال على المختار عند أهل السنة ، فمن أتى بالعمل فقد حصل الكمال ، ومن تركه فهو مؤمن لكنه قد فوت على نفسه الكمال إذا لم يكن مع ذلك استحلال أو عناد للشارع أو شك في مشروعيته ، وإلا فهو كافر فيما علم من الدين بالضرورة .وذهبت المعتزلة إلى أن العمل شطر من الإيمان لأنهم يقولون : بأنه العمل والنطق والاعتقاد فمن ترك العمل فليس بمؤمن لفقد جزء من الإيمان وهو العمل ولا كافر لوجود التصديق فهو عندهم في منزلة بين المنزلتين ويخلد في النار ويعذب بأقل من عذاب الكافر .والخوارج يكفرون مرتكب الكبائر]. أ ـــ هـــ كلام الباجوري[185].

وقال الحافظ ابن حجر : فالسلف قالوا هو اعتقاد بالقلب ،ونطق باللسان ،وعمل بالأركان .وأرادوا بذلك أن الأعمال شرط في كماله .ومن هنا نشأ لهم القول بالزيادة والنقصان .أ ـــ هـــ [186]

وقال ابن حجر أيضاً: والفارق بينهم وبين السلف أنهم(أي المعتزلة)جعلوا الأعمال شرطاً في صحته والسلف جعلوها شرطاً في كماله .[187]

قال الإمام الآمدي: فعلى هذا مهما كان مصدقاً بالجنان على الوجه الذى ذكرناه وإن أخل بشئ من الأركان فهو مؤمن حقا وانتفاء الكفر عنه واجب، وإن صح تسميته فاسقاً بالنسبة إلى ما أخل به من الطاعات ، وارتكب من المنهيات ، ولذلك صح ادراجه في خطاب المؤمنين وادخاله في جملة تكليفات المسلمين بقوله:{ وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة }ونحو ذلك من الآيات.أ ـــ هـــ [188]

وقال ابن نصر المروزي:فإن قيل بين لنا الأصل والفرع ؟أي في الإيمان

قيل لهم:الأصل التصديق بالله والخضوع له بإعطاء العزم للأداء بما امربه ومجانباً للاستنكاف والاستكبارو المعاندة.والفرع :تحقيق ذلك بالتعظيم لله ،والخوف ،والرجاء ،الذي يبعثهم على اداء فرائضه ،واجتناب المحارم ،فإن أدوا الفرائض ،واجتنبوا المحرمات من قلوبهم وأبدانهم فقد اجتمع أهل السنة على أن هذا هو الإيمان المفترض.[189]

فهل تجد فرق حقيقي بين قول السادة الأشاعرة، وبين سلفهم من أهل السنة والجماعة ؟!

---

[185] ص117
[186] الفتح 64/1
[187] الفتح 64/1
[188] غاية المرام 310/1
[189] تعظيم قدر الصلاة للمروزي521

تنبيه: ترك الصلاة بلا جحود مسألة فقهية خلافية وليست مسألة عقدية

فجمهور العلماء وهي رواية في مذهب أحمد اختارها الموفق ،والمجد ابن تيمية ،وابن بطة: أنه لا يكفر خلافاً للرواية الثانية وهي معتمد مذهب الحنابلة أنه يكفر ،ولكن بشرط أن يدعوه إمام المسلمين أو نائبه كالقاضي الشرعي فيصر على الترك فهو كافر حينئذٍ .

ولا ينبني على هذه المسألة الفقهية كون من قال بكفر تارك الصلاة بشروط المذهب أنه خارج من أهل السنة والجماعة ، ولا أن من لم يقل بكفره خارج منهم، لأنها مسألة فقهية فرعية .[190] .

فالعمل عند الأشاعرة وسلفهم من أهل السنة والجماعة أنه شرط لكمال الإيمان، لا لصحة الإيمان،وأنه أصل ، وفرع ، ولذا فارقوا الخوارج والمعتزلة.لقوله تعالى ((إن الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء))

فتارك العمل إذا لم يكن شكاً ولا عناداً ولا جحداً ،فهو مؤمن وليس بكافر، مع أنه فاسق بتركه للعمل ،هذا مانص عليه الأشاعرة ،وأصحاب الحديث وغيرهم.

الجانب الثالث النطق بالشهادتين : من شروط الإيمان عند الأشاعرة أن ينطق بالشهادتين فإن لم يفعل ذلك إباءً فهو كافر في الدنيا والأخرة .

يقول الباجوري: وإن الآبي بأن طلب منه النطق بالشهادتين فأبى فهو كافر فيهما ،ولو كان مذعن بقلبه فلا ينفعه ذلك ولو في الأخرة.[191]أ ـــ هـــ

وللحكم بالنطق عندهم محلان :في الحياة الدنيا وفي الأخرة : فمن اتفق أنه صدق بقلبه مع الإذعان التام ولم ينطق بلسانه لا لعذر منعه، كخرس ونحوه ، ولا لإباء ، فهو مؤمن عندالله، وأما في الأحكام الدنيوية فهو غير مؤمن ، ويعنون بأحكام الدنيا ،مناكحته وتغسيله والصلاة عليه إذا مات وغير ذلك فإنه لا يعطى له حكم المؤمنين إلا إذا علمنا بإيمانه ، وهذا لا يحصل إلا بالنطق باللسان ،لأنه علامة على ما في قلبه ، فإن لم نعلم منه ذلك فيعطى أحكام الكفار في الدنيا ،وأما في الأخرة فمادام أنه صدق بقلبه مع الإذعان التام فهو مؤمن عند الله لأن الله علاّم الغيوب .وقولهم مع الإذعان ليخرج تصديق إبليس ونحوه من الكفار فإنه بغير إذعان .فالإقرار باللسان عندهم شرط لإجراء أحكام المسلمين عليه ومعاملته معاملة المسلمين[192] .

فتبين مما سبق أنهم وافقوا السلف في الإيمان لأن هذا معنى قول السلف أن الإيمان تصديق بالقلب ، وعمل بالجوارح ، ونطق باللسان ، وليس معناه أن السلف يقولون بقول الخوارج من أنه إن لم يعمل فهو كافر ، إلا ما ذكر في الكلام السابق مما استثناه العلماء كالآبي والجاحد ونحوهم .

---

[190] ويظن بعض المشايخ هداهم الله أن مسألة ترك الصلاة ونحوها من الأعمال مسألة عقدية فقال والصواب: أن الأعمال عند السلف : قد تكون شرطاً لصحة الإيمان أي أنها من حقيقة الإيمان قد ينتفي الإيمان بانتفاءها .أ ـــ هـــ وقد قدمت لك أخي القارىء أنها مسألة فقهية إلا إذا كان الترك جحداً أو عناداً لأنه تكذيب لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم وهكذا يقال في سائر العبادت كجاحد الزكاة ونحوهامما هو معلوم من الدين بالضرورة.

[191] شرح الجوهرة ص116

[192] نفس المصدر ص116

كلام ابن حزم في المسألة :

وقال الإمام ا بن حزم: إن قال قائل: أليس الكفر ضد الإيمان؟

قلنا وبالله التوفيق: إطلاق هذا القول خطأ ،لأن الإيمان اسم مشترك يقع على معان شتى كما ذكرنا.فمن تلك المعاني شيء يكون الكفر ضداً له.

ومنها ما يكون الفسق ضداً له لا الكفر.ومنها ما يكون الترك ضداً له لا الكفر ولاالفسق.

فأما الإيمان الذي يكون الكفر ضداً له فهو "العقد بالقلب، والإقرار باللسان" فإن الكفر ضد لهذا الإيمان.وأما الإيمان الذي يكون الفسق ضداً له لا الكفر فهو "ما كان من الأعمال فرضاً" فإن تركه ضد للعمل وهو فسق لا كفر.وأما الإيمان الذي يكون الترك له ضد فهو ما كان من الأعمال تطوعاً فإن تركه ضد العمل به وليس فسقاً ولا كفراً.برهان ذلك ما ذكرناه من ورود النصوص بتسمية الله عز وجل أعمال البر كلها إيماناً وتسميته تعالى ما سمي كفراً وما سمي فسقاً وما سمي معصية وما سمي إباحة لا معصية ولا كفراً ولا إيماناً .[193]

المسألةالثانية : هل هم مرجئة كما ذكر الكاتب غفر الله له ؟

اولاً :نأخذ كلام المرجئة : فقد كانوا يقولون : لا تضر مع الإيمان معصية كما لا تنفع مع الكفر طاعة .[194]

فلازم ذلك أن إيمان أفضل الصحابة أبي بكر رضي الله عنه كإيمان أفسق الفساق من المؤمنين .

فكيف نقول أن الأشاعرة كالمرجئة ؟!!

وقد تقدم لك أنهم يقولون أن العمل شرط لكمال الإيمان ،وتاركه فاسق ،وهو تحت مشيئة الله في الأخرة إن شاء غفر له وإن شاء عذبه، فقولهم فيه هو قول أصحاب الحديث سواء بسواء من حيث المعنى على أقل تقدير .

فإذا كنت تقصد أن الأشاعرة مرجئة بمعنى أنهم لا يكفرون المسلمين بترك العمل إذا تركوه تهاوناً وكسلاً ،فهذا ليس بنقص في الأشاعرة ، بل هو عقيدة أهل السنة والجماعة خلافاً للخوارج. وإن قصدت أنهم مرجئة بمعنى أنهم لا يدخلون العمل في الإيمان العام فكلامك باطل، لأن الأشاعرة
يدخلون العمل في الإيمان كما سبق بيانه.

فالأشاعرة وسائر أهل السنة وسط بين المرجئة والوعيدية من المعتزلة والخوارج.

قال الإمام الأرموي:والعاصي غير الكافر لا يعاقب عند المرجئة، وهو مذهب مقاتل بن سليمان،

وعند المعتزلة والخوارج يقطع بعقابه.

وعندنا أنه لا يقطع بالعقاب ولا بالعفو، هذا في حق المعينين، وإن كنا نقطع بوقوع عفو الله تعالى في الجملة وأن الله تعالى يعفو عن بعضهم، لما ورد في السمعيات الدالة عليه.[195]

---

[193] الفصل في الملل والأهواء والنحل 3/118،119

[194] الملل والنحل للشهرستاني 1/139

[195] الرسالة التسعينية في العقائد الدينية .

فواضح من كلام العلماء السابق أن الناس على أربعة مذاهب :

1ـ أهل السنة والجماعة : وهم جمهور الأثرية والأشعرية والماتردية وهؤلاء يجعلون العمل شرطاً لكمال الإيمان لا لصحته.

2ـ الخوارج والمعتزلة : وهؤلاء يجعلون العمل شرطاً لصحة الإيمان.

3ـ مرجئة أهل الحديث ويسمون أيضاً مرجئة أهل السنة : وهم لايدخلون العمل في الإيمان ولكنهم يعتبرون تارك العمل فاسقاً فمنهم : الحسن بن محمد بن علي بن أبي طالب ،وسعيد بن جبير ،وطلق بن حبيب ،وعمرو بن مرة ، ومحارب بن زياد ،ومقاتل بن سليمان ،وحماد بن أبي سليمان ،وأبوحنيفة ، وأبو يوسف ، ومحمد بن الحسن .[196]وهؤلاء من الفرقة الناجية بلا شك لأن الخلاف فيها يسير بين أهل السنة .

4ـ غلاة المرجئة : وهم يقولون : لا تضر مع الإيمان معصية كما لا تنفع مع الكفر طاعة ولا يدخلون العمل في الإيمان بتاتاً .وهؤلاء هم المرجئة الخارجون عن أهل السنة والجماعة .

قال الإمام ابن حزم : وإنما لم يكفر من ترك العمل وكفر من ترك القول لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم حكم بالكفر على من أبى القول وإن كان عالماً بصحة الإيمان بقلبه، وحكم بالخروج من النار لمن آمن بقلبه وقال بلسانه وإن لم يعمل خيراً قط، وفي صحيح مسلم من حديث أبي سعيد الخدري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «فيخرج منها -يعني من النار- قوماً لم يعملوا خيراً قط قد عادوا حمماً فيلقيهم في نهر في أفواه الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون كما تخرج الحبة في حميل السيل، ألا ترونها تكون إلى الحجر أو إلى الشجر ما يكون إلى الشمس أصيفر وأخيضر، وما يكون منها إلى الظل يكون أبيض»، فقالوا: يا رسول الله كأنك كنت ترعى بالبادية، قال: «فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتم يعرفهم أهل الجنة هؤلاء عتقاء الله الذين أدخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه)[197]

المسألة الثالثة: دعوى أنهم يقولون: أنه لاداعي لأن يقول الكافر لا إله إلا الله !!

وهذا غلط عليهم وقد تبين مما سبق قولهم أن الآبي بأن طلب منه النطق بالشهادتين فأبى فهو كافر في الدنيا والأخرة ولو كان مذعن بقلبه فلا ينفعه ذلك ولو في الأخرة.[198]

بل إذا لم ينطق به في الدنيا فليس بمؤمن في الأحكام الدنيوية فلا يعامل معاملة المسلمين .[199] وتنبه إلى أن الكاتب يلقي التهم جزافاً بلا نقل ولا تثبت. وإن نقل أحدهم نقل شيئاً وترك الأشياء التي لو نقلت لتم بها التوضيح.

هل يزيد الإيمان وينقص على معتقد الأشاعرة؟

نعم يقول الباجوري:فتلخص أن الأقسام ثلاثة :

1ـ يزيد وينقص ، وهو إيمان الأمة إنساً وجناً .

---

[196] الملل والنحل :1/ 146

[197] الدرة فيما يجب اعتقاده ص 337

[198] شرح الجوهرة ص161

[199] شرح المسايرة وشرح الجوهرة مبحث الإيمان .

2ـــ لايزيد ولا ينقص وهو إيمان الملائكة .

3ـــ يزيد ولا ينقص وهو إيمان الأنبياء .أ ـــ هـــ [200] ولكن تصديقه الذي هو أصل دخوله الإسلام وانتفاء الكفر لا ينقص ،ومادام أنه لا ينقص فكيف يزيد وذلك لأن التصديق لو نقص فهو إما شكاً أو تكذيباً وكلاهما كفر .قال ابن بطال: وأما التصديق بالله ورسوله فلا ينقص ولذلك توقف مالك رضي الله عنه في بعض الروايـــات عـــن القـــول بالنقصان إذ لا يجوز نقصان التصديق لأنه إذا نقص صار شكاً وخرج عن اسم الإيمان. [201] .

قال الإمام النووي: قال المحققون من أصحابنا المتكلمين :نفس التصديق لايزيد ولا ينقص والإيمان الشـــرعي يزيـــد وينقص بزيادة ثمراته وهي الأعمال ونقصانها أ ـــ هـــ [202]

مع العلم أن من الأشاعرة وغيرهم من أهل السنة من يقول أن التصديق يزيد ،وكأنه نظروا إلى مقتضيات زيادة تثبيت اليقين ، ولكن المتأمل يرى أنه لاخلاف، لأن مقصود الجمهور منهم في نفي نقص الإيمان هي الشك أو التكذيب ، بخلاف ما يقصده الأخرون وهو عمل القلب من طمأنينة وخشوع وغيرها.

إذن فكلام الأخ الحوالي وغيره ـــ هداهم الله ـــ مجرد شبهات ، ولا يصلح أن يرمي طالب العلم بـــالكلام علـــى عواهنه بلا بينة ،ولا تثبت ، ولاتمحيص ـــ غفر الله للجميع .رغم أن مسألة الإيمان فيها خلاف كبير بين أهـــل السنة والجماعة ، بين الأشعرية أنفسهم .وكذلك بين أصحاب الحديث أنفسهم ، وراجع ليتبين لكم ذلك كتـــاب تعظيم قدر الصلاة لابن نصر ، ولا إشكال في هذا الخلاف ولله الحمد ، فهذا خلاف لا يخرجهم عن الطائفة الناجية.

ثمرات خلاف الناس في مسألة الإيمان :

1ـــ من الثمرات زيادة الإيمان ونقصانه :وهذا خلاف لمن يقول إذا وقع في كبيرة زال إيمانه بالكلية وخلد في النار . وهـــذا لايقول به أحد من أهل السنة والجماعة لا من الأشعرية ولا الحنابلة المفوضة ولا الماتردية.

2ـــ أن الإيمان لايزيد بفعل الطاعات لا في أصله ولا في كماله ، فإيمان أفسق المسلمين كإيمان أبي بكر وعمر.وزعموا أن الإيمان هو مجرد المعرفة وهذا هو الإرجاء ولا يقول به أحد من أهل السنة وجماعة . [203]

مناقشة ثمرة أقوال الحوالي والموجان مقارنة بأهل السنة والجماعة

قول الحوالي وغيره : أن العمل جزء من الإيمان معناه أن تارك العمل كافر

قال الحوالي: (الإيمان حقيقة مركبة وترك جنس العمل كفر) [204]

---

[200] شرح الجوهرة ص128

[201] شرح صحيح مسلم للنووي 103/1

[202] شرح صحيح مسلم 1/ 105

[203] الملل والنحل 140/1

[204] ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي . للحوالي وانظر نقضها للدكتور ياسر برهامي ص37

فأقول: اولاً أن الإيمان أصل ، وكمال وقد قاله كثير من العلماء ومنهم الشيخ تقي الدين بن تيمية حيث قال: والدين القائم بالقلب من الإيمان علماً وحالاً هو الأصل، والأعمال الظاهرة هي الفروع وهي كمال الإيمان.أ ـــ هـــ [205]

بينما الكاتب وغيره لا يعترفون بهذا التقسيم .

وعلى كل حال فلن أطيل في بيان أن تارك العمل إن لم يكن مستحلاً لتركه فليس بكافر وإنما

إليكم نقول عن السلف هي عين مذهب الأشاعرة .

1ـــ ما روي عن الإمام أحمد في رسالته إلى مسدد بن مسرهد : ((ولا يخرجه من الإسلام إلا الشرك العظيم ،أو يرد فريضة من فرائض الله جاحداً لها ،فإن تركها تهاوناً وكسلاً كان في مشيئة الله ،إن شاء عذبه وإن شاء عفى عنه) [206]

2ـــ وعن سفيان الثوري قال: فمن ترك خلة من خلل الإيمان جاحداً كان بها عندنا كافراً ،ومن تركها تهاونـــاً أو كسلاً أدبناه ،وكان بها عندنا ناقصاً ، هكذا السنة .[207]

3ـــ وقال ابن بطة : وقال أهل الجماعة : الإيمان هو الطاعات كلها بالقلب واللسان ،والجوارح ، غير أن له أصـــلاً ، وفروعاً : فأصله المعرفة بالله والتصديق له وبه وبماجاء من عنده بالقلب ، واللسان مع الخضوع له والحب ، والخوف منه والتعظيم مع ترك الاستنكاف والمعاندة فإذا أتى بهذا الأصل فقد دخل في الإيمان ولزمه اسمه وأحكامه . ولا يكون مستكملاً له حتى يأتي بفروعه ،وفرعه المفترض عليه الفرائض واجتناب المحارم. أنتهى

وقارن بين كلام هؤلاء وبين قول الأشاعرة ،ومنهم ابن حجر العسقلاني ،والباجوري،وابن بطال وغيرهم فيما ســـبق نقله .

والخلاصة : 1ـــ أن أهل السنة والجماعة لا يكفرون بترك العمل إلا إذا كان جاحداً ،ولا خـــلاف في ذلـــك إلا في مسألة ترك الصلاة ، وقد سبق بيانه ، وكذا إذا منع الزكاة وقاتل على ذلك فهما قيدان في الحكم الأول : أن يمتنـــع من إعطاء الزكاة . والثاني : أن يقاتل على ذلك. ففي هذه الحالة اختلف العلماء في كفـــره .[208]والـــراجح عنـــد الجمهور عدم كفره .

2ـــ واتفق أهل السنة والجماعة ومنهم الأشاعرة على أن من طُلب منه الإقرار باللسان وأبى فهو كافر في الدنيا والأخرة .وأما من لم ينطق بلسانه ولم يأبى فكذلك لا يحكم بإسلامه في الدنيا اتفاقاً ،لكن وقع الخلاف في هل هو شرط لإجراء الأحكام ،أم لصحة التصديق ،والأشاعرة على أنه لإجراء الأحكام .

والثمرة من ذلك أنه كافر عند الجميع في أحكام الدنيا، أما في الأخرة فلا يجزم بكفره إن كان مصـــدقاً مـــذعناً في الباطن لأن الله أعلم بالبواطن وهذا قول جمهور الأشاعرة ، أما الماتردية وبعض الأشاعرة فيكفرونه في الدنيا والأخرة .وحجة جمهور الأشاعرة أن الله أعلم بالبواطن مادام أنه مؤمن بالله ففي قلبه مثقال ذرة من الإيمان أو أكثر .فحكمنا

[205] مج الفتاوي 10/ 355

[206] مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي ص226.

[207] الشريعة للأجري 1/ 249والإبانة لابطة 855/2.

[208] المغني: 3/ 380 وفيه تفصيل نفيس .

له بالظاهر، وأما الباطن فعلمه عند الله . وحجة الجمهور أن نحكم له وحكمنا إنما هو بحسب الظاهر ،ولم نحكم أصلاً بالبواطن .فهو خلاف لفظي كما ترى.

2ـــ أن أهل السنة والجماعة قاطبة يحكمون بفسق تارك العمل كلية وأنه لو كان لا يترك العمل ولكنه يقع في كبيرة فهو فاسق أيضاً لا كافر ولو كانت كبيرة واحدة .

3ـــ أن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية عند الأشاعرة والسلف .فبطلت جميع مزاعم الشيخ الحوالي والموجان غفر الله لي ولهما.

منشأ الشبهة عند الحوالي: هو أخذه بمرويات الأئمة دون تفريق بين الترك المجرد ،وبين الترك بجحود واستحلال ،وهذا هو عين شبهة الخوارج حيث أخذوا بظواهر الآيات والأحاديث كقوله ((لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن)) ونحوه من الأحاديث وإنما المقصود هنا هو كمال الإيمان لا أصله .

ومما تعلق به قول سفيان بن عيينه : المرجئة سموا ترك الفرائض ذنباً بمنزلة ركوب المحارم (أي أرتكاب المحرمات) وليسا سواء ،لأن ركوب المحارم متعمداً من غير استحلال معصية ،وترك الفرائض من غير جهل ولا عذر كفر ، وبيان ذلك في أمر آدام ،وإبليس ،وعلماء اليهود الذين أقروا ببعث النبي صلى الله عليه وسلم بلسانهم و لم يعملوا بشرائعه. أنتهى كلام سفيان رحمه الله .

وكلام سفيان جلي في أن مقصوده المستحل والجاحد ،لأنه قد بين ذلك مستشهداً بفعل إبليس وعلماء اليهود ،وإبليس ليس تركه تركاً مجرداً بل هو إباءً واستكباراً ،ولذا قال الباجوري رحمه الله: وإن الآبي بأن طلب منه النطق بالشهادتين فأبى فهو كافر فيهما ،ولو كان مذعن بقلبه فلا ينفعه ذلك ولو في الأخرة.[209] أ ـــ هـــ واليهود أبوا كذلك ،وكذبوا الرسول صلى الله عليه وسلم مع علمهم بأنه نبي .

هل الإمام أبو حنيفة من أهل السنة والجماعة؟

هذا السؤال مما يتعجب أن يسأل عنه في إمام كالإمام أبي حنيفة رضي الله عنه، ولكن في زماننا حتى الإمام ابي حنيفة رضي الله عنه لم يسلم من القدح فيه :

وللفائدة،فالإمام لا يقول أن تارك العمل ليس بفاسق،أو أن مرتكب الآثام والكبائر كأعدل المؤمنين .ولهذا فعدم إدخاله العمل في مسمى الإيمان لا يترتب عليه شيء من جهة الفسق والعدالة لأن مرتكب الكبائر فاسق عنده .ولكنه يرى رضي الله عنه أن الآيات الدالة على زيادة الإيمان إنما هو من جهة التدرج في التشريع، أي أن الإسلام بدأ بتشريع الصلاة ثم زاد الأعمال الأخرى تدرجاً وشاهد ذلك قوله تعالى ((وما كان الله ليضيع إيمانكم)) فإن معناها عند أهل التفسير صلواتكم إلى المسجدالأقصى قبل نسخ حكم ذلك ،والصلاة عمل من الأعمال والقرآن يفسر بعضه بعضاً.فإذا تأمل المنصف وجد أن له مأخذ قوي رحمه الله تعالى .

قال الإمام محمد بن عبدالكريم الشهرستاني عن الإمام أبي حنيفة : وعده كثير من أصحاب المقالات من جملة المرجئة ،ولعل السبب فيه أنه لما كان يقول : الإيمان هو التصديق بالقلب وهو لا يزيد ولا ينقص ظنوا أنه يؤخر العمل عن الإيمان .والرجل مع تحريجه في العمل كيف يفتي بترك العمل ؟!!

---

[209] شرح الجوهرة ص116

وله سبب آخر وهو أنه كان يخالف القدرية والمعتزلة الذين ظهروا في الصدر الأول .والمعتزلة كانوا يلقبون كل من خالفهم في القدر مرجئا ،وكذلك الوعيدية من الخوارج .فلا يبعد أن اللقب إنما لزمه من فريقي المعتزلة والخـــوارج ،والله أعلم.أ ـــ هـــ [210]

إذن لابد من النظر إلى ثمرات الأقوال ومعانيها، لا لمجرد الألفاظ والاصطلاحات، لأن الأحكام تترتب على المعاني لا على الألفاظ فقط.

مسألة كلام الله تعالى

قال الكاتب: القرآن: أما مذهب الأشاعرة فمن منطلق التوفيقية – التي لم يخالفها التوفيق – فرقوا بين المعنى واللفظ ، فالكلام الذي يثبتونه لله تعالى هو معنى أزلي أبدي قائم بالنفس ليس بحرف ولا صوت ولا يوصف بالخبر ولا الإنشاء .

واستدلوا بالبيت المنسوب للأخطل النصراني :

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلا

أما الكتب المنزلة ذات الترتيب والنظم والحروف – ومنها القرآن – فليست هي كلامه تعالى على الحقيقة ، بل هي عبارة عن كلام الله النفسي ، والكلام النفسي شيء واحد في ذاته ، لكن إذا جاء التعبير عنه بالعبرانية فهو توراة وإن جاء بالسريانية فهو إنجيل وإن جاء بالعربية فهو قرآن ، فهذه الكتب كلها مخلوقة ووصفها بأنها كلام الله مجاز لأنها تعبير عنه..

وعلى القول أن القرآن الذي نقرؤه في المصاحف مخلوق سار الأشاعرة المعاصرون وصرحوا ، فكشفوا بذلك ما أراد شارح الجوهرة أن يستره حين قال : " يمتنع أن يقال إن القرآن مخلوق إلا في مقام التعليم ".

الجواب :

هنا كلام مختصر هو زبدة ما سأفصل فيه فأذكر الاختصار في نقاط :

1ـــ أن كلام الله صفة له قائمة بذاته تعالى كسائر صفات الذات وليس بمحدث ولا حادث ولا مخلوق بل هو صفة أزلية أبدية القول فيها من هذه الجهة كالقول في الذات وبقية الصفات الذاتية.

2ـــ أن الأشاعرة خالفوا من قال أن ما بين دفتي المصحف هو صفة الله الأزلية وأنه حال في المصاحف وصدور الرجال وقائل ذلك هم بعض الحنابلة نقله عنهم ابن الزاغوني في كتاب الإيضاح.[211]

قال ابن الزاغوني:إن أصحابنا ومشايخنا العراقيين يقولون: القرآن في ذالمصاحف ،والصدور لا علـــى وجه الحلول ، ولا أنه قديم بها ، وأما أصحابنا أهل خراسان فإنهم لا يمتنعون مـــن إطـــلاق ذلـــك والقول به. أ ـــ هـــ [212]وهذا خلافاً لقول الإمام ابن تيمية : أنه لاقائل بهذا القول ،فتبين أن هناك من علماء مذهبه من قالوا بذلك ،وقد نقل عنهم علماء المذهب نفسه قبل الإمام ابن تيمية. بل قال عبيد الله بن محمد بن بطة العكبري المتوفى سنة (387هـــ) : قال ابن حجر : [وقد وقفت لابن بطة على أمر استعظمته واقشعر جلدي منه] . وبين ذلك إذ ذكر حديث [كلم الله تعالى موسى يـــوم كلمـــه وعليه جبة صوف وكساء صوف ونعلان من جلد حمار غير ذكي] ، وأشار إلى ضعف سنده ، وإلى رواية ابن بطة لهذا الحديث ، لكن بزيادة منكرة في آخره ، وهي [فقال: من ذا العبراني الذي يكلمني

---

[210] الملل والنحل 1/ 141

[211] أنظر نهاية المبتدئين لابن حمدان ص28.

[212] الإيضاح في أصول الدين لابن الزاغوني ص353

من الشجرة؟ . قال: أنا الله] . وعلق ابن حجر بقوله: [وما أدري ما أقول في ابن بطة بعد هذا؟ ! ... والله أعلم بغيبه] .

3ــ أن الأشاعرة خالفوا من قال إن كلام الله مخلوق خلقه في شجرة ونحوها وليس بصفة لله، وهؤلاء هم المعتزلة .فمن يزعم أن الأشاعرة يقولون أن كلام موسى لله ليس حقيقة وإنما خلقه في شجرة فهو باطل وغلط عليهم .

4ــ أن الأشاعرة خالفوا من قال إن كلام الله يحدث في ذاته وهم طائفتان :الطائفة الأولى : تقول أن نوعه قديم ولكن أفراده حادثة تحدث في ذاته . وهذه عقيدة ابن تيمية وأتباعه.

الطائفة الثانية : تقول أنه كلام ،وقول .فالكلام قديم ،والقول حادث وليس بمحدث .والكلام ليس بمسموع ،وأما قوله فمسموع . واتفقوا مع أتباع ابن تيمية على أن ذات الله محل للحوادث فتحدث في ذاته أقواله وأفعاله ــ سبحانه وتعالى ــ عن ذلك وهؤلاءهم الكرامية .[213]

فأتباع ابن تيمية يقولون هو نوع وأفراد . والكرامية يقولون :هو كلام وقول .

والفرقتان أتفقتا على أنه حادث في ذات الله .مع تفصيل في الألفاظ سبق ذكره.

5ــ أن الأشاعرة ينفون كون صفة الكلام الأزلية بحرف وصوت لعدم الدليل على ذلك . خالفوا بذلك كثيراً من الحنابلة[214] والكرامية ونحوهم ممن تمسكوا بكون صفة الكلام الأزلية بحرف وصوت .

6ــ أن الأشاعرة خالفوا الذين جعلوا كل إضافة ككلمة الله أو كلام الله أزلي . فخالفوا النصارى اللذين قالوا إن عيسى قديم غير حادث لقوله تعالى ((وكلمته ألقاها إلى مريم)) فزعموا أن عيسى عليه السلام كلمة الله وكلام الله أزلي فعيسى أزلي .[215]!!وخالفوا من قال : أن ما بين دفتي المصحف هو صفة الله الأزلية . فبينوا أن كل لفظ على الحدوث دلا فهو غير أزلي كعيسى عليه السلام ، ومحمد ، والسماء ...إلخ.

ونأتي إلى تفصيل بعض لمسائل :

اولاً: الأشاعرة يطلقون على الصفة الأزلية القائمة بالله صفة الكلام النفسي ويطلقون عليها القرآن.

ومناسبة تسمية الصفة الأزلية بالقرآن ،لأنه لما كان ما بين دفتي المصحف دال على الصفة الأزلية صح تسميتها بمادل عليها ، وهذه التسمية هي من الأمور العملية لا العلمية الاعتقادية .

ثانياًــ الأشاعرة يطلقون على مابين دفتي المصحف القرآن ويسمونه أيضاً كلام الله ،لقوله تعالى ((فأجره حتى يسمع كلام الله)).وقوله ((إنه لقرآن كريم)).

---

213 التبصير في معالم الدين للأسفراييني . مبحث الكرامية .

214 للحنابلة حجج ليست بالقوية ومع ذلك فهم يقولون حرف وصوت لايشبه الأصوات وينفون كونه بمعنى اصتكاك الأجرام ونحوها من خصائص الصوت المعهودة . وعرفوا الصوت بأنه ما يمكن سماعه هذا معناه عندهم. فاتهامهم بالتشبيه بعيد لكن ليس هناك دليل يدل على أن كلام الله بصوت والمسألة تحتاج إلى تحرير ليس هذا مكانه.

215 أنظر لمزيد تفصيل قولهم والرد عليهم كبرى اليقينيات الكونية ص127.

ثالثاًــ تعريف صفة الكلام عند الأشاعرة : قال السنوسي : هوصفة أزلية قائمة بذات الله ليس بحرف ولا صوت ولا يقبل العدم وما في معناه من السكوت ولا التبعيض ولا التقديم ولا التأخير .[216]

قال ابن جرير الطبري وهو من أئمة السلف :العالم الذي أحاط بكل شيء علمه والقادر الذي لا يعجزه شيء أراده ،والمتكلم الذي لايجوز عليه السكوت.[217]فاتنبه لقول الإمام ابن جرير لايجوز عليه السكوت . وهذاخلافاً للدكتور الحوالي ونحوه ممن وصف ا لله بالسكوت سبحانه وتعالى عن ذلك.وبالمقابل فلا يعني ذلك أن كلام الله ككلامنا ليلزم أننا إذا لم نسكت فنحن نثرثر كما يتخيل بعض من شبهوا الله بخلقه ، وقاسوا صفاته كالكلام على صفات مخلوقاته ــــ سبحانه وتعالى .

قول الحنابلة: كماهو المعتمد عند هم قال أحمد في رواية ابن عبدوس: أن كلام الله ليس ببائن عنه نص عليه في رواية ابن عبدوس .[218]

وقال الإمام أحمد : إن لله عزوجل كلاماً هو به متكلم وذلك صفة له في ذاته خالف بها الخرس والبكم والسكوت وامتدح بها نفسه.[219]

إذن فانظر إلى معتقد الأشاعرة وأصحاب الحديث ومنهم الحنابلة حيث أجمعوا على أنه لا يوصف كلام الله بالسكوت، وهذا مخالف لعقيدة الكاتب هداه الله وغيره .

شبهة الكاتب وغيره في وصف كلام الله بالسكوت:

استدلوا على ذلك بحديث :((إن الله حد حدود فلا تعتدوها ، وفرض شرائع فلا تنتهكوها، وسكت عن أشياءرحمة بكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها)).

وقد اختلف العلماء في تضعيف الحديث ،وتحسينه، وتصحيحه . وعلى فرض ثبوته فهو صريح في أن السكوت ليس سكوت كلام، وإنما هو بمعنى عدم تشريع أشياء غير ماشرع ليس إلا. فمن أين أتوا بإثبات صفة السكوت الكلامي ؟!!وهل هذا إلا تعجل وتجاسر على وصف الله بما لم يثبت وصفه به وإنما هو مجرد ظنون ، ولذا خالفهم في ذلك جميع أهل السنة من الحنابلة والأشاعرة والماتردية فماوقفت عليه .

و كلام الله تعالى عند الأشاعرة يطلقونه على جهتين :

الجهة الأولى : الصفة الأزلية القائمة بالله تعالى والتي هي قديمة بلا ابتداءلا تتصف بالسكوت والخرس ونحوهمــا .[220] لأن القول في صفات الذات كالقول في الذات من جهة الأزلية والأبدية ،فهي قديمة قدم الذات ، أبدية أبدية الذات ، وهي قائمة بالموصوف سبحانه وتعالى وليست بحادثة، شأنها في ذلك شأن الذات وبقية الصفات كصــفة الســمع والبصر والعلم والقدرة وغيرها.

[216] حاشية الدسوقي على شرح أم البراهين 176

[217] التبصير في معالم الدين 127.

[218] نهاية المبتدئين 28

[219] اعتقاد الإمام أحمد 38

[220] حاشية الدسوقي على أم البراهين 176

سبب تسمية الصفة بالكلام النفسي: ويسمون هذه الصفة بالكلام النفسي أي: الكلام الذاتي لأنهم يقولون العلم النفسي والكلام النفسي وهكذا بمعنى الذاتي والدليل قوله تعالى ((ويحذركم الله نفسه)) فقالوا نفسه أي ذاته وقال تعالى ((تعلم مافي نفسي ولا أعلم ما في نفسك

إنك أنت علام الغيوب))فهذا معنى قولهم كلام الله النفسي أي . الذاتي. وهذا الكلام ينكر الأشاعرة كونه بحرف أو صوت لعدم الدليل المثبت لذلك .

الجهة الثانية : النظم المعجز الذي بين دفتي المصحف المسمى أيضاً بكلام الله تعالى .فكلام الله مشترك اشتراكاً لفظياً يطلق على كل من النظم والصفة إطلاقاً حقيقياً لوضعه له في اللغة .[221]

لقوله عزوجل: ((فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه))فهذا الكلام مكتوب في المصحف بحروف ، وعلامات ترقيم ، وعلامات وقف وابتداء ، وتحزيب ، واجزاء ، وتنقيط ، وغيرها مما لا يخفى ،ويقرأه القارىء بحروف وأصوات ، فيصح أن يقال أنه بحرف لأننا نرى الألف والباء وغيره من الحروف التي تألف منها القرآن الكريم، ويصح أن نقول أنه منقوط ،ومعرب ،أو مبني ،ومرفوع ،ومنصوب، ومجزوم ، وغير ذلك مما نقوله في اللغة ،ولكن هذا الذي بين دفتي المصحف ليس هو الصفة القائمة بالله حلت في الورق ، وطبعتها المطابع ، وخطتها الأيدي بالحبر والمداد كما يتصور من لاعقل له؟بل معناه أن الله تكلم به فهو كلامه.

قال الحنابلة : كلام قديم ذاتي وجودي غير مخلوق ولا محدث ولاحادث لا يشبه كلام الناس.[222]فالحنابلة يخالفون الشيخ الحوالي وغيره في قوله : القرآن حادث الأفراد.

وقال الإمام أحمد : في قوله منه بدأ وإليه يعود قال: منه بدأ علمه وإليه يعود حكمه.[223] وقال تارة القرآن من علم الله . وقال أخرى منه ظهر وهو المتكلم به وإليه يعود.وقد رد الأشاعرة على شبهات بعض الحنابلة اللذين شذوا فقالوا بقدم المداد والورق وقد ذكرمقالتهم ابن الزاغوني في كتاب الإيضاح .والحنابلة يتبرؤن من هذا القول ولله الحمد .قال الأشاعرة في رد هذه الشبهة :

أن الصفة الأزلية لا تحل في الورق ،ولا تكون حروف ولا أصوات ،ومافي المصحف الكريم إنما هو دال على الصفة الأزلية القائمة بالموصوف سبحانه وتعالى ،لأن صفات الله لا تحل في الورق والقرطاس واللوح ،ولا في بيت العزة ،ولا غير ذلك من المخلوقات ،ونثبت أنها كلام الله تعالى .

وأما ماهو مراد الأشاعرة بالكلام الذي يثبتونه في اللغة ويطلقون عليه النفسي ؟

الحقيقة يا أيها القارىء الكريم أنه مجرد رد على المعتزلة الذين حصروا الكلام في اللغة في الحرف والصوت ، قال المعتزلة: لا يعرف كلام عند الناس إلا بحرف وصوت ، فقال الأشاعرة :بل الكلام في اللغة يطلق على الحرف والصوت ،ويطلق على النفسي الذي في الفؤاد. فهم يقصدون كلام المخلوق وليس كلام الله.

---

[221] حاشية الدسوقي على أم البراهين 177
[222] نهاية المبتدئين 26
[223] نهاية المبتدئين 26

وقول الأشاعرة أن الكلام يطلق ويراد به أيضاً ما في النفس هوقريب من قول الإمام ابن تيمية في مجموع الفتاوى حيث قال:(وقد يراد بالحروف الحروف الخيالية الباطنة ، وهي ما يتشكل في باطن الإنسان من الكلام المؤلف المنظوم قبل أن يتكلم به)[224]. أ ـــ هـــ

وأعني قريب منه أي من جهة اتصاف المخلوق بذلك لا الخالق جلّ وعلا.

وقد استدل أئمة أهل السنة من الأشاعرة على إثبات كلام في اللغة بهذا المعنى الذي تبنوه ،فمن أدلتهم على ذلك:قوله الله سبحانه وتعالى {ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول } و قوله عز وجل { فأسرها يوسف في نفسه و لم يبدها لهم قال أنتم شر مكانا } .

واحتجوا بقول العرب : " أرى في نفسك كلاما ، وفي وجهك كلاما "

قول الشاعرالعربي :[225]

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما جعل اللسان على الكلام دليلا

فظن البعض من خلال محاججة الأشاعرة للمعتزلة ونحوهم في لغة العرب أنه يثبتون هذا المعنى لله سبحانه وتعالى، و الأشاعرة ينزهون الله عن كلام كالكلام المتعارف عليه بين البشر ،سواء كان بحرف وصوت ، أم كان كلام الفؤاد والنفس.

قال الإمام السنوسي: ما يوجد في كتب العلماء من التمثيل أي لكلامه تعالى القديم بالكلام النفسي في الشاهد عند ردهم على المعتزلة القائلين با نحصار الكلام في الحروف والأصوات ، لا يفهم منه تشبيه كلامه تعالى بكلامنا النفسي في الكنه تعالى وجل أن يكون له شريك ، وكيف يتوهم أن يكون كلامه تعالى مماثل لكلامنا النفسي وكلامنا أعراض حادثة ..وإنما مقصد العلماء بذكر الكلام النفسي في الشاهد النقض على المعتزلة في حصرهم الكلام في الحروف والاصوات، فقيل لهم ينتقض حصركم ذلك بكلامنا النفسي فإنه كلام حقيقة وليس بحرف ولا صوت، وإذا صح ذلك فكلام مولانا عزوجل ليس بحرف ولا صوت كما أن كلامنا النفسي ليس بحرف ولا صوت ،وأما الحقيقة فمباينة للحقيقة كل المباينة فاعرف هذا فقد زلت هنا أقدام لم تؤيدبنور الملك العلام .[226]أ ــ هـــ قال الدسوقي : وحاصله أن أهل السنة ردوا على المعتزلة بأن كلامنا النفسي ليس بحرف ولا صوت وهو كلام حقيقة فليكن كلام الله كذلك أي ليس بحرف ولا صوت وهو كلام حقيقة فليس مراد أهل السنة بقولهم : فليكن كلام الله كذلك أنهما متماثلان في الحقيقة بل هما متباينان لأن كلامه تعالى صفة قديمة وكلامنا النفسي حادث وإنما مرادهم التشبيه في أن كل منهما ليس بحرف ولاصوت ،وإن تباينا في الحقيقة .أ هـــ [227]

---

[224] مجموع الفتاوى 152/12

[225] قيل أن البيت للأخطل وقيل أنه نصراني واجمعوا على أنه عربي فاستشهاد الأشاعرة ببيته ليس لأنه مسلم أو كافر بل لأنه عربي وقد نزل القرآن بلغة قريش وكانوا كفاراً فلا علاقة لذلك باللغة فتنبه يا أخي الكريم.

[226] في شرح أم البراهين مع حاشية الدسوقي عليه . ص179

[227] حاشية الدسوقي 178

المسألة الثالثة : إذا علمنا أن الكلام صفة من صفات الله ،وعلمنا أن صفات الله غير مخلوقة، وأن صفاته لا تشبه الصفات من أي وجه كان من حيث الحقائق والمعاني ،فيأتي الجواب على السؤال إن شاء الله تعالى :

من عدم مشابهة صفة الله وهي الكلام في مبحثنا لصفات المخلوق أمور كثيرة قد تقدم ذكر بعضها ونذكر الآن بعضها مما ذكره الأشاعرة :

1ـــ كلام المخلوق بلغة من اللغات المخلوقة كالعربية أو السريانية أو غيرها أما كلام الله الذاتي فلا يشبه كلام المخلوق .قال الإمام الباقلاني: وأن كلامه مسموع بالآذان وإن كان مخالفاً لسائر اللغات كما أنه مرئي بالأبصار وإن كان مخالفاً لأجناس المرئيات.

وقال : كلام الله تعالى صفة لذاته لم يزل ولا يزال موصوفاً به ،وأنه قائم به ومختص بذاته ،ولا يصح وجوده بغيره وإن كان محفوظاً بالقلوب ومتلواً بالألسن ومكتوباً في المصاحف ،ومقروءاً في المحاريب على الحقيقة لا على المجاز وغير حال في شيء من ذلك وأنه لو حل في غيره لكان ذلك الغير متكلماً به وآمراً ومخبراً ((إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني))وذلك خلاف دين المسلمين .أ ـــ هـــ [228]

وهذا نقيض كلام ابن بطة ونحا نحوه حيث قال من عنده وضعاً في الحديث : [فقـــال: مـــن ذا العبراني الذي يكلمني من الشجرة؟ . قال: أنا الله] . وعلق ابن حجر بقوله: [وما أدري ما أقـــول في ابن بطة بعد هذا؟ ! ... والله أعلم بغيبه] .كما في لسان الميزان في ترجمة ابن بطة.

2ـــ كلام المخلوقين في لغاتهم محصور فالعربية مثلاً تحد بثمانية وعشرين حرفاً،وهكذا غيرها من لغات المخلوقين .وكلام الخالق لا يشبه المخلوق فكلمات الله لا تنفد قال تعالى ((قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا))

3ـــ كلام المخلوق يتعاقب شيء بعد شيء كما ترى فيما أكتب هنا، فالألف بعد التاء وكلام الخالق لا يشبه كلام المخلوق فلا يتعاقب .لأن كلام الله صفة من صفاته لا تقاس بصفة كلام المخلوق.

4ـــ فالإنسان مخلوق وكلامه مخلوق . والله تعالى خالق وكلامه ليس بمخلوق .

فبعد أن تبين لنا هذا فهل يجوز أن يقال أن القرآن الكريم مخلوق؟

ومن تأمل في حال الإمام أحمد مع المعتزلة علم أن المعتزلة أصلاً لا يثبتون الصفة قالت المعتزلة :تكلم بمعنى أنه محدث مخلوق واستدلوا بقوله تعالى ((ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون))فرد عليهم الإمام أحمد وقال المحدث نزوله لا صفته ففرق الإمام بينهما .ولذا قال الأشاعرة من قال أن لفظي بالقرآن مخلوق .فمبتدع وإن اراد الصفة فهو كافر.

قال الإمام احمد : القرآن كلام الله وليس بمخلوق ولا تضعف أن تقول ليس بمخلوق فإن كلامه تعالى منه وليس ببائن منه (أي غير منفصل) وليس منه شيء مخلوق .أ ـــ ه[229]ـــ

---

[228] الإنصاف 38

[229] اللالكائي ص149 ت نشأت كمال الدين.

رأي الشيخ الحوالي في كلام الله تعالى :عقيدة الكاتب كما في شرحه على الطحاوية وهو ينسبه لأهل السنة والجماعة ظناً منه أن الأمر كذلك : أن كلام الله تعالى قديم النوع حادث الآحاد أي متعاقبة شيئا بعد شيء. يقول الحوالي هداه الله : مذهب أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ أنه –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى– يتكلم كما يشاء في أي وقت شاء، وكذلك في الأزل فيما لا أول له، فالنوع قديم، وأما آحاد أو أعيان الكلام فإنها متجددة

فــأهل السنة !! يعتقدون أنه تعالى متصف بصفات الكمال أزلاً، وهو الأول والآخر، فهو يتكلم،

ونوع الكلام قديم ليس له أول، أما آحاده فلا . أ ـــ هـــ من شرحه على الطحاوية

فاعتقاد الشيخ الحوالي في صفة الكلام ليس هو عقيدة أهل السنة والجماعة سلفاً وخلفاً فليس عقيدة أحمد ابن حنبل رضي الله عنه ولا غيره ،فالسلف يبدعون ويكفرون من يقول أن الكلام مخلوق أو حادث ،أو متجدد كما عبر الكاتب بل الكلام عندهم صفة أزلية .

وإليكم النقول في ذلك عن السلف:

1ـــ في العلو للحافظ الذهبي أن فضيل بن عياض كان يقول : من زعم أن القرآن محدث فقد كفر ومن زعم أنه ليس من علم الله فهو زنديق.

2ـــ أملى أبو بكر أحمد بن إسحاق الفقيه اعتقاده واعتقاد رفقائه على أبي بكر بن أبي عثمان ، وعرضه على محمد بن إسحاق الفقيه بن خزيمة فاستصوبه محمد بن إسحاق وارتضاه ، وكان فيما أملى من اعتقادهم : فكلام الله عز وجل غير بائن عن الله ليس هو دونه ولا غيره ولا هو هو ، بل هو صفة من صفات ذاته كعلمه الذي هو صفة من صفات ذاته، لم يزل ربنا عالماً ولا يزال عالماً ، ولم يزل يتكلم ولا يزال يتكلم ، فهو الموصوف بالصفات العلى ، ولم يزل بجميع صفاته التي هي صفات ذاته واحداً ولا يزال ، وهو اللطيف الخبير . وكان فيما كتب : القرآن كلام الله تعالى وصفة من صفات ذاته، ليس (((شيء))) من كلامه خلقاً ولا مخلوقاً ولا فعلاً ولا مفعولاً ولا محدثاً ولا حدثاً ولا إحداثاً . (الأسماء والصفات 22/2

وهكذا رد أهل السنة والجماعة سلفاً وخلفاً على من يقول أن كلام الله تعالى قديم النوع حادث (متجدد) الآحاد .

وقال وكيع: من قال إن القرأن مخلوق فقد زعم أن القرآن محدث، ومن زعم أن القرآن محدث قد كفر .[230]

فقد ورد وصح عن الإمام أحمد أنه لما كان في المحنة قالوا له ما تقول في القرآن قال ما تقولون في علم الله ؟؟ فجعل الكلام في القرآن كالكلام في صفة علم الله تعالى، وأنتم يا أخي الكاتب تفرقون بين كلام الله وبين علم الله من جهة قيامهما بالله كتفريق المعتزلة والكرامية .[231]وقد سبق بيان كلام أهل السنة في صفة الكلام فليراجع وقارن .

ولذا فكلام الباجوري يحمل على أحد محملين:

1ـــ أن يكون مقصوده لفظنا به ،وليس المقصود أن كلام الله الذي تكلم به مخلوق .

---

[230] شرح اصول الأعتقاد 1/ 232 ت نشأت كمال الدين.

[231] نقل ذلك الذهبي في السير 245/11 وغيره بأسانيد صحيحة

2ـــ أو يقصد أن بعض مدلولات اللفظ مخلوقة فقد قال رحمه الله:ـــ والحاصل أن للألفاظ التي نقرأها دلالتان : إلى أن قال ..ثانيهما: وضعية لفظية والمدلول بهذه الدلالة بعضه قديم، وبعضه حادث وهذا محمل كلام القرافي وغيره .قال الإمام القرافي: منه قديم وهو ذات الله وصفاته ،ومنه حادث كالسموات والأرض.أ ـــ هـــ [232]أي مما ذكر في القرآن .

قال الذهبي: فالقرآن العظيم حروفه ،وألفاظه، ومعانيه كلام رب العالمين غير مخلوق ،وتلفظنا به وأصواتنا به من أعمالنا المخلوقة .إلى أن قال وفي المسألة بحوث طويلة والكف عنها أولى . [233]

إذا علمنا ذلك علمنا أن تهمة الكاتب للإمام الباجوري تهمة في غير مكانها ،وأن الإمام مقصوده واضح يعرف من كلامه ومن كلام الناظم الذي شرحه، وقد سبقه إلى ذلك أئمة كالكرابيسي وابن كلاب والبخاري ومسلم وداود الظاهري والحارث المحاسبي فلا وجه للتشنيع هداكم الله.

مع العلم أن قول :أن القرآن مخلوق قول باطل ، أقل ما فيه إيهام الناس.

وطالب العلم يجب عليه أن يسكت كما سكت الصحابة والتابعين وتابعيهم قبل أن تحصل الفتن فإن ابتلي بمعتزلي فيقول ما قال أحمد وغيره ،وإن ابتلي بمشبه فيقول ما قال البخاري وغيره، وذلك كله للتعليم، وإلا فالسكوت والإشتغال بالعمل النافع، وترك الخوض أفضل ،ولذا قال الإمام أحمد : لولا ما قيل في القرآن لوسعه السكوت ،ولكن لم يُسكت . [234] أي لم تسكت المعتزلة فاحتاج للكلام في المسألة رحمه الله تعالى .قال الإمام الباقلاني : قال الأشعري من قال : لفظي بالقرآن مخلوق فهو ضال مبتدع قال الباقلاني : وكذلك نضلل ونبدع من قال لفظي به غير مخلوق وهو مذهب أحمد الذي رواه عنه ابناه صالح وعبدالله . [235]

وقال: وأن الله تعالى متكلم وكلامه غير مخلوق. [236]

فهذا رأي أئمة الأشاعرة في المسألة وهو عين كلام الشافعي وأحمد وأبوحنيفة وغيرهم مع مزيد إيضاح ليس إلا.

ويقول الإمام السبكي في طبقات الشافعية وهو يذكر فتنة خلق القرآن وإفراط ابن أبي دؤاد: إنه لما كان الفداء فى سنة إحدى وثلاثين ومائتين واستفك الواثق من طاغية الروم أربعة آلاف وستمائة نفس قال ابن أبى دؤاد على ما حكى عنه ولكن لم يثبت عندنا من قال من الأسارى القرآن مخلوق خلصوه وأعطوه دينارين ومن امتنع دعوه فى الأسر وهذه الحكاية إن صحت عنه دلت على جهل عظيم وإفراط فى الكفر .وهذا من الطراز الأول فإذا رأى الخليفة قاضياً يقول هذا الكلام أليس يوقعه ذلك فى أشد مما وقع منه فنعوذ بالله من علماء السوء ونسأله التوفيق والإعانة. أ ـــ هـــ من ترجمة السبكي للإمام أحمدفهل علماء الأشاعرة يقولون هذا عن من قال بخلق القرآن ويكونون قائلين بخلقه؟!!

---

232 178شرح الجوهرة.

233 السير 101/13

234 الرسالة الوافية لأبي عمرو الداني تحقيق محمد سعيد القحطاني. ص73

235 الإنصاف للباقلاني.

236 الإنصاف ص56

مسألة : دليل الأشاعرة على أن كلام الله ليس بصوت ولا حرف

1ــ الدليل عندهم على ذلك هو عدم الدليل قالوا لايوجد دليل سمعي ولا عقلي على ذلك .فأما استدلال من خالف الأشعرية وغيرهم بأنه صوت وحرف فأدلة لا تقوم بها حجة :

فأدلتهم هي :

1ــ اللغة : وهو أنه لا يعرف في الشاهد كلام إلا بحرف وصوت .

الرد: أن صفات الله لا تقاس على صفات المخلوق.رغم أن اللغة لا تحصر الكلام في الحرف والصوت بل هناك في اللغة كلام الفؤاد والنفس ولا نقول أن الله له كلام بهذا المعنى ولا بمعنى الصوت والحرف لأن هذا قياس باطل فإن صفات الله لا تقاس على صفات المخلوق.[237]

قال الألوسي: أما النفسي: فمعناه الأول تكلم الإنسان بكلمات ذهنية وألفاظ مخيلة يرتبها في الذهن على وجه إذا تلفظ بها بصوت محسوس كانت عين كلماته اللفظية .

ومعناه الثاني هو هذه الكلمات الذهنية والألفاظ المخيلة المرتبة ترتيبا ذهنيا منطبقا عليه الترتيب الخارجي.

والدليل على أن للنفس كلاما بالمعنيين الكتاب والسنة فمن الآيات قوله تعالى : (فأسرها يوسف في نفسه و لم يبدها لهم قال أنتم شر مكانا) فإن (قال) بدل من (أسر) أو استئناف بياني كأنه قيل فماذا قال في نفسه في ذلك الأسرار فقيل) : قال أنتم شر مكانا) وعلى التقديرين فالآية دالة على أن للنفس كلاما بالمعنى المصدري وقولا بالمعنى الحاصل بالمصدر .ومن الأحاديث ما رواه الطبراني عن أم سلمة أنها سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقد سأله رجل فقال : إني لأحدث نفسي بالشيء لو تكلمت به لأحبطت أجرى فقال لا يلقى ذلك الكلام إلا مؤمن فسمى صلى الله تعالى عليه وسلم ذلك الشيء المحدث به كلاما مع أنه كلمات ذهنية والأصل في الإطلاق الحقيقة ولا صارف عنها .أ ــ هــ[238]

2ــ استدل المثبتون لصفة الصوت : بحديث عن مسروق عن عبد الله قال قال :رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السماء للسماء صلصلة كجر السلسلة على الصفا فيصعقون فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم جبريل حتى إذا جاءهم جبريل فزع عن قلوبهم قال فيقولون يا جبريل ماذا

قال ربك فيقول الحق فيقولون الحق الحق).

وفي البخاري تعليقاً من قول عبد الله بن مسعود: (إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السماوات شيئا فإذا فزع عن قلوبهم وسكن الصوت عرفوا أنه الحق ونادوا ماذا قال ربكم قالوا الحق) انتهى .

قال في فتح الباري في رواية أبي داود وغيره " سمع أهل السماء للسماء صلصلة كجر السلسلة على الصفا " ولبعضهم الصفوان بدل الصفا وفي رواية الثوري الحديد بدل السلسلة ،وفي رواية شيبان بن عبد الرحمن عن منصور عند ابن أبي حاتم مثل صوت السلسلة , وعنده من رواية عامر الشعبي عن ابن مسعود " سمع من دونه صوتاً كجر السلسلة " وقال البخاري في كتابه خلق أفعال العباد يذكر (هكذا بصيغة التمريض) عن النبي صلى الله عليه وسلم " إذا قضى الله

---

[237] مختصر من شرح أم البراهين مع حاشية الدسوقي عليه . ص179

[238] روح المعاني 1/ص10

الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله , كأنه سلسلة على صفوان , فإذا فزع عن قلوبهم قالوا : ماذا قال ربكم . قالوا للذي قال : الحق , وهو العلي الكبير , فسمعها مسترقو السمع , ومسترقو السمع هكذا – بعضهم فوق بعض – وذكر الحديث " .

وحديث: ((عن أبي سعيد مرفوعاً ((يقول الله يا آدام فيقول لبيك وسعديك فينادي بصوت إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثاً إلى النار))رواه البخاري

قال ابن حجر: ووقع فينادي مضبوطاً للأكثر بكسر الدال ،وفي رواية أبي ذر بكسر الدال على لبناء للمجهول (فيُنادى)، ولا محظور في قول الجمهور فإن قرينة قوله (إن الله يأمرك)تدل ظاهراً على أن المنادي ملك يأمره الله بأن ينادي بذلك . أ ـــ هـــ[239] فإذن لحديث فيه قرائن على أن النداء ليس من الله وإنما من ملك على أي الروايتين شئت .فكيف نقطع بأن الحديث فيه إثبات صفة الصوت ؟والدليل إذا تطرق له الاحتمال بطل الاستدلال.

رد أهل السنة على بقية الأحاديث:

لا بد للحكم الشرعي فضلاً عن الحكم العقدي من جمع جميع الأدلة في المسألة ، ثم بعد ذلك يحكم الحاكم حكماً صحيحاً ،وفائدة جمع جميع الأدلة لأن في الأدلة مطلق يحمل على مقيد وعام له مخصص وهكذا مما هو معروف في الأصول ،وإذا طبق ذلك على مسألة الصوت فإن بعض الأحاديث يفسر بعضاً ،والذي في الحديث يدل على أن الصوت صوت رجفة السماء كما في حديث أبي داود ((إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السماء للسماء صلصلة كجر السلسلة....)) فالكلام صريح في أن الصوت هنا صوت للسماء كجر السلسلة .

فإذن لا دليل صريح على أن الصوت هو كلام الله خصوصاً وقد فسر بأنه يخص السماء بقوله((سمع أهل السماء للسماء صلصلة كجر السلسلة))

ثانياً : أن قول القائل صوت الله كالسلسلة فالكاف هنا كاف التشبيه الصريح فتبين أن الأمر كيفما قلبته لا يثبت أن الصوت صفة لكلام الله الأزلي.

وغاية إضافته إلى الله إضافة مخلوق إلى خالق ، لأن السماء مخلوقة وصوتها مخلوق ،فهو كما نقول بيت الله وناقة الله ونحو ذلك.

اما الحرف : فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم { من قرأ حرفاً من كتاب الله فله حسنة ،والحسنة بعشر امثالها، لا أقول ألم حرف ،ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حـــرف } رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح .

وكل ماورد من أحاديث الحرف يقصد بها تلفظ الإنسان بالحرف ،وهذا لا يعني أن الصفة الأزلية بحرف ،فـــالقرآن مكتوب بلغة العرب وهي حروف ،ويتلونها بحروف ،وليس في الأحاديث الواردة في ذلك إلا بيان الثواب على قراءة القرآن لا أنه صفة الله الأزلية مركبة من حروف ،ولا دليل من الشرع ولا العقل على ذلك بل الكـــلام في ذلـــك دخول في التكييف والتشبيه والعياذ بالله وليس هناك دليل يعتمد عليه معتمد عند الوقوف بين يدي ربه يحاج به عن

---

[239] فتح الباري1/ 243

نفسه فيقول: جزمت بأنك موصوف بالصوت والحرف .ولذا فقول القائل أن عدم وصف الله بالصوت والحرف من التعطيل كلام باطل، لأنه لم يثبت حتى يقال أنه عطل شيئاً، بل الملام على من يقطع أن الله موصوف بها بأدلة محتملة،والاحتمال يبطل الاستدلال فتنبه رعاك الله .وقد تقدم بيان الاحتمالات الواردة بل تقدم صريح كون الصوت هو صوت السماء ونحوها من المخلوقات وليس صفة لله .

هذا هو رأي الأشاعرة في مسألة الكلام وحججهم ،واجتهادات من رد عليهم ،واجتهاداتهم لتعرف أقوال الأشاعرة كماهي. فيعتقد الأشاعرة أن صفة الكلام صفة أزلية ثبتت بالدليل القطعي الشرعي في الكتاب والسنة ، وصفات الله تعالى لاتثبت بالقياس على المخلوق .[240]

وما تقرر هو عين ما قاله الإمام احمد : . فقد ورد وصح عنه أنه لما كان في المحنة قالوا له ما تقول في القرآن؟ قال ما تقولون في علم الله ؟ فحجهم بأن جعل الكلام في القرآن كالكلام في صفة علم الله تعالى، نقل ذلك الذهبي في السير 245/11 وغيره بأسانيد صحيحة. وهذا هو كلامه وكلام أهل السنة قاطبة.

وثبت أن الكاتب هداه الله واقع في القول بخلق كلام الله ، وكلام الله ليس بحادث كما يقول ابن تيمية ، ولا متجدد كما يقول الكاتب ، بل هو صفة من صفاته يقال فيه كما يقال في صفة العلم كما ورد عن الإمام أحمد رضي الله عنه . نسأل الله لنا ولكم الهداية.

وفي ختام المسألة فإن الصوت الذي يضاف إلى الله لم ينكره أحد من الفريقين ولكنه يكون على احتمالين :

الأول : أنه إضافة مخلوق إلى خالق وبه قال جمهور أهل السنة والجماعة لعدم الدليل القاطع على أنه صفة ولا يجوز وصف الله بالظنون والاحتمالات.

الثاني: أنه إضافة صفة إلى موصوف ،وبه قال جمع من أهل العلم من الحنابلة وغيرهم ، ثم هؤلاء على قسمين:الأول : يتعامل معه كسائر الصفات المتشابهة فيثبت الصوت مع القطع بأنه ليس كصوت المخلوق ثم يفوض معناه إلى الله ،فلا كيف ولا معنى ،بل يمره ويسكت كما سكت الصحابة، أو يؤله على معنى لائق بالله . قال ابن حجر : وإذا ثبت ذكر الصوت بهذه الأحاديث الصحيحة ،وجب الإيمان به ،ثم إما التفويض وإما التأويل وبالله التوفيق.[241]

الثاني: من قال أن لله صوت على الحقيقة في اللغة ونحن نعلم معناه. فهو مطالب بإظهار هذا المعنى الذي علمه فإن كان حق فهو مقبول وقوله على الحقيقة في اللغة باطل ، وإن كان المعنى فيه تشبيه فهو باطل لفظاً ومعنى . وكذا من قال إنه قول كالمعروف في المحسوسات من ذبذبات ونحوها وهذا لا يقوله إلا غلاة المشبهة .

وقفه مع الموجان : الموجان يؤمن كما في كتابه بأن أفعال الله تحدث في ذاته .

فقال: أما مسألة قيام الحوادث بذات الله تعالى فهو أمر مجمل ...إلى أن قال: فإن أردت أن الله محلاً للمخلوقات ،أو تقوم به صفة لم تكن ، فهذا ممتنع ،وإن أردت أن لايقوم به فعل يفعل مايشاء وقت ماشاءفقد خالفت عشرات

[240] الأشاعرة يخالفون قول من يقول : كل كمال ثبت للمخلوق فالله أولى به لأن المخلوق من كمالاته الزوجة والولد والبيت والمركب ونحو ذلك والله غني عن كل ذلك .
والقاعدة عندهم : أن كل كمال لا نقص فيه بوجه من الوجوه فيجب إثباته لله تعالى.

[241] فتح الباري:458/13

النصوص الدالة على أفعال الله {كل يوم هو في شأن}وقولك ومن المعلوم أن الحدوث دليل النقص هي دعوى مجردة عن برهانها قال تعالى {لاتدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً}..إلى أن قال: { ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث} كل هذا ليستدل أن ذلك يحدث في ذات الله سبحانه وتعالى عن ما يقول.[242] أ ـــ هـــ.

التعليق على كلام الموجان:1ـــ قولك : (وإن أردت أن لايقوم به فعل يفعل مايشاء وقت ماشاء)

أقول يا أخي هداك الله :هل هذا الفعل يفعله الله في ذاته أم يفعله الله في مخلوقاته ؟! فنعم { كل يوم هو في شأن } فهذا يموت وهذا يولد ،وهذا يرزق وهي أفعال يفعلها الله في مخلوقاته لا في ذاته ،فأرجو أن تفهم ذلك يا أخي الكريم، لأنه إذا قامت الحوادث بالأزلي فهو حادث بلا ريب فالمركب من القديم والحادث هو حادث .ولذا فلا شك أن الله فعّال لمايريد، لكن أفعاله في مخلوقاته أما ذاته فلا تتغير ولا تتبدل ولا يحدث الله فيها شيئاً.

2ـــ تحججك بقوله تعالى : { ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث}على أن ذلك يحدث في الله تعالى فقد احتج الجهمية على الإمام أحمد رضي الله عنه بقول الله تعالى : ((ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون)) فقال : يحتمل أن يكون تنزيله إلينا هو المحدث لا الذكر نفسه هو المحدث . (البداية والنهاية 327/10) هذا معناه يا أخي هداك الله .

وجـــاء في جـــامع البيـــان عـــن تأويـــل آي القـــرآن. – للإمـــام الطـــبري الجزء 17 >> سورة طه >> القول في تأويل قوله تعالى: {ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون}.يقول تعالى ذكره: ما يحدث الله من تنزيل شيء من هذا القرآن للناس ويذكرهم به ويعظهم، إلا اســـتمعوه وهـــــم يلعبـــــون لاهيـــــة قلـــــوبهم.

وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك: عن قتادة قوله: {ما يأتيهم من ذكر من ربهـــم محدث}. الآية، يقول: ما ينزل عليهم من شيء من القرآن إلا استمعوه وهم يلعبون.

وقال القرطبي : في الجزء 7 سورة الأعراف >> الآية: 54

فقوله تعالى: "ألا له الخلق والأمر" صدق الله في خبره، فله الخلق وله الأمر، خلقهم وأمرهم بما أحب. وهذا الأمر يقتضي النهي. قال ابن عيينة: فرق بين الخلق والأمر فمن جمع بينهما فقد كفر. فالخلق المخلوق، والأمر كلامه الذي هو غير مخلوق وهو قوله: "كن". "إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون" [يس: 82]. وفي تفرقته بين الخلق والأمر دليل بيِّن على فساد قول من قال بخلق القرآن إذ لو كان كلامه الذي هو أمر مخلوقاً لكان قد قال: ألا له الخلق والخلق. وذلك عِيٌّ من الكلام ومستهجن ومستغث. والله يتعالى عن التكلم بما لا فائدة فيه. ويدل عليه قوله سبحانه: "ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره" [الروم: 25]. "والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره" [الأعراف: 54]. فأخبر سبحانه أن المخلوقات قائمة بأمره فلو كان الأمر مخلوقا لافتقر إلى أمر آخر يقوم به، وذلك الأمر إلى أمر

آخر إلى ما لا نهاية له. وذلك محال. فثبت أن أمره الذي هو كلامه قديم أزلي غير مخلوق ..أنتهى .

---

[242] الرد الشامل 140

وفي آية سورة الأنبياء ، قال القرطبي: ما يأتيهم ذكر من ربهم محدث يريد في النزول وتلاوة جبريل على النبي صلى الله عليه و سلم فإنه كان ينزل سورة بعد سورة وآية بعد آية كما كان ينزله الله تعالى عليه في وقت بعـــد وقـــت لا أن القرآن مخلوق وقيل : الذكر ما يذكرهم به النبي صلى الله عليه و سلم ويعظهم به وقال : { من ربهم } لأن الـــنبي صلى الله عليه و سلم لا ينطق إلا بالوحي فوعظ النبي صلى الله عليه و سلم وتحذيره ذكر وهو محدث قال الله تعالى : { فذكر إنما أنت مذكر }

وهكذا يعلم المسلم أن المحدث هو نزول القرآن وليس صفة الكلام ، بخلاف من قال : أن كلامه سبحانه قديم النوع حادث الأفراد يحدث في ذاته شيء بعد شيء . !!!

وفي العلو للحافظ الذهبي أن فضيل بن عياض كان يقول : من زعم أن القرآن محدث فقد كفر ومن زعم أنه ليس من علم الله فهو زنديق.

3ـــ قولك : (أو تقوم به صفة لم تكن ، فهذا ممتنع). أقول :هذا حق فلماذا تتناقض وتفهم كلام النبي صلى الله عليه وسلم : ((إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضبه من قبل))على أن ذلك حدث له سبحانه وتعالى أفلا ترى إلى قوله تعالى ((ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم ...)محمد31فهل تفهم من ذلك أن الله كان لا يعلم من هو المجاهد منهم ومن هو الصابرحتى ابتلاهم فحدث علمه بذلك ؟أخي الكريم من كان في علم الله من أهل السعادة فهو من أهل السعادة ،ومن كان من أهل الشقاء فهو منهم وتذكر حديث ابن مسعود في الصحيح فيؤمر بكتب أربع منه ((شقي أو سعيد) فما يستجد إنما هو للمخلوق ،أما الله تعالى فلا يحدث له شيء سبحانه جل شأنه ، واعلم أن السعيد من سعد في الأزل ،والشقي من كتب من أهل الشقاء في الأزل ،ولا يحدث لله شيء سبحانه جل شأنه .

4ـــ وقولك (أن قاعدة الحدوث دليل النقص هي دعوى مجردة عن البرهان) جوابه: بل عليها أعظم البراهين والدليل هو في معنى الحادث.. فمعنى الحدوث هو حصول شيء لم يكن ثم كان ووجد، فإذا كان حصل معنى الحدوث في موجود، فذلك دليل على حدوث ذلك الموجود، لأن الوجود بعد العدم قد حصل في ذلك الموجود، ففرض كونه قديماً وهو قد قام به حادث تناقض تام .

فإذا قام الحادث بالقديم الأزلي جل شأنه ، وبقي قديماً، فمعنى ذلك أنه قد حصل في ذلك القديم شيء لم يكن، فهذا القديم مختلط بين القديم والحادث، فلا يبقى قديماً وإذا كنت تجوز في العقل أن القديم يمكن أن يقيم في نفسه حادثاً ويبقى قديماً، فهل تجوز أن الحوادث التي نراها بالمشاهدة يمكن أن تكون قديمة؟ إن قلت لا، فقد علمت المقصود فقف عنده.

قال سيف الدين الآمدي: لو قامت الحوادث بذاته تعال لكان متغيراً، والتغير على الله تعالى محال. ولهذا قال الخليل عليه السلام: – لا أحب الآفلين – [الأنعام: ٧٦]، أي المتغيرين. كما في أبكار الأفكار ٤٦٠/١.

أملى أبو بكر أحمد بن إسحاق الفقيه اعتقاده واعتقاد رفقائه على أبي بكر بن أبي عثمان ، وعرضه على محمد بن إسحاق الفقيه بن خزيمة فاستصوبه محمد بن إسحاق وارتضاه ، وكان فيما أملى من اعتقادهم : فكلام الله عز وجل غير بائن عن الله ليس هو دونه ولا غيره ولا هو هو ، بل هو صفة من صفات ذاته كعلمه الذي هو صفة من صفات

ذاته، لم يزل ربنا عالماً ولا يزال عالماً ، ولم يزل يتكلم ولا يزال يتكلم ، فهو الموصوف بالصفات العلى ، ولم يزل بجميع صفاته التي هي صفات ذاته واحداً ولا يزال ، وهو اللطيف الخبير . وكان فيما كتب : القرآن كلام الله تعالى وصفة من صفات ذاته، ليس ((شيء))) من كلامه خلقا ولا مخلوقاً ولا فعلاً ولا مفعولاً ولا محدثاً ولا حدثاً ولا أحداثاً . (الأسماء والصفات 22/2 ختاماً أقول : لا أدري لماذا يظن هؤلاء الناس أنهم إذا خالفوا ابن تيمية في أي مسألة عقدية فإنهم تاركون لمعتقد أهل السنة ؟ .!

مسألة القدر

قال الكاتب غفر الله لنا وله :السادس : القدر:

أراد الأشاعرة هنا أن يوفقوا بين الجبرية والقدرية فجاءوا بنظرية الكسب وهي في مآلها جبرية خالصة لأنها تنفي أي قدرة للعبد أو تأثير أما حقيقتها النظرية الفلسفية فقد عجز الأشاعرة أنفسهم عن فهمها فضلاً عن إفهامها لغيرهم ولهذا قيل :

مما يقـــــال ولا حقيقة تحته معـــــقولة تدنوا إلى الأفهام
الكسب عند الأشعري ، والحال عند البهشمي ، وطفرة النظام

ولهذا قال الرازي الذي عجز هو الآخر عن فهمها : " إن الإنسان مجبور في صورة مختار ". ....

وقال الحوالي في إيضاح شرح الطحاوية : ولكن ورث الجهم في مسألة الجبر أبو الحسن الأشعري الذي جَاءَ بنظرية الكسب وطلابه إِلَى الآن عَلَى ذلك، وهم أنفسهم عاجزون عن إيضاح هذه النظرية،. أ ـــ هـــ

هكذا قال !!!!!!!!

الجواب : أولاً : الكسب لم يأتي به الإمام الأشعري ولا غيره : بل هو المذكور في كتاب الله تعالى في آيات عديدة.

فما معنى الكسب ؟ وما معنى مصطلح التأثير عند أهل العقيدة ؟

الكسب والسبب والاختيار والخلق والجبر ألفاظ أطلقها الناس على فعل العبد الاختياري.

وقد اختار الأشاعرة لفظ الكسب لفعل العبد لأنه الوارد في القرآن الكريم قال تعالى ((بما كسبت أيدي النـــاس)) وقال تعالى ((ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم)) ولذا فقد كان اللفظ الذي أطلقوه على الفعل هو الـــوارد في النصوص الشرعية . لأن الكسب معناه: قصد إلى الشيء مع الإنجاز .فهمـــا شـــيئان (1)قصـــد ، (2)وإنجاز.[243]

المسألة الثانية : معنى التأثير عند العقائديين ؟

اولاً : لابد أن نعلم أن الأشاعرة يذكرون هذه المسألة تحت أصل من أصول العقيدة وهو استحالة وجود شريكاً لله تعالى في أفعاله .فأصل هذا المسألة هو فيما يتعلق بأفعال الله هل لله شريك في ذلك أم لا ؟ ثم ما هو دور العبـــد في إيجاد فعله الاختياري؟

فأهل السنة والجماعة على أنه لا شريك لله في أفعاله ، وأن كل مخلوق في هذا العالم فالله خالقه.

ثانياً: التأثير مصطلح علمي اصطلح عليه علماء العقائد ومعناه مرادف لمعنى الخلق : وهو كون السبب يوجد الأثـــر من العدم إلى الوجود استقلالاً عن الله أو بقدرة أودعها الله فيه فيكون العبد واسطة في ذلك.[244]

---

[243] الإنسان مسير أم مخير للبوطي ص62

[244] وهذا المعنى متفق عليه حتى عند ابن تيمية إلا أنه يزيد رأي أخر في معنى التأثير ليس عليه العلماء ويأتي ذكره ومناقشته.

فهو مرادف لمعنى الخلق . فعند الأشاعرة وغيرهم من أهل السنة والجماعة أن الله هو المنفرد بالخلق فمعنى قولهم أن العبد غير مؤثر بنفسه أي غير خالق لفعله رداً على المعتزلة القائلين بأن العبد يخلق فعل نفسه .ولا يقصدون أن العبد لا يعمل بالأسباب كما يشاع عنهم .

المسألة الثالثة : وهي ماهو دور العبد في أفعاله الاختيارية ؟

فجوابه: أن أشهر الطرق في ذلك مايلي:

1ـــ مذهي غلاة القدرية : وهم أصحاب معبد الجهني (ت 80هـــ)، وغيلان الدمشقي (ت99)، وقد قالوا بالقدر الخالص وأنكروا علم الله تعالى الأزلي بأفعال العباد، وقالوا مقولتهم المشهورة المعروفة: "لا قدر والأمر أُنُـــف"، أي إن الله لا يعلم أفعال العباد إلا بعد حصولها، وبالتالي يستحيل أن يكون قد قدرها منذ الأزل . وهذا المذهب مذهب مرذول مردود من قبل سائر الفرق الإسلامية، لأنه يعارض أموراً معلومة من الدين بالضرورة.[245]

2ـــ مذهب الفلاسفة : أن فعل العبد يحصل بقدرة مؤثرة يخلقها الله في العبد . وهذا باطل لأن الله غني عن عبـــاده فليس بفقير إلى واسطة توجد الفعل بل ((إنما أمره إذا أراد أمراً أن يقول له كن فيكون)) فبطل كـــلام الفلاســـفة وللأسف فقد تبع الفلاسفة على هذا الاعتقاد الضال بعض من المسلمين فتأثير شيء من الكائنات بقوة جعلها الله تعالى فيه ممتنع شرعاً وعقلاً ، لأنه يصير حينئذ خالق الكون محتاجاً في إيجاد

بعض الأفعال إلى واسطة تلك القوة، وهذا باطل لما عرف من وجوب استغنائه جل وعز عن كل ما سواه.

((وما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين))((إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون))

3ـــ مذهب المعتزلة: أن العبد هو المخترع لأفعاله الاختيارية التي خلقها الله تعالى له إما مباشرة ، وإما توليداً ، وليس فعل العبد عندهم فعلاً لله تعالى، مع أنه سبحانه هو الذي خلق له أسباب الفعل من قدرة ونحوها. فحاصل مذهب المعتزلة أن الفعل ناتج فقط عن قدرة العبد وبلا تدخل من قدرة الله تعالى. مع إقرارهم أن الله تعالى يعلم ما سوف يكون منذ الأزل، ومع هذا فإن أفعال العباد ليست مخلوقة لله تعالى بل هي مخلوقة للناس. وهو باطل أيضاً لأنه لاخالق إلا الله.فاتفق الفلاسفة والمعتزلة أن العباد مستقلون بخلق أفعالهم الاختيارية بقدرتهم التي تحدث بخلق الله تعالى هذه القدرة لهم .والفرق بين مذهب الفلاسفة والمعتزلة هو في كيفية حدوث تلك القدرة فالمعتزلة يقولون : أن قدرة العبد حادثة باختيارالله وأما الفلاسفة فبطريق الإيجاب بالذات لاعتقادهم أن الله سبحانه لا يفعل باختياره، تعالى الله عما يقولون.[246]

---

[245] راجع الباب الثالث من كتاب الانتصار للأشاعرة للشيخ الفودة.

[246] المسامرة شرح المسايرة 111

4ـــ زعمت الجبرية أنه لا فعل للعبد أصلاً وأن حركاته بمنزلة حركات الجمادات لا قدرة للعبد عليها ولا قصد ولا اختيار" .ومذهب الجبرية باطل بالضرورة للفرق الواضح بين حركتي المرتعش والمختار، والساقط من السلم والنازل باختياره، فقولهم واضح البطلان.

5ـــ مذهب الإمام الرازي وقلده فيه الإمام ابن تيمية [247] .يقول الرازي:هو أن مجموع القدرة مع الداعي مستلزم الفعل الذي يكون بحال متى اتصف بالقدرة والإرادة الجازمة ، وارتفعت الموانع فإنه يجب الفعل.[248] وقال ابن تيمية : فقدرة العبد سبب من الأسباب ،وفعل العبد لا يكون بها وحدها، بل لابد من
الإرادة الجازمة مع القدرة ،وإذا أريد بالقدرة القوة القائمة بالإنسان فلابد من إزالة الموانع.أ ـــ هـــ [249]
فعندهم أن فعل العبد لابد له من : قدرة +إرادة جازمة +انتفاء الموانع = وجود الفعل .

6 ـــ أن فعل العبد واقع عندالأشاعرة وغيرهم من أهل السنة بقدرة الله تعالى وحدها، و يوجدقدرة للعبد مقارنة للفعل لكن بلا تأثير .ومعنى بلا تأثير أي ليس العبد خالق للفعل وهناك أدلة فمن الكتاب قوله تعالى: ﴿إنا كل شيء خلقناه بقدر﴾ وقوله تعالى: ﴿والله خلقكم وما تعملون﴾ وقوله ﴿الله خالق كل شيء﴾.ومن السنة : ﴿إن الله صانع كل صانع وصنعته﴾، أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد، والحاكم، والبيهقي في الأسماء عن حذيفة.ودل على قول أهل السنة أيضاً إجماع السلف قبل ظهور أهل البدع، على أن الله تعالى هو الخالق بالاختيار لكل ممكن يبرز للوجود، ذاتاً كان أو قولاً لها أو فعلاً لا يشاركه تعالى في ملك جميع الممكنات واختراعها شيء أي شيء كان، وأن التأثير وإيجاد

الممكنات خاصة من خواص الله تعالى يستحيل أن يشاركه تعالى فيها غيره[250].

فالأشاعرة لا ينكرون وجود قدرة للعبد على وفاق فعله ولا ينكرون وجود إرادة له كذلك،واختيار، ولكن الذي ينكره أهل السنة هو أن تكون قدرة العبد الحادثة لها تأثير في خلق الأفعال أي في إيجادها من العدم سواء استقلالاً أو بمعاونة فالله الخالق وحده غنياًعما سواه. فمخالفة كثير من الفرق لأهل السنة والجماعة في كون قدرة العبد هي الكسب لا التأثير مخالفة باطلة، لأن هذا التقرير الذي قرره الأشاعرة وغيرهم من أهل السنة ،هو النتيجة الحتمية لما يقرره أهل السنة والجماعة في سائر الصفات من عدم وجود الشريك لله في أفعاله وصفاته .فلا وجه للتعجب الذي يبديه الكاتب والرافضة والمعتزلة وغيرهم لأنه تعجب في غير مكانه . بل العجب من المعتزلة كيف ينفون وجود الشبيه لله في خصائصه ثم يدعون أن لغيره تأثير في إيجاد المخلوقات كأفعال العباد

اهـــ. قال الكاتب: (ولهذا قال الرازي الذي عجز هو الآخر عن فهمها : " إن الإنسان مجبور في صورة مختار ")...

---

[247] وقبلهما أبو الحسين البصري المعتزلي .
[248] القضاء والقدر للإمام الرازي 258 تحقيق محمد البغدادي ط دار الكتاب العربي
[249] مجموع الفتاوى 487/8
[250] أنظر كلام السنوسي رحمه الله.

الجواب : أنه عين قول ابن تيمية بالجبر حيث يقول الإمام ابن تيمية :لوقيل : هب أن فعلي الذي فعلته واخترته هو واقع بمشيئتي وإرادتي أليست تلك الإرادة والمشيئة من خلق الله تعالى ؟

وإذا خلق الأمر الموجب للفعل فهل يتأتى ترك الفعل معه ؟ أقصى ما في الباب أن الأول جبر بغير توسط الإرادة من العبد وهذا جبر بتوسط الإرادة من العبد ؟

فنقول(القائل ابن تيمية) : الجبر المنفي هو الأول وأما إثبات القسم الثاني فلا ريب فيه عند أهل الاستنان والآثار لكن لا يطلق عليه اسم الجبر خشية الألتباس بالقسم الأول وفراراً من تبادر الأفهام إليه وربما يسمى جبراً إذا أمن من اللبس وعلم القصد أ ـــ هـــ[251]

فالمتأمل في كلامه، يعلم أنه يقول: إن تسمية ذلك جبراً هي تسمية صحيحة ،لكن المانع من إطلاقها هو خشية الألتباس بمذهب الجبرية، لكن لو أمن اللبس جاز إطلاقه .

قال محمد بن كعب القرظي في قوله (الجبار)قال جبر العباد على ماأراد .[252]

وليس مقصود الإمام الرازي وابن تيمية أن الإنسان ليس له اختيار وإرادة ،ولكن المقصود أن ما يفعله من أفعاله الاختيارية قد قدره الله تعالى ووقع بمشيئة الله وإرادته وخلقه. فمن قال أنه يفعل أفعاله بدون مشيئة الله ،أو أنه مستقل بالفعل والإيجاد أو أن الله أودع فيه قوة يخلق بها فعله :فهو ضال والعياذ بالله .ولكن لا يعني أن يترك العمل بل (اعملوا فكل ميسر لما خلق له)وتركه للعمل حجة على تارك العمل بأن له اختيار وتوجه. ولكن الصحيح أن كون الله تعالى خالقا في العبد إرادته وفعله وقدرته لا يستلزم مطلقا أن يكون العبد مجبوراً، بل هذا هو الاختيار، لأنه تابع لإرادة العبد التي علمها الله تعالى منذ الأزل ولذا قال الإمام السعدالتفتازاني :يعلم ويريد أن العبد يفعله أو يتركه باختياره، فلا إشكال. فإن قيل :فيكون فعله الاختياري واجبا أو ممتنعا وهذا ينافي الاختيار. قلنا: ممنوعٌ، فإن الوجوب بالاختيار محقِّقٌ للاختيار لا منافٍ. أ ـــ هـــ[253]

شواهد صريحة من أقول علماء السنة بالكسب:

فمنها حديث ابن عمر مرفوعاً ((كل شيء بقضاء حتى العجز والكيس))

وقال إمام من ائمة أهل لسنة وهو ابن جرير الطبري المفسر حيث قال:

في تفسيره آخر أية من سورة الفاتحة-:. ((وَمِنْ شَأْن الْعَرَب إِضَافَة الْفِعْل إِلَى مَنْ وُجِدَ مِنْهُ , وَإِنْ كَانَ مُسَبِّبه غَيْر الَّذِي وُجِدَ مِنْهُ أَحْيَانًا , وَأَحْيَانًا إِلَى مُسَبِّبه , وَإِنْ كَانَ الَّذِي وُجِدَ مِنْهُ الْفِعْل غَيْره. فَكَيْف بِالْفِعْلِ الَّذِي يَكْتَسِبهُ الْعَبْد كَسْبًا وَيُوجِدهُ اللَّه جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَيْنًا مُنْشَأَة ؟ بَلْ ذَلِكَ أَحْرَى أَنْ يُضَاف إِلَى مُكْتَسِبه كَسْبًا لَهُ بِالْقُوَّةِ مِنْهُ عَلَيْهِ وَالِاخْتِيَار مِنْهُ لَهُ , وَإِلَى اللَّه جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِإِيجَادِ عَيْنه وَإِنْشَائِهَا تَدْبِيرًا أ ـــ هـــ

قال الإمام أبوحنيفة : وجميع أفعال العباد من الحركة والسكون كسبهم على الحقيقة والله

[251] مجموع الفتاوى 395/8
[252] نفس المصدر
[253] شرح العقائد النسفية

خالقها. أ ـــ هـــ الفقه الأكبر مع شرحه 153

وقال الصابوني في عقيدة أصحاب الحديث 279: ومن قول أهل السنة والجماعة في أكساب العباد إنها مخلوقة لله تعالى .

إذن أهل السنة والجماعة كلهم قائلون بالكسب وإن اختلفوا في التسمية ،فمنهم من يسميه كسباً وفاقاً لصريح القرآن ،ومنهم من يسميه سبباً أو اختياراً . ولا مشاحة في الاصطلاح.ثم بعد ذلك تجد الموجان يقلد المحمود في إيهام القارىء أن هناك خلافاً في المعنى بين كلام الأشاعرة وبين سلفهم من أهل السنة في الكسب فأوهموا القارىء أنه لا توافق في المعنى ثم لم يأتوا بأي قرينة على هذا الاستنتاج ، فظهر أنه مجرد إيهام منهم وظنون لا مستندله بقرائن لفظية أو غيرها، وإنما دفعهم إلى ذلك أنهم وجدوا جميع أهل السنة سلفها وخلفها قائلين بالكسب لفظاً ومعنى .[254] [255]

يقول الموجان في بيان مذهب ابن تيمية في أفعال العباد:إن الله خالق أفعال العباد كلها ،والعباد فاعلون حقيقة ،ولهم قدرة حقيقية على أعمالهم ولهم إرادة ، ولكنها خاضعة لمشيئة الله الكونية فلا تخرج عنها،فالله يخرج فعل العبدبتوسط قدرة العبد وإرادته.أ ـــ هـــ[256] وقد سبق بيان ما في كلامه من محاذير فالله يخرج فعل العبد عند أهل السنة بدون حاجة إلى واسطة (إنما أمره إذا أراد شيأً أن يقول له كن فيكون)) .والخلل الثاني :قوله أن العبد فاعل حقيقة ،لأن الفاعل حقيقة هو الخالق لأفعاله.فلا فاعل حقيقة عند أهل السنة إلا الله .أي لا خالق إلا هو ،،ولا شك أنه لايقصد أنه خالق لفعله فقد صرح بذلك ،وإنما أقول أن أهل السنة يردون على المعتزلة ،والفاعل عند أهل السنة والمعتزلة في هذه المسألة هو خالق الفعل فتبين لكل من يفهم ،ماهو مغزى العقائديين من الطرفين في موطن النزاع فكلامه هنا في موطن النزاع مجرد تشغيب وسيأتي مزيد بيان . قال: الصفاقسي : وهذا الكسب الذي أثبته أهل السنة لا تأثير له كما أشار إليه الناظم بقوله: (و لم يكن) ذلك العبد (مؤثِّراً) بذلك الكسب الذي كُلِّف به في المقدور تأثير اختراع وخلق وإيجاد له؛ لقيام البرهان على انفراد الباري بالتأثير، لا مؤثر سواه في شيء ماعموماً.[257]

سؤال : مانوع الفاعل في هذه الجمل؟

علم الله طلبة العلم .(فاعل حقيقية) (مؤثر خالق)

علم المدرس طلبة العلم .(فاعل مجازاً) (أي غير خالق)

دمر الله القرية . دمر الجيش القرية .

---

[254] الرد الشامل 162

[255] للفائدة العظيمة أنظر هذه المسألة بتفصيل شيق للشيخ محمد البوطي في كتابه(الإنسان مسير أم مخير)

[256] الرد الشامل 156

[257] تقريب البعيد إلى جوهرة التوحيد تأليف الشيخ علي بن محمد التميمي المؤخر الصفاقسي ص61

هذا الفعل للإنسان هل هو على وجه الاستقلال أو الشراكة، أو الكسب ؟ فإن قلت الاستقلال فهو كفر بالله كما لايخفى .وإن قلت شريك له فهذا شرك أكبر. فلم يبقى لك إلا أن تقول :هو كسب فقط أو تسميه سبباً أوتقصد أنه فاعل مجازاً .حتى على قولك أنه فاعل حقيقة فكلامك يحتمل أحد معنيين :

الاحتمال الأول : أن مقصودك أنه الخالق لفعله وهذا استبعد أن يكون هو مرادك وإن كان هو المقصود عند جمهور العقائديين خلافاً لمعتمد الماتردية .

الاحتمال الثاني : أن تقصد أنه السبب المباشر للفعل لكن لا على وجه الخلق والإيجاد أي التأثير ،ولا على وجه المعاونة لله سبحانه ، بل الله الخالق وحده فهذا هو نفس كلام الأشاعرة وغيرهم من أهل السنة فصار الخلاف لفظياً . فالمهم أن العبد ليس بمؤثر أي ليس بخالق لفعله .فالأشاعرة يا أخي ينفون أن يكون المخلوق فاعل بمعنى الخلق ،سواء كان هذا الإيجاد استقلالاً أو كشريك لله ولو أدنى شراكة أو كون العبد واسطة بين الله ومفعولاته .فهذا هو مذهبهم فالكسب وصف وليس بفعل إيجاد ولذا فيقال فلان شرير لأنه اكتسب الشر . ولا يقال للخالق عزوجل أنه شرير لأنه خلق الشر .لأن الشرير هو المكتسب للشر لا الخالق . قال الإمام الأنصاري:ومع أن الشر مخلوق لله تعالى على فرض أنه وجودي، لكن الأدب أن لا ينسب لله تعالى إلا الحسن فينسب الخير لله والشر للنفس، وإن كان منسوباً خلقاً لله، وذلك لأن نسبة الشر يتبادر منها عادة اكتسابه ،والرضى به، ومعلوم أن الله تعالى لا يرضى بالشرّ.[258]

وقول القائل : أن الفعل يضاف للعبد ؟فنعم والإضافة إليه إضافة صفة إلى موصوف ،وهذا هو الكسب . أما إضافته لله فهي إضافة مخلوق مفعول إلى خالق فاعل .ويصح أن تقول أن العبد فاعل لكن مجازاً لاحقيقة . أي أنه ليس بخالق . هذا هو معنى كلامهم.

وعلى هذا فيصح أن نقول :فلان ساجد ،عابد ،أو زاني عاهر لأن هذه صفات تضاف إلى من يتصف بها وهو من يوصف بالكسب .وتضاف إلى الله إضافة مخلوقات إلى خالق .ومعلوم أن خالق الخير والشر وجميع المفعولات هو الله وحده لاشريك له.ولكن لايضاف الشر إلى الله من باب التأدب .قال الرسول صلى الله عليه وسلم((والشر ليس إليك)).هذا هو مذهب الأشاعرة بلا تشنيع.قال تعالى ((هل من خالقٍ غير الله))

والمقصود أن المطلوب هو ثلالاثة أشياء:

1ـــ أن نعلم أن العبد لا يخلق فعل نفسه وإنما الخالق هو الله وحده.

2ـــ أن العبد غير مجبور على أفاعله الاختيارية بل هو مختار .

3ـــ أن نستعمل الاصطلاحات العلمية عند أهل الفن الذي تتكلم فيه، فلا تقل أن العبد مؤثر وأنت تقصد

---

[258] شرح الأنصاري على أم البراهين تهذيب الشيخ الفودة.

مجرد كونه سبباً لا خالقاً ، لأن هذا فيه تلبيس للمصطلحات والمفاهيم العلمية مما يورث الشقاق.

تنبيه أخير القارىء المنصف يعلم أن كلام الرازي وابن تيمية في فعل العبد لا يغير من الحقيقة أي شيء ، لأن الخلاف أصلاً في إيجاد فعل العبد من العدم إلى الوجود هل هو بفعله هو أم بفعل الله ؟

والجواب المتفق عليه : أن الله هو الذي أوجده من العدم .

فيتبعه السؤال الثاني: وهو هل للعبد قدرة على منع ما أراد الله إيجاده ؟ والجواب أنه لا مدافع لقدرة الله أبداً .

فلماذا يحاسب العبد على ذلك وهو لم يخرجه من العدم إلى الوجود ؟وجواب أهل السنة أن العبد هو الذي اختار ذلك وأراده ،فيحاسب على قصده وتوجهه ،واكتسابه له .((بما كسبت أيديكم))

فالسؤال هنا : ماهي حقيقة هذا الاختيار أو السببية أو الكسب ؟ . وهنا وقف الأشاعرة وإذا ذكر القدر فأمسكوا ، لأن هذا ما يعجز الناس عن بيان حقيقته ، وتكلم غيرهم فلم يأت بمفيد، لأنهم لم يبينوا حقيقة فعل العبد إلا بماهو عين قول الأشاعرة في المعنى وإن خالفوا في اللفظ ، فهم لا يقولون أن العبد خلق فعله فهو مستقل به أو معاوناً لله ، ولا أظن أن أحد منهم يجيز أن غير الله خلقه ، بل غاية ما يقوله بعضهم أنه اعتباري ، وعند ذلك سنطلب معنى كونه اعتباري وما سر محاسبته عليه . وهي كالخوض في حقيقة الصفة وحقيقة الذات الإلهية وحقيقة ما في الجنة ،والنار فمن أين للناس معرفة ذلك؟!فلو قيل فاعل أو كاسب فالنتيجة واحدة بعد الاتفاق على أنه غير خالق.

ختاماً : فكلام الرازي وابن تيمية قد يقتنع به صاحب عاطفة جياشة ، ولكنه لا يفيد في المسألة عند التحقيق، فهو يصلح لتقريب المعنى ،لا لبيان حقيقة المعنى ،وإنما خوض العلماء وخلافهم في حقيقة فعل العبد لا في تقريب المعاني ، هذا سبب خلاف المعتزلة والجبرية وأهل السنة والجماعة

فنظرية القائلين : أن القدرة +إرادة جازمة +انتفاء الموانع = وجود الفعل .

نقول وجود الفعل هذا هل هو إيجاد من العدم ...إلى أخر الأسئلة السابقة . و لم يبقى للمؤمن إلا التسليم .وأن مذهب الأشاعرة المعتمد هو صحيح بلا شك ، والله أعلم.

استشكالات الكاتب حول مسألة الإرادة

قال الكاتب غفر الله له: والإرادة عند الأشاعرة معناها " المحبة والرضا وأولوا قوله تعالى : (ولا يرضى لعباده الكفر) بأنه لا يرضاه لعباده المؤمنين ! فبقي السؤال وارداً عليهم : وهل رضيه للكفار أم فعلوه وهو لم يرده ؟

الجواب : هذا الكلام غير صحيح فمن الذي قال أن تعريف الإرادة عند الأشاعرة المحبة والرضا؟!!!!

قال الكليسي رحمه الله :وأما الإرادة فهي كالمشيئة صفة قديمة زائدة على الذات، قائمة به، تخصص أحد طرفي الشيء من الفعل والترك، بالوقوع في أحد الأوقات، مع استواء نسبة القدرة إلى جميع الممكنات.فكل ممكن علم الله تعالى أنه يكون أو لا يكون فذلك مراده، وبذلك تعلم أن تعلق الإرادة فرع عن تعلق العلم أي تابع له ومتأخر عنه في التعقل[259].

فقول الكاتب: والإرادة عند الأشاعرة معناها " المحبة والرضا) باطل فهم يفرقون بين الإرادة والرضا .

---

[259] خير القلائد شرح جواهر العقائد.

قال الإمام الباجوري في تعريف الرضا : رضا الله تعالى :هو قبول الشي ء والإثابة عليه .

وقال : وغايرت الإرادة رضاه تعالى وغرضه بذلك (أي الناظم) الرد على من فسر الإرادة بالرضا .فإن الإرادة قد تتعلق بمالا يرضى به الله تعالى كالكفر الواقع من الكفار فإنه بإرادة الله ولا يرضاه.[260]

والخلاصة أن الأمور التي تجري في المخلوقات ومنها كفر الكافر ،وإسلام المسلم ،وموت شخص وولادة أخر ، كلها بإرادة الله فلا مكره له.

فليس الله مُكرهاً على أن يكفر الكافر بل كفره بإرادة الله ، وليس الله مكرهاً على أن يسلم المسلم ،بـــل إســـلامه بإرادة الله قال تعالى ((وما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين))

فضد الإرادة الإكراه والله لا مكره له ، هذا كل مافي الأمر.قال تعالى ((فعّال لمايريد))وهو عين قول السلف (ماشاء الله كان ومالم يشأ لم يكن)وهو صريح قول الطحاوي في متن الطحاوية :(لا يفنى ولايبيد ولا يكون إلا مايريد).

صفة الإرادة صفة واحدة كسائر الصفات الأزلية .

شبهات حول صـــفة الإرادة :يظن البعض هداهم الله تعالى أن صفة الإرادة تنقسم [261]ثم جعلوا تقسيمها إلى إرادة تكوينيـــة وإرادة شرعية ، ثم ظنوا أن ما اسموه إرادة الله الشرعية يريده الله فلا يقع هكذا !!

واستدلوا بالآيات التالية :

1ــ قول الله سبحانه: (يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ)

الجواب: أنه خاصة بالتشريع والتشريع قد وقع فعلاً و لم يتخلف فأراد تشريعه أن يكون يسيراً بنا فوقع ذلك و لم يرد أن يكون عسيراً فوقع ذلك ووقوعه بإنشاء وإنزال هذه الشريعة فإنها شريعة يسيرة لا عسر فيها ولله الحمد فقول من يقول: أن الإرادة هنا قد تتخلف باطل لأنها لم تتخلف بل

وقعت .

2ــ (وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيماً)وهذا يقع أيضاً ولا يتخلف فإن من تاب توبة صحيحة تاب الله عليه فكيف يقول القائل أن الله يريدها فلا تقع ؟!!فمن تاب فقد أراد الله له الهداية ومن لم يتب واتبع الشهوات فقد أرا دالله له عدم التوبة كما قال ((وَلا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُم)) فالنصوص بعضهايفسر بعضاً.

---

[260] شرح جوهرة التوحيد 168

[261] لمزيد الفائدة أنظر ما كتبه الشيخ :سعيد الفودة الأشعري في شرحه للطحاوية.

3ــ : ((يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ))وهذه أيضاً قد وقعت ولم تتخلف كما يزعم من يزعم ذلك فإن الله قد بين لهذه الأمة أمردينها وقد هداها فعلاً لما قبلها من سنن المؤمنين السابقين لها زمناً وأراد أن يتوب عليهم وكل هذا قد وقع ولم يتخلف .فقد بين الله دينه بإرسال نبيه وإنزال كتابه وما مات الرسول إلا والناس على البيضاء لا يزيغ عنها إلا هالك .وكذلك شرع لهم التوبة بشروطها ولم يتخلف مما أراده الله شيئاً. ((فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ))

4ــ((مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ))

فيقول قائل فلم :يرد الله لنا شرعاً أن نقع في حرج، لكن قد نقع فيه قدراً كونياً. وهذا باطل لأن معنى الآيــة أن الله لايريــد بإنزال التشريع أن يشق عليكم بل أنزل التشريع تطهيراً للناس ،ولا شك أن هذا قدوقع بــإنزال الشــريعة واتباعها. ولاحظ أن الكلام موجه للجميع لأن الشريعة لاحرج فيها حقيقة ،ولا كلفة، ولأن التطهير واقع لأتباعها فلله الفضل والمنة.فكيف نقول أنه قد يقع حرج فالحقيقة أن الشريعة لاحرج فيها بذاتها أما كــون عبد من العباد قد يتحرج في شيء فالشريعة ولله الحمد فيها رفع الحرج عن هذا العبد فمانزلت بحرج قــط فمن حصل له حرج بمرض وجد الرخصة في الشريعة ومن وجد حرج بسفر وجد الرخصة في الشــريعة ولا يوجد في الشرع حرج أبداً لأن الشرع أتى برفع الحرج إن وقع شخص في حرج فلا تضاد في مرادات الله أبداً.ومن تأمل فطن لذلك.فمن قال: إن إرادة الله قد لا تقع (أي قد تتخلف) فهو مخطيء فما شاء الله كان ومالم يشأ لم يكن .فيا أخي إن رأيت أمراً لم يقع فاعلم أن الله لم يرده ولا يعني أنه أراده ثم تخلف وقوعه. فلا سبيل لوصف إرادة الله بالتناقض

والعياذ بالله .ولا وجه لافتراض إرادة لله تقع ، وإرادة لله لا تقع .

ولعل منشأ الخلط هنا هو الخلط بين مفهوم الإرادة، والرضا، والأمر ،وقد سبق بيان الفرق بينها .

ثانياً : إسلام الصحابة ،وكفر أبي لهب كله بإرادة الله. فلم يسلم الصحابة بدون إرادته

،ولم يعصه أبي لهب كرهاً .بل قد اراد الله له النار وبئس القرار مصداق ذلك قوله تعالى ((فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ))

وقول الرسول صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عزوجل((هؤلاء للجنة ولا أبالي وهؤلاء للنار ولا أبالي))((لا يسئل عما يفعل وهم يسألون))

فإرادة الله تعالى صفة واحدة كسائر الصفات الذاتية .[262]

أقوال ائمة السلف في المسألة وكلهم يقولون كقول الأشاعرة لأن كلام أهل السنة واحدفي معناه :

1ــ قول الصحابة أبي بن كعب وعبادة بن الصامت وزيد بن ثابت وحذيفة :

(إن الله لو عذب أهل سمواته وأهل ارضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم)[263]وعن عمرو بن شعيب

عن ابيه عن جده مرفوعاً((لو اراد الله أن لايعصى ماخلق إبليس))[264]

2ــ قال أبو عثمان الداني المشهور بابن الصيرفي: ومشيئته تبارك وتعالى ومحبته ورضاه ورحمته

وغضبه وسخطه وولايته وعداوته هو أجمع راجع إلى إرادته.

وقال : وما يجعله منه كسباً لعباده من خير وشر ، ونفع وضر وهوى وضلال وطاعة وعصيان ولا يكون حادث إلا بإرادته ،ولا يخرج مخلوق عن مشيئته ،وما شاء كونه كان ومالم يشأ لم يكن ،يهدي من يشاء ويضل من يشاء لا مضل لمن هداه ولا هادي لمن اضله كما أخبر عن نفسه ((إن تحرص على هداهم فإن الله لايهدي من يضل ومالهم من ناصرين))[265]

3ــ قال الإمام الطحاوي: يهدي من يشاء ويعصم ويعافي فضلاً ويضل من يشاء ويخذل ويبتلي عدلاً وكلهم متقلبون في مشيئته بين فضله وعدله.[266]

خلط الكاتب بين مسألة الإرادة والرضا

قول الكاتب: (ولا يرضى لعباده الكفر) بأنه لا يرضاه لعباده المؤمنين ! فبقي السؤال وارداً عليهم : وهل رضيه للكفار أم فعلوه وهو لم يرده ؟

الجواب: هذا الإيراد من الكاتب غفر الله له هو إيراد المعتزلة على أهل السنة والجماعة ومنهم الأشاعرة .وكثير من الإيرادات التي أوردها الكاتب هي إيرادات المعتزلة على الأشاعرة وغيرهم من أهل السنة والجماعة ،وقد دحض أهل السنة والجماعة شبهات المعتزلة في كتب كثيرة جداً ،فيأتي الكاتب ـــ هداه الله ـــ فيأخذ ذلك السؤال الذي أورده المعتزلي ، ثم ينشره بين أناس لايدرون أنه سؤال المعتزلة ،ثم يصور لهم أن أهل السنة وقعوا في حيرة من أمرهم وبقي

---

[262] لمزيد الفائدة أنظر كبرى اليقينيات الكونية للبوطي .

[263] شرح أصول السنة للألكائي 1/ 593

[264] نفس المصدر 541/1

[265] الرسالة الوافية ص64 تحقيق :محمد سعيد القحطاني.

[266] متن الطحاوية.

الاستشكال وارداً كما هو .!وهذا باطل وإليكم جواب أهل السنة والجماعة عن إيراد المعتزلة الذي ذكره الكاتب هداه الله .

أما كون الآية خاصة بالمؤمنين فلا شك ، وكثير من الآيات المقترنة بقوله يا عبادي وعباده ونحوها خاصة بالمؤمنين .

والسؤال يرد عليهم أيضـاً : هل الخالق ـــ سبحانه وتعالى ـــ مجبور على كفر الكافرين فيكفرالكافر بـدون إرادة الله ،وهل يعصونه قهراً فتظهر مشيئتهم على مشيئته وتغلب إرادة المخلوق إرادة الخالق ؟ !!

قال الإمام عثمان الكليسي :فمذهب أهل الحق أن كل ما أراده الله فهو كائن، وإن كل ما هو كائن فهو مراد له وإن لم يكن مرضياً ولا مأموراً به، بل منهياً.

وهذا منصوص في الكتاب والسنة، قال الله تعالى: ﴿وما تشاءون إلا أن يشاء الله﴾ وفي الحديث: ﴿ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن﴾.

و مذهب أهل الحق أن الرضا أخص من الإرادة، لكونه عبارة عن الإرادة مع ترك الاعتراض.

وجاء في شرح البيت الثالث والخمسين من تهذيب الجوهرة : مذهب أهل السنة: أن الإرادة تتعلق بالممكنات بأسرها، لا يند عنها ممكن ما، كالقدرة في تعلقها بالممكنات، لكن الإرادة تخصص الممكن ببعض ما يجوز عليه، والقدرة تبرز ما خصصته الإرادة، والإرادة غير العلم والرضا والأمر.

وخالفت المعتزلة في الأصلين الأولين، أعني أن كل ما أراد الله فهو كائن وإن كل ما هو كائن فهو مراده ذهاباً إلى أنه يريد من الكفار والعصاة الإيمان والطاعة، ولا يقع مراده ويقع منهم الكفر والمعاصي ولا يريدهما، وكذا جميع ما يقع في العالم من الشرور والقبائح.

وأيضاً خالفوا في الأصل الثالث حيث قالوا بتلازم الإرادة والرضا .[267]

قال الخيالي: اتفق أهل الحق على أن إرادة الله تعالى تتعلق بما كان ولا تتعلق بما لم يكن، على ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وانعقد عليه إجماع السلف والخلف.

وقالت المعتزلة : أنه لو كان الكفر مراداً لكان بقضائه، فيجب الرضا به، لأن الرضا بالقضاء واجب، واللازم باطل، لأن الرضاء بالكفر كفر.

والجواب أن للكفر نسبتين: نسبة إليه تعالى، باعتبار خالقيته، ونسبة إلى العبد باعتبار كاسبيته، فوجوب الرضاء باعتبار النسبة الأولى لا يستلزم الرضاء باعتبار الثانية التي هي مناط الإنكار.وحاصل جواب المحقق عن استدلال المعتزلة منع كون الاتيان بالكفر طاعة، كيف والطاعة موافقة الأمر، لا موافقة الإرادة كما زعمت المعتزلة، إذ هي قد تكون طاعة وقد تكون معصية، وأما موافقة الأمر فهي طاعة لا محالة، فـالأمر غـير الإرادة ولا يستلزمها أيضاً كما مر في صورة الاختيار والاعتذار، ولهذا يقال: فلان مطاع الأمر، ولا يقال: مطاع الإرادة.

---

[267] شرح الأصول الخمسة للقاضي عبدالجبار المعتزلي 290

وللفائدة: فمذهب أهل الحق أن بين الأمر والإرادة عموماً وخصوصاً من وجه، يجتمعان وينفردان، فإيمان أبي بكـــر رضي الله عنه مثلاً مراد مأمور به، وكفر أبي لهب مثلاً مراد غير مأمور به، وإيمانه مأمور به غير مراد له تعـــالى.أ ـــ هـــ[268]

فالأشاعرة وسائر أهل السنة والجماعة فيقولون :ما شاء كونه كان ومالم يشأ لم يكن ،يهدي من يشاء ويضل من يشاء لا مضل لمن هداه ولا هادي لمن أضله كما أخبر عن نفسه ((إن تحرص على هداهم فإن الله لايهدي من يضل ومالهم من ناصرين))[269] عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده مرفوعاً((لو أراد الله أن لايعصى ماخلق إبليس))[270]وقال تعالى ((لو شاء لجمعهم على الهدى)) قال ابن عباس:إن زنا وإن سرق فبقدر وإن شرب الخمر فبقدر. أ ــ هــ[271]

استشكال الكاتب مسألة السببية

يقول الكاتب: ينكر الأشاعرة الربط العادي بإطلاق وأن يكون شيء يؤثر في شيء وأنكروا كل " باء سببية " في القرآن ، وكفروا وبدعوا من خالفهم و مأخذهم فيها هو مأخذهم في القدر ، فمثلاً عندهم : من قال إن النار تحرق بطبعها أو هي علة الإحراق فهو كافر مشرك ، لأنه لا فاعل عندهم إلا الله مطلقاً ....

قالوا إن الأسباب علاقات لا موجبات حتى أنهم يقولون: الرجل إذا كسر الزجاجة ما انكسرت بكسره وإنما انكسرت عند كسره ، والنار إذا أحرقت ما تحرق ما احترق بسببها وإنما احترق عندها لا بها فالإنسان إذا أكل حتى شبع ما شبع بالأكل وإنما شبع عند الأكل .

ومن قال عندهم أن النار تحرق بقوة أودعها الله فيها فهو مبتدع ضال ، قالوا : إن فاعل الإحراق هو الله ولكن فعله يقع مقترناً بشيء ظاهري مخلوق ، فلا ارتباط عندهم بين سبب ومسبب أصلاً وإنما المسألة اقتران ....

ومن متوهم في العقيدة:

والفعل في التأثير ليس إلا للواحد القهار جل وعلا
ومن يقل بالطبع أو بالعلة فذاك كفر عند أهل الملة
ومن يقل بالقوة المودعة فذاك بدعي فـــــــلا تلتفت

الجواب:

اولاً : قول الكاتب أن الأشاعرة ينكرون الربط العادي بإطلاق كلام باطل غير صحيح .بل الأشاعرة يثبتـــون الربط العادي، وإنما الذي ينكره الأشاعرة التأثير وأنواع الربط الأخرى .

ومعنى التأثير : هو الخلق والإيجاد فالأشاعرة بل وسائر أهل السنة ينكر ون أن يكون هناك مؤثر حقيقي أي موجد للشيء من العدم إلى الوجود إلا الله تعالى .وهذه المسألة كما بينت سابقاً يذكرها السادة الأشاعرة عند ذكر المستحيلات ومنها وجود الشريك لله في أفعاله .

ومعنى الربط : أي التلازم وأهل السنة لاينكرون التلازم بإطلاق وإنما ينكرون أنواع من التلازم ويثبتـــون الـــتلازم العادي وسأبين ما غاب عن فهم الكاتب إن شاء الله فلا يظن أن أهل السنة من الأشاعرة يبدعون أو يكفرون باهوى .

---

[268] مختصراً من شرح خير القلائد مبحث الإرادة .

[269] الرسالة الوافية ص64 ت :محمد سعيد القحطاني.

[270] الرسالة الوافية 541/1

[271] الرسالة الوافية 593/1

الناس في هذه المسألة وهي مسألة التأثير أربعة فرق:الفرقة الأولى:تعتقد أن الدواء أو نحوه من الأسباب تؤثر بطبعها وذاتها وهذه الفرقة لا نزاع في كفرها . وهم الفلاسفة الغلاة ومعنى التأثير بالطبع أي أن السبب يخلق الفعل استقلالاً عن الله بطبيعته و يوجد الشيء ولا مدخلية لله في ذلك .

والثانية: تعتقد أن الأدوية وغيرها من الأسباب تؤثر بقوة أودعها الله فيها، وهذه الفرقة اختلف في كفرها ،والجمهور على عدم الكفر كما قيل في المعتزلة القائلين بأن العبد يخلق أفعال نفسه الاختيارية بقدرة أودعها الله فيه ،ومعنى أنها تؤثر بقوة جعلها الله فيها أي معاونة ولا شك أن من أدعى لأحد غير الله أدنى شيء من الإيجاد فإنه ضال.

وللفائدة فابن تيمية ينفي نوعين من التأثير ــ التأثير بمعنى الإيجاد المستقل ــــ وينفي التأثير بمعنى المعاونة وجعل كلاهما شرك [272] ولكنه يثبت تأثيراً قال فيه : إن أريد أن خروج الفعل من العدم إلى الوجود كان بتوسط القدرة المحدثة ، بمعنى أن القدرة المخلوقة هي سبب وواسطة في خلق الله الفعل بهذه القدرة ..كما خلق جميع المسببات والمخلوقات بوسائط ، وأسباب ،فهذا حق ..وليس إضافة التأثير بهذا التفسير إلى قدرة العبد شركاً أ ـــ هـــ [273]

وسنأتي برأي الكاتب ومناقشته إن شاء الله.

الفرقة الثالثة: تعتقد أن التأثير ليس إلا لله تعالى لكن تعتقد التلازم بين الأسباب ومسبباتها عقلياً فمثلاً تعتقد التلازم بين الدواء و الشفاء عقلياً، وهذه الفرقة ليست كافرة لكن ربما جرها ذلك الاعتقاد إلى الكفر، لأنه قد يؤديها إلى إنكار الأمور الخارقة للعادة كمعجزات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وكبعث الأجسادلأن هذه الأشياء ثبتت بالأدلة الشرعية لا بالأدلة العقلية . فالحكم العقلي يفهم من مجرد العقل من غير تكرار ولا وضع واضع.

الفرقة الرابعة : أهل السنة والجماعة : يقولون : الصواب أن الترابط بين السبب والمسبب ترابط عادي بمعنى أنه يمكن وقوعه ويمكن تخلفه فالأشاعرة وسائر أهل السنة يعتقدون أن التأثير ليس إلا لله تعالى. كما يعتقدون إمكان التخلف بين السبب والمسبب كالدواء والشفاء .وكم من دواء حصل فيه الشفاء لأناس ولم يحصل لأخرين؟! وبنوا على معتقدهم الإيمان بالكرامات لأنها أمر خارق للعادة . ولم يقولوا أمر مستقل بالإيجاد .ولا قالوا أمر مؤثر يجري بقوة أودعه الله في الفاعل . [274] معنى العادي: العادي يعرف بالتجربة والتكرار كوجود الاحتراق عند النار، فالخالق للإحراق هو الله تعالى فلا تأثير للنار وكذلك جميع الأسباب العادية، وإنما أجرى الله العادة أن يخلق الفعل عندها لا بها.

---

[272] مج الفتاوى 8/ 387

[273] مج الفتاوي /389

[274] انظر للفائدة حاشية الباجوري على أم البراهين .وكذا تهذيب السنوسية . والبيت الخامس والأربعين من تهذيب شرح الجوهرة.

وقولهم عندها لا بها : أي أنه غني عن الوسائط سبحانه وتعالى فهو غير محتاج لشيء أبداً فالباء هنا عند أهل العقائد هي باء تفيد الاستعانة ، وليس نفي للسببية .

والتلازم بين النار والإحراق تلازم عادي ، فلقد اعتدنا أن وجود الإحراق عند مس النار وهذا يقع بل شك لكن هل يمكن أن تتخلف هذه العادة ، فجواب أهل السنة نعم يمكن ذلك كمسألة المعجزات للأنبياء ،والكرامات للأولياء وهي صور قليلة استثنائية على مر العصور .

ومما سبق يتضح أن معنى التأثير هو الخلق والإيجاد وهذا ينفيه الأشاعرة عن العبد فلا خالق إلا الله وينفون كذلك كون الترابط بين السبب والمسبب لا يمكن أن يتخلف بل هو تلازم عادي فيمكن أن يحصل الأثر المترتب على السبب ويمكن أن يتخلف وقد تم إيضاح ذلك..

الفروق الجوهرية بين العقيدة الصحيحة وعقيدة الكاتب في الأسباب

1 ـــ يقولون : أن الله يخلق الأشياء بالوسائط فالأسباب واسطة في خلق الله تعالى ،يقول الموجان ناقلاً عن ابن تيمية :وإن أريد بخروج الفعل من العدم إلى الوجود كان بتوسط القدرة المحدثة بمعنى أن القدرة المخلوقة هي واسطة وسبب في خلق الله الفعل بهذه الواسطة ..كما خلق جميع المسببات والمخلوقات بوسائط وأسباب فهذا حق.أ ـــ هـــ [275] والباء هنا إما أن تكون بقصد الاستعانة فهذا الذي ينفيه الأشاعره لأنه الله يعين ولا يُعان ، أو من باب السببية بدون تأثير إيجاد منها ،أو معاونة لله ،فهذا هو معتقد الأشاعرة ، وصار الخلاف لفظياً ،وراجع تفاسير الأشاعرة في آيات السببية كقوله تعالى ((فأحيا به الأرض بعد موتها)) ونحوها من الآيات ،لأن الباء هنا للسببية لا للاستعانة والتوسط ،والمرفوض عند الأشعرية هو كون الباء للوساطة أو الاستعانة ،وهم بذلك يردون على من يستشهد بها على هذا المعنى .

فأهل السنة والجماعة يقولون أنما أمره إذا أراد شيئاً قال له كن فيكون . فيخلق الله الأشياء سواء وجدت الأسباب أم لم توجد .فهو يخلق الأشياء عندها لا بها .فهم ينفون احتياج الله للأسباب ،أو أن تكون أفعاله متوقفة على وجودها، أو أن يستعين بها.

وقد اعترض على ذلك بالآيات التي فيها الباء وذكر أنها باء السببية كقوله تعالى ((فأحيا به الأرض بعد موتها)) أن مرد ذلك إلى مفهوم السببية كمسألة عقدية ، وليس إلى مجرد الألفاظ ،فالأشاعرة لا ينكرون الربط العادي والسببية العادية ككون الماء إذا صب على الشجر حصل الإنبات عادة ، وإنما الإنكار منصب على التأثير باستقلال أو بمعاونة ، فمن يفهم من الباء في الآيات دلالة الاستعانة أو وجود الوسائط وتوقف ذلك عليها ،فهذا ضلال ومن يفهم منها السببية والربط العادي فلا شيء عليه.[276]

2ـــ أيه القارىء الكريم : إن في كتب التفسير عند الأشاعرة لا تجدهم يقولون أن الباء لا يصح استعمالها على وجه السببية ،كما يظن الكاتب وغيره لأن هناك فرق واضح جلي بين أن تذكر هذه المسألة في كتب العقائد التي ينصب البحث فيها عن مفهوم الفعل، والسبب، ونوع الترابط بين السبب والمسبب. فهنا لابد من الاحتراز في

---

[275] الرد الشامل 161ـــ 162

276

المصطلحات ،وبين أن تذكر المسألة على جهة التسبب لا الاستعانة في مواطن أخرى.

ــ ولذا فإنما وقع الخلل حينما قال بعضهم كالإمام ابن تيمية :أن الله يخلق الأشياء بالأسباب لا كما يقول أتباع جهم أنه يفعل عندها لابها.أــ هــ مج الفتاوي 486/8

فأنت تراه غفر الله له يتكلم في معرض البحث العقدي ،وهو يعلم أن الأشاعرة ينكرون استعانة الله بخلقه ، وأنهم كانوا يردون على المخالفين القائلين بأن الله يخلق بواسطة ، فيعترض مثل هذا الاعتراض الذي يعلم كل منصف أنه اعتراض في غيرمكانه .

أخيراً : فنعم يجوز أن يستخدم الشخص اللفظ الوارد في القرآن على نفس المعنى المقصود في القرآن ،لأن المعنى المقصود في القرآن على معتقدالأشاعرة إنما هو مجرد الربط العادي بلا تأثير بل على وجه السببية فقط ، وليس الاستعانة ولا الوساطة ومن رجع إلى تفاسير القرآن التي كتبها الأشاعرة ،وهي أكثر التفاسير لوجد ذلك جلياً ،ووجد أن من يدعي أنهم ينكرون العمل بالأسباب هو ادعاء باطل لاصحة له . قال : أبو حيان في تفسيره البحر المحيط {فأخرج به} : والهاء في به عائدة إلى الماء ، والباء معناها السببية . فالماء سبب للخروج ، كما أن ماء الفحل سبب في خلق الولد ، وهذه السببية مجاز ، إذ الباري تعالى قادر على أن ينشىء الأجناس ، وقد أنشأ من غير مادة ولا سبب ، ولكنه تعالى لما أوجد خلقه في بعض الأشياء عند أمر ما ، أجرى ذلك الأمر مجرى السبب لا أنه سبب حقيقيّ . ولله تعالى في إنشاء الأمور منتقلة من حال إلى حال حكم يستنصر بها ، لم يكن في إنشائها دفعة واحدة من غير انتقال أطوار ، لأن في كل طور مشاهدة أمر من عجيب التنقل وغريب التدريج تزيد المتأمل تعظيماً للباري .

وقال :أبوحيان في تفسيره عندقوله تعالى {فأخذتهم الرّجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين }

وأما {فأهلكوا بالطاغية } فالباء فيه للسببية أي أهلكوا بالفعلة الطاغية وهي الكفر أو عقر الناقة والطاغية من طغى إذا تجاوز الحدّ وغلب ومنه تسمية الملك والعاتي بالطاغية وقوله

{ إنا لما طغى الماء } وقال تعالى : { كذبت ثمود بطغواها } أي بسبب طغيانها حصل تكذيبهم ويمكن أن يراد بالطاغية الرّجفة أو الصّيحة لتجاوز كل منهما الحدّ .أنتهى كلامه رحمه الله [277]

إذن : كل ما ينكر عليهم دعاوى زائفة، تقطع عن موارها ، وعن أسبابها ، وعن سياقها،وسباقها.

3ــ معتقد طوائف أهل السنة ومنهم الحنابلةأن السبب معرف لا مؤثر ،وهذا يبحث في العقيدة وأصــول الفقــه ،بخلاف الإمام ابن تيمية فقد خالف مذهب الحنابلة وسائر أهل السنة فقال: أنه مؤثر كما في مـــج الفتــاوى 8/ 485. أما الحنابلة فقال الإمام يوسف بن عبدالهادي الحنبلي (ابن مبرد):مما استعير له السبب شرعاً :العلة الشـــرعية

[277] تفسير البحر المحيط (385/5)

الكاملة ،وسُميت سبباً،لأن علتها ليست لذاتها ،بل بنصب الشارع لها ،فأشبهت السبب وهو ما يحصل الحكم عنده لابه .أ ـــ هـــ[278] وجاء في مختصر التحرير: في تعريف السبب ..فيوجد الحكم عنده لابه.[279]

وجاء في التحبير شرح التحرير للمرداوي:و لا شك أن الأسباب معرفات إذ الممكنات مستندة إلى الله تعالى ابتداء عند أهـــل الحق.أ ـــ هـــ [280] فتأمل في قوله عند أهل الحق.

نتيجة : 1ـــ إذا كان هؤلاء الأخوة كالحوالي وغيره ينفون أن يكون العبد خالقاً لفعله استقلالاً أو معاونة :فلا معنى لقولهم أنه مؤثرلأن كلامهم هذا متناقض ومخالف لاصطلاح أهل العلم بالعقائد فهو مجرد تشغيب ليس إلا ،أما إن كانوا في الواقع يعتقدون أنها مؤثرة بقوة أودعها الله فيها فإذن هم على هذا قد أثبتوا للأسباب تأثيراً في مسبباتها، لكن لا بذاتها بل بما أودعه الله تعالى فيها من القوى الموجبة . فالمطلوب الآن مالمقصود بهذا التأثير ، وماوجه كونها موجبة للتأثير ؟ وهذا الواجب على من؟!!

2ـــ إذا كانوا ينفون احتياج الله لواسطة في أفعاله فلا معنى لتشغيبهم على أهل السنة الذين ينفـــون ذلـــك وينفـــون احتياجه لها أو توقف أفعاله عليها .ولكن قول الإمام ابن تيمية : كما خلق جميع المسببات والمخلوقات بوســـائط ، وأسباب ،فهذا حق [281].أ ـــ هـــ فيه إثبات الوسائط بين الله ومخلوقاته وهذه نقطة خلاف حقيقي بلا ريب.

3ـــ إذا كانوا يؤمنون بأن للقدر سر لا يمكن تفسيره كما ورد ((أن القدر سر الله في خلقه))فلا داعي لقولهم أن الأشاعرة لا يقدرون على فهم ذلك أو إفهامه لغيرهم، لأنه لا قدرة على ذلك كما لا قدرة على بيان حقيقة الصفات، أو حقيقة الذات الإلهية، أو حقائق الأمور الغيبة .

4ـــ إذا كانوا يؤمنون بأنه لايلزم وجود الفعل، بل هو ممكن فقط ،ولذا فيمكن أن يقع ويمكن ان يتخلف .فيجب أن يتخلوا عن قولهم : إذا وجد الداعي التام والقدرة التامة لزم وجود الفعل. لأن الفعل لا يلزم وجوده بل يمكن تخلفـــه ويمكن وجوده .ونحن نرى في حياتنا وجود الداعي التام والقدرة التامة ثم لايقع الفعل بلا سبب بل بمحض إرادة الله أن لا يقع ،ولا مكره له سبحانه وتعالى ، فالفرق دقيق جداً وهو أن أهل السنة يقولون يجوز أن يقع ولا يجب أن يقع لأنه لا يجب على الله شيء.

استشكال الكاتب لمسألة العلة الغائية :

ينفي الأشاعرة قطعاً أن يكون لشيء من أفعال الله تعالى علة مشتملة على حكمة تقضي إيجاد الفعل أو عدمه ، وهذا نص كلامهم تقريباً ، وهو رد فعل لقول المعتزلة بالوجوب على الله حتى أنكر الأشاعرة كل لام تعليل في القرآن وقالوا إن كونه يفعل شيئاً لعلة ينافي كونه مختاراً مريداً ، وهذا الأصل تسميه بعض كتبهم " نفي الغرض عن الله " ويعتبرونه من لوازم التنزيه ، وجعلوا أفعاله تعالى كلها راجعة إلى محض المشيئة ولا تعليق لصفة أخرى – كالحكمة مثلاً – بها ، ورتبوا على هذا أصولاً فاسدة كقولهم بجواز أن يخلد الله في النار أخلص أوليائه ويخلد في الجنة أفجر الكفار ، وجواز التكليف بما لا يطاق ونحوها. وسبب هذا التأصيل الباطل عدم فهمهم ألا تعارض بين المشيئة والحكمة أو المشيئة والرحمة ، ولهذا لم يثبت الأشاعرة الحكمة مع الصفات السبع واكتفوا بإثبات الإرادة مع أن الحكمة تقتضي الإرادة والعلم وزيادة حتى أن من المعاصرين من أضافها مثل سعيد حوى .

---

[278] شرح غاية السول 178ص.

[279] مختصر التحرير تحقيق محمد رمضان.ص87

[280] التحبير 3/ 1063، وأصول ابن مفلح (727/3) .

[281] مج الفتاوي /389

الجواب : قول الكاتب هداه الله : (ينفي الأشاعرة قطعاً أن يكون لشيء من أفعال الله تعالى علة مشتملة على حكمة تقضي إيجاد الفعل أو عدمه ، وهذا نص كلامهم تقريباً)

هذا باطل وخلط بين الأمور فنأخذها مسألة مسألة حتى نتبين مرادهم رحمهم الله تعالى :

1ــ تعريف العلة الغائية : هي الغرض الذي يقوم في ذهن الإنسان ويتجه إلى تحقيقه فيدفعه وذهنه هو العلة لتحقيق لتلك الوسائل والأسباب .ومن أجل أن هذا الغرض هو في الحقيقة غاية يستهدفها الإنسان عند مباشرته للأسباب ، يطلق عليه العلماء اسم :العلة الغائية .ومن شأن هذه العلة أنها في الوجود الذهني تكون سابقة على القيام بالوسائل والأسباب ، وأما في الوجود الخارجي والحقيقي فتأتي متأخرة عنها .[282]إذا تبين لك هذا فإن معنى نفيهم للتعليل أو الغرض الباعث: وما نقل عن الثقات أنها غير معللة معناه غير معللة بما يرجع نفعه إلى الله تعالى، إذ العرف أن يقال: إني ما فعلت هذا لغرض أو علة، أي بما يرجع نفعه إلي، لا

أنه ما فعله لمصلحة أصلاً، انتهى.[283] وتفسير الرازي لسورة الذاريات (ومما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون))

فقول أن الله له غرض يبعثه أو يدفعه سبحانه وتعالى إلى فعل الأشياء هو قول باطل فإن التعليل بالأغراض: إما أن يرجع إلى الله تعالى ،وعلى هذا: فإما أن يعتقد الشخص معتقد الفلاسفة في ذلك ،فيقول إن الغرض الباعث له على الفعل قديم أزلي وأفعاله تعالى بالإيجاب العقلي وهذا كفر . أو يقال أنه حادث غير أزلي ولكن لابد أن يكون له دافع أو باعث أو ما يسمى بالعلة التي تسوقه سبحانه لفعل الأفعال وهذا باطل لأنه تنقص لله تعالى .وإما أن يتبنى قول المعتزلة بقولهم :يتوجب من الخالق سبحانه وتعالى مراعاة الصلاح والأصلح عقلاً وهذا باطل أيضاً لأن الله سبحانه وتعالى لا يجب عليه شيء بل الأمر له تعالى يتصرف في ملكه كما يريد .قال الإمام السنوسي في شرح الجزائرية :قالوا: لا شك أن التعليل بالأغراض مستحيل في حقه تعالى مطلقاً، سواء كان الغرض راجعاً إليه تعالى أو إلى خلقه.أما وجه استحالة الغرض الراجع إليه تعالى فلأنه إن كان ذلك الغرض الباعث على الفعل قديماً وجب قدم العالم ولزم كون أفعاله تعالى بالإيجاب العقلي كما هو مذهب الفلاسفة أبعدهم الله تعالى.وإن كان الغرض حادثاً يتصف به عند إيجاد الأفعال لزم نقصه تعالى في ذاته وكونه مستكملاً بتحصيل ذلك الغرض، وهذا باطل.وأما وجه استحالة التعليل بالغرض الراجع إلى خلقه فهو أنه لا يجب عليه إيصال غرض إلى شيء من مخلوقاته، إذ لا يجب عليه تعالى مراعاة صلاح ولا أصلح بل ذلك محض فضل منه تعالى.أ ـــ هـــ [284]

فليس فعله لغرض ولا أحكامه لغرض بل ذلك محض فضل منه أو عدل منه،فما فعل الله لعباده من الإحسان

والصحة والسلامة والإيمان والهداية واللطف، فتفضل منه، ولو لم يفعل ذلك لكان جائزاً، وليس على الله واجب.

[282] كبرى اليقينيات الكونية 145
[283] نفس المصدر 162
[284] شرح الجزائرية للإمام السنوسي

قال الإمام :محمد بن عبدالكريم الشهرستاني : مذهب أهل الحق أن الله خلق العالم ...

لا لعلة حاملة له على الفعل سواء قدرت تلك العلة نافعة له أو غير نافعة له إذ ليس يقبل النفع والضر (سبحانه) أو قدرت تلك العلة نافعة للخلق إذ ليس يبعثه على الفعل باعث ..أ ـــ هـــ [285]

2ـــ مسألة نفيهم للحكمة: وهذا غير صحيح ،قال الإمام اللقاني في شرحه على الجوهرة: وليس فيه ما يرد على مذهب الأشاعرة إذ يقولون بالحكمة والمصلحة في نفس الأمر، لأنهم يمنعون العبث في أفعاله تعالى، كما يمنعون الغرض، ولذلك كان التعبدي من الأحكام ما لم نطلع على حكمته لا ما لا حكمة له، انتهى قول اللقاني.

قال الإمام بهاء الدين : والأشاعرة لا ينكرون كون فعل الله تعالى متضمناً لحكم ومصالح، وإن أنكروا كون أفعال الله معللة بالأغراض .[286]

ثانياً : لام التعليل كقوله تعالى ((وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون)) فتسمى بلام العاقبة أي أن عقبى خلقي لهم أن يعبدون أو لام العلة الجعلية لا العلة الحقيقية . ولكن هل عبادتهم لله هي غرض أو علة دفعت الله سبحانه وتعالى لخلقهم أم أنه محض فضل عليهم وتشريف لهم ؟الجواب أنه الثاني ولذا جاء في الحديث القدسي ((يا عبادي لو أن أولكم وأخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل مازاد ذلك في ملكي شيئاً)) إلى أن قال ((إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني)).

تنبيه:قال الشيخ : محمدسعيد البوطي: وليس من ضير أن تستعمل لام التعليل في الكلام عن أفعال

المخلوقات ،ولاضير أن تستعمل أنت ذلك في كلامك عن خلق الله وترتيبه الأشياء على بعضها ،ولكن المحظور أن تفهم من لام التعليل الدلالة على ثبوت العلة الباعثة أو الغائية في حق

الله تعالى.أ ــ ه[287]ــ فنفي التعليل والحكمة الدافعة عن أفعال الله معناه:أنه لايبني أفعاله عليهما لأن ذلك شأن المفكر ين في عواقب الأمور وهذا يجب تنزيه الله تعالى عنه.

هل يجب بدليل العقل على الله أن يثيب المطيع ويعذب العاصي

قال الكاتب: ورتبوا على هذا أصولاً فاسدة كقولهم بجواز أن يخلد الله في النار أخلص أوليائه ويخلد في الجنة أفجر الكفار ، وجواز التكليف بما لا يطاق ونحوها

[285] نهاية الإقدام ص222 القاعدة الثامنة عشرة.

[286] شرح خير القلائد ص160

[287] كبرى اليقينيات الكونية ص146،

عند أهل السنة من الأشاعرة وغيرهم أن لله إذا عذب أحداً فبمحض العدل ،لأن الله لا يجب عليه شيء ولا يظلم أحداً.والمسألة تأتي على جهتين :

من جهة العقل : فلا يجب على الله شيء خلافاً للمعتزلة الذين يوجبون على الله فعل الصلاح والأصلح.

بينما أهل السنة ومنهم الأشاعرة فيقولون لا يجب عليه سبحانه وتعالى ،بل هو جائز فقط.

من جهة الشرع: فإن الله أوعد الكفار بالنار ،والمتقين بالجنة ، والعصاة من المؤمنين تحت المشيئة ولا يخلف الله وعده. قال الباجوري : معنى العدل المحض وضع الشيء في محله من غير اعتراض على الفاعل. والظلم هو وضع الشيء في غير محله مع الاعتراض على فاعله وهذا رد على المعتزلة القائلين: بوجوب تعذيب العاصي، لقولهم بوجوب إثابة الطائع. وبنوا ذلك على قاعدتهم. من أن العبد يخلق أفعال نفسه الاختيارية التي منها الطاعة والمعصية، وأما أهل السنة فقاعدتهم: أن الله تعالى هو الخالق للأفعال كلها، ومنها الطاعة والمعصية. وبنوا على ذلك أن الإثابة بالفضل والتعذيب بالعدل، وليسا بواجبين عليه تعالى. وبالجملة فهو سبحانه لا تنفعه طاعة ولا تضره معصية. فليست الطاعة مستلزمة للثواب وليست المعصية مستلزمة للعقاب، وإنما هما أمارتان عاديتان تدلان على الثواب لمن أطاع، والعقاب لمن عصى. حتى لو عذب الله المطيع وأثاب العاصي، بأن جعل الطاعة أمارة على العذاب والمعصية أمارة على الثواب لكان منه ذلك حسناً سبحانه، لا يسأل عما يفعل، وهذا كله بحسب العقل، وأما بحسب الشرع: فلا يجوز خُلف الوعد، لأنه سفه، وهو يستحيل عليه سبحانه . وأما الوعيد فهو في حق الكفار واقع لا محالة، لقوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ}. أما في حق المؤمنين فواقع في بعضهم لورود الأخبار بذلك، ثم يخرجون من النار، فلا يبقى فيها موحد، فتظل لأصحابها الطغاة الفجرة، الذين استكبروا في أنفسهم وعتوا عتواً كبيراً.أنتهى كلامه رحمه الله[288]

دعوى الموجان أن الأشاعرة لا يثبتون لله الفعل.

الرد على الموجان : قال الموجان : الأشاعرة لم يثبتوا أصلاً أفعالاً لله حتى يثبتوا لها حكمة بل فعله عندهم مفعوله .أ ـ هـ [289] هكذا قال !! فياأخي الكريم دع عنك العقائد إن كنت لا تدري عن مذاهب الناس .فالله فاعل ، والخلق فعل ،والموجان مفعول أي مخلوق.لا أحد ينكر ذلك لا الأشاعرة ولا الماتردية ولا أصحاب الحديث . . ولا أدري ما ذا تفهم حين تراهم يعرفون التوحيد أنه: إفراد المعبود بالعبادة مع اعتقاد وحدته والتصديق بها ذاتاًوصفات وأفعالاً . أ ـ هـ [290] يوحدونه في أفعاله فلا شريك له، ألم تسأل نفسك عن أفعاله؟! وحدانية الله في أفعاله هي أن تنفي أن يكون هنالك قسيم لله تعالى أو شريك له في أفعاله. بل الله تعالى هو المتفرد بالإيجاد والإعدام .والأفعال كلها لله تعالى. وما يظهر من الأفعال على يد المخلوقات إنما هو كسب لهم، والله تعالى وحده هو الفاعل . ومنه تعلم أن فعله ليس مفعوله.وانظر

---

[288] تهذيب شرح الجوهرة شرح البيت رقم (50).

[289] الرد الشامل:168

[290] شرح الجوهرة للباجوري 38

ذلك في شرح الجوهرة للباجوري .والاعتقاد والهداية .قال الباجوري ــ في معنى الوحدانية في الأفعال ــ :الكم المنفصل في الأفعال وهو أن يكون لغير الله فعل من الأفعال على وجه الإيجاد ،وإنما ينسب الفعل له على وجه الكسب والاختيار وهذا الكم منفي بوحدانية الأفعال ....وأما الكم المتصل فإن صورناه بتعدد الأفعال فهو ثابت لايصح نفيه ،لأن أفعاله كثيرة من خلق ورزق وإحياء وإماتة إلى غير ذلك ،وإن صورناه بمشاركة غير الله له في فعل من الأفعال ،فهو منفي أيضاً بوحدانية الأفعال. أ ــ هــ [291] فعسى في هذا إيقاظ . وهنا همسة أخرى للأخ الموجان فقوله : معلوم أن الفلاسفة نفاة للحكمة فهم موافقون للأشاعرة في هذا فهذا الإلزام صالح لهم.أ ــ هــ [292] لعله تبين لك فساد فهمك لمذهبهم .

ثالثاً : قول الكاتب: لم يثبت الأشاعرة الحكمة مع الصفات السبع واكتفوا بإثبات الإرادة مع أن الحكمة تقتضي الإرادة والعلم وزيادة.

الجواب: أن الحكمة تأتي تبعاً لأفعاله وأحكامه جل شأنه ،وليست باعثاً أو دافعاً كما مر بيانه . وهذا لاينافي أن أفعاله تعالى لا تخلو عن الحكم والمصالح .

قال شيخ الإسلام مصطفى صبري: أما القول باستلزام كون أفعال الله تعالى عبثاً واتفاقاً إذا لم تعلل

بالأغراض والعلل الغائية ،فوهم محض منشأه كون القائلين بهذا يقيسون الله تعالى على أنفسهم أي على

الإنسان الذي لا يعمل إلا بالمرجح والعلة الغائية فإن لم يعمل بذلك كان عبثاً واتفاقاً . وكان حسبهم في نفي هذا القياس أن الله لايحتاج إلى التأمل والتفكر . أ ــ هــ [293]

وذكر قاعدة عظيمة فقال: نحن ننفي التعليل بالغايات ولا ننفي الغايات والعلم بها.[294] وبهذا تعلم فساد تقريرات الموجان في كتابه وكذا الحوالي،والمحمود الذي ينقل عنه الموجان ، لسبب بسيط جداً أن هؤلاء كلهم لا يرجعون إلى كتب الأشاعرة لمعرفة معتقدهم بل يأخذونه من كتب الإمام ابن تيمية وهذا غلط كبير .

الخلاصة : 1ــ أن الله لا يدفعه إلى أفعاله دافع ولا يبعثه دوافع ولا له أغراض لأنه الكامل جل شأنه ،بل الحكمة تأتي تبعاً لأفعاله .و؛وله يدندن أهل السنة كافة من الأشعرية وغيرهم قال الإمام تقي الدين السبكي في رده على ابن تيمية في مسألة فناء النار فان قلت: ما في خلق هؤلاء من الحكمة؟ قلت :اظهار القدرة واعتبار المؤمنين وفكرتهم في عظمة الله تعالى القادر على ان يخلق الملائكة والبشر الصالحين والأنبياء ومحمداً صلى الله عليه وءاله وسلم سيد الخلق ،وعلى أن يخلق من الطرف الآخر فرعون وهامان وأبا جهل وشياطين الجن والانس وابليس رأس الضلال ،والقادر

[291] شرح الجوهرة 152،153،وانظر أيضاً حاشية ابن الأمير 140،والاعتقاد والهداية للبيهقي 52
[292] الرد الشامل 170
[293] موقف العقل والعلم من رب العالمين .ص3
[294] موقف العقل والعلم من رب العالمين ص17 وأنظر كبرى اليقينيات الكونية 149

على خلق دارين متمحضة كل واحدة منهما هذه للنعيم المقيم ، وهذه للعذاب الأليم ، ودار ثالثة وهي الدنيا ممتزجة من النوعين فسبحان من هذه قدرته وجلت عظمته وكان الله سبحانه قادراً أن يخلق الناس كلهم مؤمنين طائعين ولكن أراد سبحانه أن يبين الشيء وضده عمله من عمله وجهله من جهله, والعلم منشأ السعادة كلها نشأ عنه الايمان والطاعة, والجهل منشأ الشقاوة كلها نشأ عنه الكفر والمعصية وما رأيت مفسدة من أمور الدنيا والآخرة تنشأ إلا عن الجهل فهو أضر الاشياء.أ ـــ هـــ كلام السبكي.[295]وهنا يتبين للقارىء اللبيب أن جميع أهل السنة قائلون بالحكمة في أفعال الله ، ولكنها حكمة تتبع أفعاله ولا تسوقه جل شأنه وتقدست أسماءه .وبه تتبين خطأ الكاتب وغيره ممن سبقه ،ومن لحقه.

2ــ جاء في تفسير الرازي[296] كلام أسوقه باختصار وتصرف غير مخل ، حاصله أن التعليل على

قسمين : القسم الأول : تعليل لفظي ويسمونه (جعلي) أي وضع جعلوه للإفهام ،وهذا هو الوارد في الآيات والآحاديث ، ويتسامح الناس في إطلاقه على أفعال الله .

الثاني: تعليل معنوي (حقيقي) : وهو وجود دوافع وعلل تدفع الله لأن يفعل الأشياء ،وهو التعليل المصطلح عليه عند أهل العقائد ، فهذا هو الذي يعتقد أهل السنة تنزيه الله عنه ، بخلاف المعتزلة ومن شايعهم .

3ــ أن المعتزلة جزموا بالغرض الباعث والتعليل بمعناه المعنوي الاصطلاحي استناداً إلى أن اللام المتصلة بالأفعال التي يفعلها الله كقوله تعالى ((إلا ليعبدون)) ، ((ليبلوكم)).

وجواب ذلك بما سبق من التقسيم ، بأصل يتمسك به أهل السنة وهو أن الله له الكمال المطلق فينزه عن

الأغراض البا عثة لعدم احتياجه لشيء ولذا قال تعالى ((ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون

))فدفع عن السامع توهم الغرض الباعث له عز وجل ونحوها من الدوافع .

4ــ وأما قطعهم بكون اللام تفيد التعليل بالمعنى الباعث ، فهو مردود لأن اللام قد تأتي بمعنى أخر مثل المقارنة كقوله تعالى ((أقم الصلاة لدلوك الشمس)) أي عند دلوكها ، فكذا يكون المراد أن الله خلق الخلق مقترن ذلك بفرض العبادة عليهم .

5ــ الأشاعرة لا ينفون التعليل بالمعنى الوضعي اللفظي ، وإنما ينفونه بالمعنى المستحيل على الله كما سبق وشاهد ذلك ما جاء في تفسير الرازي بقوله في تفسير ((ليعبدون)) فقال الرازي: {وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا } وقال { إلا

---

[295] الاعتبار ببقاء الجنة والنار .

[296] تفسير الرازي لسورة الذاريات قوله تعالى { وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون } والآية التي بعدها.

ليعبدون } علل جعلهم شعوباً بالعارف ، وهنا علل خلقهم بالعبادة . أ ـــ هـــ [297] وشاهده ايضاً : ما قال الصاوي في حاشيته على تفسير الجلالين عند قوله تعالى { ليقوم الناس بالقسط } قال: علة لإرسال الرسل وإنزال الكتاب والميزان .[298] مع أنهما كسائر أهل السنة ينزهون الله عن التعليل بالأغراض الباعثة .

استشكال الكاتب لمسألة النبوات

قال الكاتب: يختلف مذهب الأشاعرة عن مذهب أهل السنة والجماعة في النبوات اختلافاً بعيداً ، فهم يقررون أن إرسال الرسل راجع للمشيئة المحضة – كما في الفقرة السابقة – ثم يقررون أنه لا دليل على صدق النبي إلا المعجزة ، ثم
يقررون أن أفعال السحرة والكهان من جنس المعجزة لكنها لا تكون مقرونة بادعاء النبوة والتحدي ، قالوا : ولو ادعى الساحر أو الكاهن النبوة لسلبه الله معرفة السحر رأساً وإلا كان هذا إضلالاً من الله وهو يمتنع عليه الإضلال ... إلى آخر ما يقررونه مما يخالف المنقول والمعقول ، ولضعف مذهبهم في النبوات مع كونها من أخطر أبواب العقيدة إذ كل أمورها متوقفة على ثبوت النبوة أغروا أعداء الإسلام بالنيل منه واستطال عليهم الفلاسفة والملاحدة .
إلى أن قال :
أما في موضوع العصمة فينكرون صدور الذنب عن الأنبياء ويؤولون الآيات والأحاديث الكثيرة تأويلاً متعسفاً متكلفاً كالحال في تأويلات الصفات.

الجواب : يدعي الكاتب ــ هداه الله ـــــــــ أن جمهور علماء أهل السنة والجماعة (الأشاعرة) مخالفون لأهل السنة والجماعة في النبوة ثم ذكر البراهين على دعواه وهي كالتالي:

الأول : ، قال الكاتب :(فهم يقررون أن إرسال الرسل راجع للمشيئة المحضة)!!

هذا أول برهان للكاتب على مخالفة الأشاعرة .

واعلم أخي القارئ أن مذاهب الناس في هذه المسألة ثلاثة مذاهب:

1ــ أن إرسال الرسل هو محض فضل من الله ولا يلزم الخالق سبحانه وتعالى أن يرسل الرسل لأن أفعاله مبنية في عقيدة السني الصادق على أن أفعاله تعالى بالاختيار وليس بالإجبار .[299]

2ــ قول الفلاسفة والمعتزلة أن الله يجب عليه أن يرسل الرسل فاتفقوا على الوجوب وزادت الفلاسفة بالإيجاب . أما المعتزلة فقد قالوا بالوجوب، ابتناء على ما أصُلوه من عند أنفسهم، وهو أنه يجب على الله تعالى فعل الصلاح والأصلح.

وأما الفلاسفة فبنوا الوجوب على قولهم بالتعليل أو الطبيعة فقالوا: يلزم من وجوده تعالى وجود العالم بالتعليل، بأن يكون سبحانه علة العالم، أو بالطبع، ويلزم من وجود العالم وجود من يصلحه. ويرد هذا أنه سبحانه فاعل بالاختيار لا بطريق الإجبار.

3ــ السمنية والبراهمة ونحوهم أنه مستحيل !!قالوا لأن إرسال الرسل عبث لا يليق بالحكيم لأن العقل يغني عن الرسل فإن الشيء إن كان حسناً عند العقل فعله وإن كان قبيحاً تركه وإن لم يأت الرسل .[300]

الثاني: قال الكاتب :(يقررون أنه لا دليل على صدق النبي إلا المعجزة)

---

[297] تفسير الرازي لسورة الذاريات قوله تعالى { وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون } والآية التي بعدها.
[298] حاشية الصاوي 4/ 299 تفسير سورة الحديد .
[299] شرح الجوهرة 278
[300] تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد 282

1ــ وهذا باطل بل المعجزة دليل صدقه في دعوى الرسالة وفي الأحكام الشرعية وأما دليل صدق الرسل فهو استحالة الكذب عليهم لعصمتهم ومن أقوى الأدلة على صدقهم الأمانة وهي حفظهم باطناً وظاهراً من التلبس بما نهى الله عنه وضد الأمانة الخيانة وهي مستحيلة في حقهم عليهم الصلاة والسلام .[301]

الثالث: قال الكاتب: (ثم يقررون أن أفعال السحرة والكهان من جنس المعجزة لكنها لا تكون مقرونة بادعاء النبوة والتحدي)

وهذا باطل لأمور :الأمر الأول: لأن السحر على المعتمدعند الأشاعرة وغيرهم من أهل السنة ليس من الخوارق ، لأنه معتاد عند تعاطي أسبابه ، بينما معجزات الرسل ليست بتعاطي الأسباب كما تقول الفلاسفة ، بل المعجزة تأييد من الله للرسل في دعوى الرسالة .[302]

الأمر الثاني:لو سلمنا أن السحر من خوارق العادات فإن معجزات الأنبياء مقرونة بالتحدي من الله سبحانه وتعالى ،نازلة منزلة قوله صدق عبدي وهو رسولي حقاً. فكيف يؤيد الفاجر الكاذب المدعي للنبوة بما يؤيد به الأنبياء؟!فكأنه يقول صدق الساحر في كونه نبياً وهذا محال .[303]

الأمر الثالث: والقول الوجيز أن ادعاء أن كل مقدور لله تعالى يمكن تحصيله بالسحر هو باطل قطعاً واستحالته معلومة بالضرورة ، بينما معجزات الرسل يؤيدهم الله بها مهما بلغت، كإحياء الموتى وانشقاق القمر ، وغيرها مما أيد الله بها رسله.

قال الكاتب: : (ولو ادعى الساحر أو الكاهن النبوة لسلبه الله معرفة السحر رأساً وإلا كان هذا إضلالاً من الله وهو يمتنع عليه الإضلال ... إلى آخر ما يقررونه مما يخالف المنقول والمعقول)

الجواب: قولك أن ذلك خلاف المعقول والمنقول باطل فكلنا علم بما حصل لمسيلمة على وجه الإهانة فقد أهانه الله فكلما طلبوا منه تحقيق معجزة أنقلبت ضدها تفل في عين الأعور فعميت الثانية وتفل في البئر فأصبح ماءها أجاجاً وغير ذلك مما لايخفى .

وأما المعقول فلأن تحقيق خوارق العادات على أيدي السحرة أو غيرهم بعد دعوى النبوة فيه إلتباس النبوات الصادقة بالدعاوى الكاذبة .

وأما ما يحصل من خوارق الدجال في أخر الزمان فإنه خارج عن ذلك لأنه في زمان نقض العادة ،فما يقع للدجال ،وخروج الشمس من مغربها، والدابة ،ونحو ذلك ،كلها في زمان علامات الساعة الكبرى وهي تأتي متتابعة كخرز السبحة ،فشتان بين هذا وبين ساحر يأتي قبل زمانهم .

بل لو استثني حال الدجال من عموم حد المعجزة لكان جيداً فإن الجهل طم وعم وأصبح الجهال من أدعياء العلم لا يفهمون حتى القطعيات ، فالأفضل للإيضاح وإزالة اللبس أن يستثنى حال الدجال بالأدلة الشرعية السمعية ويبقى غيره على عمومه وهذا حاصل في بعض مؤلفات الأشاعرة .

---

[301] تحفة المريد ص285 و282
[302] تحفة المريد 313.
[303] مختصراً من كتاب الاقتصاد في الاعتقاد للإمام الغزالي

الرسالة الثانية :في تدعيم ثوابت الصحوة الإسلامية من هم أهل السنة؟ تأليف :غيث بن عبدالله الغالبي

ـ مصر - الأحد 29/ رمضان المعظم /1427 هـ 22/ 10/ 2006 م

قال الكاتب : (ولضعف مذهبهم في النبوات مع كونها من أخطر أبواب العقيدة إذ كل أمورها متوقفة على ثبوت النبوة أغروا أعداء الإسلام بالنيل منه واستطال عليهم الفلاسفة والملاحدة).

الجواب: أن هذا غير صحيح إطلاقاً . فلم يوقف الباطنية والفلاسفة ويرد الناس إلى الحق ويجلي الشبهات إلى اليوم حتى أصبحت كتبهم مرجع لكل عالم مسلم يناظر الفلاسفة والكفرة مثل الأشاعرة ومن كتبهم في ذلك : كتاب تهافت الفلاسفة[304] وفضائح الباطنية للغزالي وكتاب المطالب العالية للإمام الرازي وكتاب شرح المقاصد للتفتازاني وشرح المواقف للعضد،غيرها كثير . وفي زماننا كتاب يغالطونك إذ يقولون وكتاب كبرى اليقينيات الكونية وكتاب النظرية الجدلية للشيخ البوطي وكتاب كواشف زيوف ، وصراع مع الملاحدة ، والعقيدة الإسلامية لعبدرحمن حبنكة ،وغيرها كثير.

و لم يصمد أمام الفلاسفة في زماننا وكذا الماركسيين وغيرهم مثل علماء الأشاعرة وإن كنت لا أنكر جهود للأخرين من مشايخ المسلمين حتى من المعتزلة، والإباضية ،والأتقياء من أهل الصحوة .

قال الكاتب: (أما في موضوع العصمة فينكرون صدور الذنب عن الأنبياء)

نعم فالأشاعرة وسائر أهل السنة والجماعة يقولون بأن الأنبياء معصومون من الكفر بالله، ومن الوقوع في الذنوب ، وهي على قسمين :

كبائر : كشرب الخمر واللواط ونحوها .

صغائر : كسرقة لقمة أورقص وغناء ولو جاز عليهم ذلك قبل أو بعد النبوة لعدمت الثقة بهم .

وكل ما يظنه أهل الظنون ذنباً لأحد منهم ،كاتهام يوسف عليه السلام بالهم بالزنا ،أو اتهام موسى بالقتل ،أو اتهام إبراهيم بالشرك ،فكلها ليس على ما يفهمه القاصرون .

1ــ فأما يوسف عليه السلام فاتهمه الملاحدة بالشروع في الزنا وهذا باطل :

قال تعالى ((وهم بها لولا أن رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين))إذن فهذه جملة أتت بعد وقف تام والوقف كان على ولقد همت به .

فيكون المعنى هو على ظاهر الآية أي أنه لما رأى برهان ربه لم يهم بها .((وهم بها لولا أن رأى برهان ربه))

القول الثاني : أنه مجرد ميل بشري لا تصميم ولا قصد معه لفعل الزنا ثم جاهد نفسه فدفع ذلك وهذا ممكن لأن الله يباهي بالشاب الذي بهذه الصفة ويظله في ظله قال تعالى ((وأما من خاف مقام ربه ونهى

---

[304] بعد أن ألف الغزالي " مقاصد الفلاسفة " شرح فيها أقوال الفلاسفة خاصة ابن سينا والفارابي، ألف هذا الكتاب ليبين المسائل التي ليس الخلاف فيها بين العقيدة الإسلامية والفلسفة لفظياً بل ما يسبب بدعة أو كفراً، وقد ناقش عشرين مسألة مثل أزلية العالم وأبديته والاستدلال على وجود الله وعلمه سبحانه بجميع الجزئيات وخرق العادات وفناء النفوس البشرية وبعث الأجساد وغيرها. واعتبر العلماء هذا الكتاب ضربة قاضية لاستكبار الفلاسفة وادعائهم التوصل إلى الحقيقة في المسائل الغيبية بعقولهم، وهو تراث فلسفي عظيم فضلاً عن أنه تراث بقلم حجة الإسلام الغزالي.

النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى))[305] ومن الأصناف السبعة اللذين يظلهم في ظل عرشه يوم القيامة.

2ــ وأما موسى فيتهمونه بالقتل وهو باطل .لأ نه لم يقصد القتل وإنما فعل عملاً صالحاً، وهو دفع الظالم عن المظلوم ،فسقط ذلك الظالم ومات بأجله ،و لم يقصد الكليم عليه السلام أن يكون من القتلة المجرمين .

3ــ واما إبراهيم عليه السلام في قوله ((هذا ربي)) للأفلاك من شمس ونحوها فمراده إلزامهم بالحجة على أنها لا تصلح أن تكون الآهة وكان قومه من عبدة الأفلاك . فبرهن لهم كونها لا تستحق أن تكون خالقاً لأنها تتغير من حال إلى حال وهذا التغير يدل على أنها محدثة لأنه حال الناقص لا الكامل.

4ــ وحكم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في أسرى بدر فإنه اجتهاد وليس قصده معصية الله كما يظن أهل الظنون .مع أن هناك خلاف عند أهل السنة في وقوع الأنبياء في صغيرة ليس فيها خسة .

ولا أسهب في ذلك أكثر ولتعلم مباحث النبوة راجع كتب السادة الأشاعرة .[306]

أخيراً فأذكر تعريف المعجزة عند أهل السنة والجماعة من الأشاعرة وغيرهم مع ذكر بعض المعجزات أو ما يسمى بالأدلة التعجيزية التي أيد الله بها الرسل لبيان صدقهم وتعجيز أعداء الدين .

المعجزة لغة : هي من العجز وهو ضد القدرة .

واصطلاحاً : هي أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي الذي هو دعوى الرسالة أو النبوة مع عدم المعارض.

وقال الإمام السعد: هي أمر يظهر بخلاف العادة على يد مدعي النبوة عند تحدي المنكرين على وجه يعجز المنكرين عن الإتيان بمثله. وقد اعتبر المحققون فيها سبعة قيود أو ثمانية .[307]

ذكر عدد من المعجزات كل منها دليل قائم بذاته مستقل عن الأخر يدل على صدق النبوة.

قال الباجوري : عند شرح قول اللقاني: (ومعجزاته كثيرة غرر) قال: إنما وصفها بالكثرة المطلقة إيماء للعجز عن الإحاطة بها. أ ــ هــ [308]

منها القرآن الكريم ومنها أنشقاق القمر وتسليم الحجر والشجر عليه وتسبيح الحصى في كفه وحنين الجذع ورد عين قتادة وشهادة الضب له بالنبوة والإسراء والمعراج إلخ ....[309]

فالمعجزة أصل يندرج تحته أدلة كثيرة وليست المعجزة كما أوهم الكاتب هداه الله مجرد دليل

وحيد ثم قل لي بربك أليس كثير من المعجزات المذكورة مبثوث في سيرته صلى الله عليه وسلم

فتبين أن الكاتب لم ينصف كالعادة هدانا الله وإياه للحق.

استشكال الكاتب لمسألة التحسين والتقبيح

ينكر الأشاعرة أن يكون للعقل والفطرة أي دور في الحكم على الأشياء بالحسن والقبح ويقولون مرد ذلك إلى الشرع وحده ، وهذا رد فعل مغال لقول البراهمة والمعتزلة أن العقل يوجب حسن الحسن وقبح القبيح ، وهو مع منافاته للنصوص مكابرة للعقول ، ومما يترتب عليه من الأصول الفاسدة قولهم أن الشرع قد يأتي بما هو

---

[305] أنظر حاشية الإمام الصاوي على الجلالين سورة يوسف.

[306] شرح الجوهرة 278إلى 360

[307] شرح الجوهرة 310والاقتصاد في الاعتقاد مبحث النبوة وكبرى اليقينيات الكونية وهو نفيس في بابه .

[308] شرح الجوهرة 325

[309] شرح الجوهرة 330

قبيح في العقل فإلغاء دور العقل بالمرة أسلم من نسبة القبح إلى الشرع مثلاً ، ومثلوا لذلك بذبح الحيوان فإنه إيلام له بلا ذنب وهو قبيح في العقل ومع ذلك أباحه الشرع .

الجواب : في هذه الفقرة ناصر الكاتب غفر الله له مذهب المعتزلة والبراهمة في مسألة التحسين والتقبيح العقلي .وهو قول الكرامية كما سيأتي:

ولاحظ أخي الكريم كيف كان تشنيع الكاتب عليهم في الاستدلال بالأدلة والبراهين العقلية في موطن ثبت فيه الاستدلال بها وممن قال به الإمام أحمد والجمهور من أهل السنة وقد قدمنا النقل عنه مع التوثيق ، وكيف ناقض هنا وشنع عليهم إذ لم يتأسوا بالمعتزلة في تحسين وتقبيح أحكام الشريعة بالعقل .وسأذكر الآن تصوير المسألة كما هي عند العقائديين ،ثم رأي اهل السنة من الأشاعرة .

الحسن والقبح يطلقان على ثلاثة معان:

فاتفقوا على معنيين يثبتان بالعقل ولو لم يرد الشرع وهما:

الأول: أن الحسن ملائمة الغرض، والقبح منافرته فإن اللذة وما يؤدي إليها ملائم والألم وما يؤدي إليه منافر .

والثاني: هو أن الحسن صفة الكمال، والقبح صفة النقصان، ولا نـــزاع في أن هذين المعنيين ثابتان بالعقل .

وهذا يبين لك فساد قول الكاتب هداه الله حيث يقول:(ينكر الأشاعرة أن يكون للعقل والفطرة أي دور في الحكم على الأشياء بالحسن والقبح)

وإنما وقع النـــزاع فقط في أن الحسن تعلق المدح بالفعل عاجلاً والثواب آجلاً، والقبح تعلق الذم عاجلاً والعقـــاب آجلاً.فهل هذا التعلق لأجل صفة عائدة إلى الفعل أو ليس الأمر كذلك بل هو محض حكم الشرع بذلك ؟

فذهبت المعتزلة إلى أن المؤثر في هذه الأحكام هو صفات عائدة إلى الأفعال فهو ثابت بالعقل، وأن الشرع إنمـــا ورد للكشف والبيان .[310]وذهب الأشاعرة إلى أنه ثابت بالشرع مطلقاً، واحتجوا عليه بوجوه مـــذكورة في المطـــولات فتراجع .[311]وهو مذهب الإمام أحمد وأهل السنة .

قال ابن النجار بعد أن ذكر القسمين الأول والثاني وهما محل اتفاق كما سبق : فقال :والثالث إطلاق الحسن والقبح بمعنى المدح والثواب وبمعنى الذم والعقاب ،شرعي فلا حاكم إلا الله والعقل لا يحسن ولا يقبح ،ولا يوجب ولا يحرم عند الإمام أحمد وأكثر أصحابه والأشعرية قاله ابن عقيل وأهل السنة والفقهاء.[312]

---

[310] شرح الأصول الخمسة للقاضي عبدالجبار المعتزلي ص41 انظر المغني للقاضى عبد الجبار 14/16

[311] الأربعين في أصول الدين للإمام الرازي 237

[312] شرح مختصر التحرير 1/ 301

فلا يمكن أن يقال بالنسبة إلى شيء من الأفعال: هذا قبيح فلا يكون من فعله تعالى، وبالنسبة إلى شيء من أحكامه: هذا قبيح فيكون حراماً ومنهياً عنه، لأنه إنما ثبت له صفة القبح والحرمة بالنهي الوارد من جهة الشرع لا أن ورود النهي من جهته بالقبح الثابت له من جهة العقل، فيكون القبح مستفاداً من النهي، والنهي مستفاد من القبح.خالفنا في ذلك المعتزلة والكرامية والشيعة والخوارج والبراهمة والثنوية والتناسخية.

فساد كلام الموجان: ذكر الموجان رأيهم في المسألة فقال: فأهل السنة !!يرون أن التحسين والتقبيح ليس كما تقول المعتزلة عقلياً محضاً، وهو ليس كما تقول الأشاعرة شرعياً محضاً ، بل إن العقل يدرك حسن وقبح بعض الأشياء ، ولكن ما يترتب عليه من الثواب والعقاب إنما يكون من الشرع لا من العقل وبذلك فهم وسطاً بين طرفين.أ ـــ هـــ[313]

وهنا وقفات : اولها : أن هذا ليس مذهب أهل السنة كماتدعي، بل مذهب أهل السنة هو عين مذهب الأشعرية قال ابن النجار : والعقل لا يحسن ولا يقبح ،ولا يوجب ولا يحرم عند الإمام أحمد وأكثر أصحابه والأشعرية قاله ابن عقيل وأهل السنة والفقهاء.[314] فهذا هو مذهب أهل السنة هداك الله.

ثانيهما: أن مذهب ابن تيمية وابن القيم وهو الذي تنافح عنه هو أن الحسن والقبح ينشأ من ذات الأشياء. قال ابن القيم : ههنا أمران متغيران لا تلازم بينهما

أحدهما :هل الفعل نفسه مشتمل على صفة اقتضت حسنه وقبحه بحيث ينشأ الحسن والقبح منه فيكون منشأ لهما أم لا؟

والثاني أن الثواب المرتب على حسن الفعل والعقاب المرتب على قبحه ثابت بل واقع بالعقل أم لا يقع إلا بالشرع؟

إلى أن قال :

والحق الذي لا يجد التناقض إليه السبيل أنه لا تلازم بينهما ،وأن الأفعال في نفسها حسنة وقبيحة كما أنها نافعة وضاره إلى أن قال: نعم الشارع كساها بنهيه عنها قبحا إلى قبحها فكان قبحها من ذاتها ، وازدادت قبحا عند العقل بنهي الرب تعالى عنها وذمه لها وإخباره ببغضها وبغض فاعلها.

.. وأقول : تأمل في قول ابن القيم :إن كلام ابن القيم قبحها من ذاتها:هو قول الفلاسفة بالطبع لأنهم يقررون أن الأشياء متسمة بحسن أو قبح متأصلين فيها بالطبع لا بالخلق . ولتعلم أن الله هو الذي جعل الشيء فاسداً أو صالحاً أو حسناً أو قبيحاً، وليس الشيء هو الذي جعل من نفسه حسناً أو قبيحاً .والحسن والقبح في الأشياء حال اعتباري لا اضطراري يضطر الله لفعله ،ولا ذاتي ، ولذا فلو شاء الله لجعل الذي نراه حسناً قبيحاً ،مادام الكل بخلق الله تعالى وحكمه. فالله قادر على تحويل النفوس وطبائعها فلا ترى ما كانت تراه حسناً حسناً ولا ما كانت تراه قبيحاً قبيحاً ، لأن هذا إنما حدث لها بخلق الله ذلك فيها.فلو فطر الله الناس على طراز أخر من الطباع لتغيرت . ونحن من شدة إلفنا للترابط الذي خلقه الله بين الأشياء وخواصها ، نظن أن معنى الحسن والقبح قد غدا كامناً في ذات كل منها فلا ينفك

---

[313] الرد لشامل 173

[314] شرح مختصر التحرير 1/ 301

بعضها عن بعض . والأمر في الحقيقة ليس إلا بحكم الله بذلك وخلق الطبع فينا على النفرة منه لا أن الأشياء ذاتها تنشيء القبح لنفسها أو تحسن بذاتها .

قال الشيخ محمد البوطي وفقه الله : وصفوة القول أن الله خلق ما شاء في هذا العالم ،ورتب جزئياته على بعضها ترتيباً صير البعض حسناً مفيداً ، وصير الأخر قبيحاً مفسداً ، و لم نكن نعلم أو نستشعر صفة الحسن أو القبح في هـذا ولا ذاك لولا خلقه وترتيبه وتأليفه بين الذوات وخصائصها .أ ـــ ه[315]

ثالثاً: مذهبكم هذا في التحسين والتقبيح العقلي متناقض فإن كلام المعتزلة مستقيم على أصولهم ، فإذا كان العقل يحسن ويقبح من ذاته فوجب إذن الأمتناع عن القبائح ولزم فعل المحاسن ، فلازم قولهم أن يكون الشيء مستحباً ، أو واجباً ، أو محرماً لأن العقل جعله حسناً أو قبيحاً ، وهذا فعلاً هو ما قاله المعتزلة فبنوا على مسألة التقبيح والتحسين أن العقلاء مكلفون سواء بعث إليهم رسول أم لا.ولا ينفع بعد ذلك أن تقول أنه لا يلزمنا لأننا نقول الأحكام والتكليف من جهة الشرع ، لأنك أصلاً قد حكمت بحسنه أو بفساده وقبحه من قبل أن يأتي الشرع .فحكمكم بذلك ثم حكمكم بعدم التكليف تناقض على موازين العلم والمعرفة .

قال الكاتب:(ومما يترتب عليه من الأصول الفاسدة قولهم أن الشرع قد يأتي بما هو قبيح في العقل فإلغاء دور العقل بالمرة أسلم من نسبة القبح إلى الشرع مثلاً ، ومثلوا لذلك بذبح الحيوان فإنه إيلام له بلا ذنب وهو قبيح في العقل ومع ذلك أباحه الشرع)

وهذا تشنيع باطل غير صحيح يقول أهل السنة : إيلام الله تعالى للبهائم والمجانين والأطفال أنه ليس بقبيح بل هو عدل في حكمه وصواب في تدبيره ،لأنه الله متصرف في ملكه كما يشاء ،وربما يكون هذا الإيلام تخليصاً من ضرر أعظم أو لينال ثواب أعظم . بينما قالت القدرية أن العقل يوجب على الله أن يعوض المجانين وأما أهل السنة فلا يوجبون ذلك على الله بل هو من قسم الممكن وهو محض فضل منه تبارك وتعالى .[316]فهذا الكلام الذي أوردته فيه تناقض واضح إذ كيف يمنعون التحسين والتقبيح العقلي ثم تقول : أن الشرع قد يأتي بما هو قبيح في العقل؟ !!![317]

استشكال الكاتب لمسألة الصفات

(التأويل)ومعناه المبتدع صرف اللفظ عن ظاهره الراجح إلى احتمال مرجوح لقرينة فهو بهذا المعنى تحريف للكلام عن مواضعه كما قرر ذلك شيخ الإسلام ......إلخ

اولاً : قال الكاتب (التأويل هو أصل منهجي ...إلى قوله: ، وبعض الأوامر التكليفية أيضاً).

بعد أن سبق بيان خطأ هذه الدعاوى ، فالإيمان يزيد وينقص، وموضوع العصمة وغيرها كلها بينت ولله الحمد فأقول وبالله الاستعانة وحده : .

[315] كبرى اليقينيات الكونية 151

[317] المسائل الخلافية لعبدالوهاب الجابي ص117

اولاً: أما الصفات فالأشاعرة يثبتون جميع صفات الكمال لله تعالى،وليست هذه السبع فقط ، بل لا يحصرون كمالات الله تعالى فإنه لا حد لكمال وصفه جل شأنه.[318]

ثانياً : قال الكاتب: (وإن تعجب فاعجب لهذه اللفظة النابية التي يستعملها الأشاعرة مع النصوص وهي أنها " توهم " التشبيه ولهذا وجب تأويلها ، فهل في كتاب الله إيهام أم أن العقول الكاسدة تتوهم والعقيدة ليست مجال توهم .)

فالجواب :أما قولك يا أخي (فهل في كتاب الله إيهام)؟ أقول :1ـــ أن كتاب الله ليس فيه إيهام ،وإنما جاء البلاء ممن جمع آيات نزلت في مواطن متفرقة من كتاب الله في أعصار مختلفة فجمعها وساقها في مساق واحد حتى أوهم التشبيه ، وإلا فكتاب الله ليس فيه أي لبس ولله الحمد، قال الإمام الغزالي رحمه الله تعالى :قد بينا أن لجمعها من التأثير في الإبهام والتلبيس على الإفهام ماليس لآحادها المفرقة ، وإنما هي كلمات لهج بها الرسول صلى الله عليه وسلم طوال عمره في أوقات متباعدة، وإذا أقتصر منها على ما في القرآن والأخبار المتواترة رجعت إلى كلمات يسيرة معدودة ، وإن أضيف إليها الأخبار الصحيحة فهي أيضاً قليلة .أ ـــ هـــ [319]

2ـــ أنه ما من كلمة قيلت من هذه الكلمات إلا مع قرائن وإشارات تفيد المعنى الذي لايتأتى معه التشبيه غالباً ، بخلاف احتزاءها وسوقها في مساق واحد فهو سبب الإيهام .[320]

إذن فليست المشكلة من كتاب الله ولا سنة رسوله صلى الله عليه وسلم وإنما الإشكال من أفعال بعض الناس ممن جمعها في نسق واحد ــ وإن كان بحسن نية ـــــ ، فسبب اللبس بذلك الفعل الذي هو غير معصوم من الخطأ ، بل رأينا نتائجه التي سببت الخلاف والفهم الخاطيء .

3ـــ أن النصوص نزلت في عهد الصحابة ،وهم عرب أقحاح يعرفون لغتهم بمجازاتها واستعاراتها وكناياتها وحقائقها ، فاللبس عليهم بعيد جداً ، بخلاف غيرهم .

قول الكاتب: (وإلا فلماذا يكون تأويل الأشاعرة لعلو الله – الذي تقطع به العقول والفطر والشرائع – تنزيهاً وتوحيداً وتأويل الباطنية للبعث والحشر كفراً وردة ؟)

الجواب :1ـــ الفرق بين تأويل الباطنية في العقائد ،وتأويل أهل السنة والجماعة ،هو كالفرق بين الحق والباطل ، وإيضاح ذلك تراه في الآيات التي تأولها السلف رضي الله عنهم مثاله قوله تعالى ((وهو معكم أينما كنتم)) تأولها علماء السنة بأن معناها أنه معنا بعلمه وليس معنا بذاته ، وقل أيضاً في الفروع الفقهية فهل تأويل العلماء وبيانهم لمسائل الفقهة ، وردهم المجمل إلى المبين هو كتأويل الباطنية للوضوء مثلاً بأن معناه أن تقول باسم الله الأطهر خمس مرات ، والصلوات الخمس بأن تقول اسم الحسن والحسين وفاطمة ومحسن ...هل يستويان؟ والأمثلة كثيرة ولا أريد الإطالة .

2ـــ أن تأويل أو تفسير أهل السنة للنصوص مضبوط بضوابط وهي: ـــ أن يكون سائغاً في لغة العرب ـــ ولائقاً بالله ، ـــ وأن يكون هناك قرينة توجب العدول عن المعنى على الحقيقة في اللغة إلى مجاز اللغة.أما الباطنية فالأمر عندهم على عواهنه حسب أهوائهم ، ولذا كفرهم أهل الإسلام قاطبة .فكيف تقارن بينهما ؟!!

---

[318] انظر تهذيب شروح السنوسية ص39

[319] إلجام العوام الباب الثالث ص255

[320] إلجام العوام الباب الثالث ص255

ثانياً : بالنسبة لعقيدة حلول الله في الجهة فقد سبق بيان ذلك وافياً ،فالأشاعرة يثبتون صفة العلو لله تعالى وهو علو قهر وغلبة قال تعالى ((وهو القاهر فوق عباده)) فهذا الدليل أنه علو قهر و لم يقل أنه في جهة عدمية.!!فلا يجوز أن تعتقد في الله ما توهمته برأيك ،ثم تجعلون منه عقيدة بقياس الله على خلقه ، فهذا خطأ بلا ريب ، وأما أهل السنة فلا ينجرفون وراء الأوها م .فهم يفسرون النصوص بالنصوص لا بقياس الخالق على المخلوق .

فنفيهم للجهة التي تسميها العلو تسمية للشيء بغير اسمه ،فهو كتسمية البعض للخمر مشروبات روحية ، وهذا لا يعني أن كلامهم صواب بل هو باطل ،فالجهة مكان ولو أسميتها علو اً، والله لا يحل في مكان ، والخمر خمراً ولو أسماها الفسقة مشروبات روحية . فعقيدة أهل السنة أن الله لا يحل في مخلوق لا مخلوق علوي ولا سفلي ،ولا يعني أنه إذا لم يحل في مكان أنه غير موجود بل هو موجود قبل خلق الزمان والمكان ،لكن أنت يا أخي هداك الله وغيرك تتخيل أن وجوده مثل وجودك ، فإن لم تكن في مكان فأنت معدوم ثم تستنتج بعقلك أن الله إذا لم يحل في جهة فهو معدوم. سبحانه وتعالى .

طريقة أهل السنة من الأشاعرة في نصوص المتشابهة

لهم في ذلك مسلكان مشهوران يتبعهما علماء الأشاعرة وغيرهم :

الأول : وهو الأصل وهو مسلك التفويض وهو مذهب جمهور السلف :وكونه أسلم أي من جهة تعيين المعنى المراد فإن النص إذا جاء في الكتاب والسنة وهو متشابه المعنى فإن تحديد معنى من المعاني المحتملة أمر اجتهادي ظني .ولذا فقد توقف جمع من علماء أهل السنة في تحديده وأمروه كما جاء ، ولكن بشرط تنزيه الله عن ما يليق به مما قد يتبادر إلى الأذهان ، وفي ذلك السلامة من التبعة ولذا فقد قالوا إنه أسلم .هذا معنى قولهم أن مذهب السلف من المتقدمين أسلم ، لأن تعيين معنى دون أخر هو اجتهاد فلذا كانت السلامة في عدم التعيين.

المسلك الثاني: مسلك التأويل :فإنهم بعد دفع المعنى الذي لا يليق بالله فإنهم يعينون معنى من المعان المحتملة وذلك اجتهاد منهم لكن بشرطين :

الأول: أن يكون ذلك المعنى لائق بالله .

الثاني: أن يكون سائغ في لغة العرب.

مع اتفاق العلماء جميعاً على عدم الخوض في حقيقة الصفة ،فلا يظن الظان أنهم يتكلمون في حقيقة الصفة .فإن هذا مما لايجوز الكلام فيه با لإجماع . وقد ثبت عن العلماء جميعاً دفع المعاني التي لا تليق بالله ومن ذلك الجارحة وقطعوا بذلك .فمنهم الإمام أحمد كما في عقيدة الحنابلة لابن حمدان ،وكذا اعتقاد الإمام أحمد لأبي الفضل التميمي، وغيرها. قال شيخ الإسلام خاتمة الحفاظ ابن حجر العسقلاني واليد في اللغة تطلق لمعان كثيرة اجتمع لنا منها خمسة وعشرون معنى ما بين حقيقة ومجاز [321].

قال الإمام أحمد: إن لله يدين وهما صفة له ليستا بجارحتين ولا بمركبتين ولا جسم ولا من جنس الأجسام . [322]

---

[321]: فتح الباري 394/13

[322] اعتقاد الإمام أحمد ص33

وقال الإمام الرازي في تفسيره : قال تعالى : { ثُمَّ استوى عَلَى العرش } اعلم أن مذهب العلماء في هذه الآية وأمثالها على وجهين أحدهما : ترك التعرض إلى بيان المراد وثانيهما : التعرض إليه والأول أسلم والى الحكمة أقرب .أ ـ هـ

الأدلة على جواز التأويل :

بداية أحب أن أنبه إلى أن الخلاف اجتهادي ولكل مسلك دليل فلمذهب التفويض[323] أدلة وللتأويل أدلة .

أدلـــة التـــأويـــل :

1ـ قوله تعالى ((فأما اللذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم))

فقد ذهب جمع منهم ترجمان القرآن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما إلى الوقف على قوله تعالى والراسخون في العلم وقال : أنا منهم .وهي قراءة متوترة .

واقتدى به جمع غفير من العلماء في كون الوقف على ذلك .فاجتهدوا في تأويل معنى النصوص المحتملة المعاني على ما يليق بالله مما هو سائغ في لغة العرب .

2ـ عمل الصحابة ومنهم ابن عباس حيث أول المعية بالعلم في قوله تعالى ((وهو معكم أين ماكنتم)) فاندفع الوهم الذي توهمته الجهمية بعد ذلك من أن المعية هي معية الذات. فكان تأويل ابن عباس للمعية بأنها معية العلم فضل عظيم في بيان المسألة.

فإذا جاز تأويل ابن عباس لدفع الموهم، فكذلك في كل ما كان من نفس العلة.فالمسألة ليست توقيف على عالم من العلماء دون الأخر بل هي دليل واضح على جواز التأويل.ويؤكد ذلك ما فعله علماء الأمة بعد الصحابة وسيأتي ذلك.

تنبيه : البعض يشغب على أهل السنة بأن فعل ابن عباس ليس بتأويل بل هو تفسير فقط وجواب ذلك :أن عدول ابن عباس عن حمل الآية على ظاهرها كقوله تعالى (يوم يكشف عن ساق) إلى معنى آخر يحتمله لوجود قرينة حيث أوله بالشدة ، وقال العرب تقول كشفت الحرب عن ساقها أي شدتها فهذا هو عين التأويل الذي يذهب إليه الأشاعرة والماتردية وغيرهم من جمهور أهل السنة.

والمعنى الاصطلاحي المتفق عليه عند علماء الأصول هو: صرف معنى اللفظ عن ظاهره إلى معنى آخر يحتمله لوجود قرينة.وهذا هو ما فعله الصحابي رضي الله عنه.

3ـ التأويل الثابت عن جمع من علماء الأمة من أهل السنة والجماعة ومنهم الإمام أحمد

صح عن الامام أحمد تأويل المجيء بمجيء أمره سبحانه . وقد ذكر ذلك أئمة ، ومنهم : الامام البيهقي رحمه الله حيث قال في كتابه : (مناقب الإمام أحمد) مايلي " :وأنبأنا الحاكم قال حدثنا أبو عمرو بن السماك قال حدثنا حنبل بن إسحاق قال سمعت عمي أبا عبد الله يعني الإمام أحمد يقول " احتجوا على يومئذ يعني في دار أمير المؤمنين ،

---

323 لم يحرم التفويض أحد من الحنبلية قبل ابن تيمية .

فقالوا تجئ سورة البقرة يوم القيامة وتجئ سورة تبارك ، فقلت لهم إنما هو الثواب قال الله تعالى {وجاء ربك} إنما تأتي قدرته وإنما القرآن أمثال ومواعظ " أ هـــ ثم قال الإمام البيهقي " هذا إسناد صحيح لا غبار عليه .

وورد عن الامام مالك تأويل النزول بالرحمة وفي صحة ذلك عنه خلاف .

وثبت التأويل عن جمع من اصحاب الحديث منهم ابن عبدالبر وابن قتيبة والخطابي وغيرهم

قال الامام ابن رجب الحنبلي رحمه الله في شرحه على البخاري[324] : ((ومنهم من يقول : هو إقبال الله على عباده ، وإفاضة الرحمة والإحسان عليهم . ولكن يردُّ ذلك : تخصيصه بالسماء الدنيا ، وهذا نوع من التأويل لأحاديث الصفات ، وقد مال إليه في حديث النزول طائفة من أهل الحديث ، منهم : ابن قتيبة ، والخطابي ، وابن عبد البر.وقد خالفهم ابن رجب و لم يبدعهم كما يفعل الغلاة .وله رأيه واجتهاده .أ ـــ هــ

4ـــ النظر الصحيح : حيث أن الناس ليس عندهم من التمكن في اللغة العربية وبلاغتها ما يمكنهم من معرفة دلالات الألفاظ ومجازاتها فكان التأويل حلاً لذلك كما قال ابن الجوزي رحمه الله :التشبيه داء والتأويل دواءه فإن زال الداء فلا حاجة للدواء .بخلاف الصحابة وكثير من التابعين فقد كانت سليقتهم العربية ،ومعرفتهم بالمجاز والحقيقة والكناية ،تطبيقاً عملياً وإن لم توضع المصطلحات بعد.أقول : كان لذلك دوراً عظيماً في قلة التأويل في عصرهم .ولولا ما فتحه الناس من تجميع لآيات وأحاديث سببت الوهم والتشبيه لما أتعب العلماء أنفسهم في التأويل .

ولكن لثلاثة أسباب أو جبت التأويل وهي:

1ـــ دخول الأعاجم في الإسلام وترجمة اليد أو الوجه أو نحوها إلى لغتهم سيفهم منه التشبيه غالباً وذلك لأنه لا يوجد في لغات الناس كلغة العرب في سعة المعاني .

2ـــ خروج فرقة المشبهة كمقاتل وغيره مما أوجب إزالة ما نشروه بين العوام وطلبة العلم فكان لابد من حمل ما أوهموا به الناس حملاً سائغاً في اللغة لائق بالله.

3ـــ تجميع بعض من نحسبهم من أهل الخير حيث جمّعوا نصوص الصفات المتفرقة بحسن نية وسوء عمل .فساقوها في مساق واحد حتى تسببوا للناس في التخيلات والتشبيهات. فإنهم قالوا باب إثبات الوجه لله ثم إثبات الصورة لله ثم باب إثبات العين لله ، باب إثبات اليدين لله ، باب إثبات الساق لله باب إثبات القدم لله وهكذا .بل زاد بعض الجهلة باب الحقو لله ، والشاخص ، والظل، والملل وغيرها من جهالاتهم .

فبالله عليكم كيف للقارىء والسامع أن لا يتخيل هيئة لله سبحانه وتعالى متركبة من أعضاء ؟!بالرغم من أن العبد لو ترك بدون إيهام ،وكانت الآيات كما هي في القرآن ما تخيل بإذن الله ولا وقع في التشبيه بحال ،ولكن هو باب شر لادواء له إلا التأويل بشروطه السابقة ممن هو متمكن في اللغة والعلم .

أدلة أهل التفويض:

1ـــ أن الوقف في آية آل عمران على قوله تعالى ((وما يعلم تأويله إلا الله))

وعلى هذا فلا نتكلم في شيء لا يعلمه إلا الله لأن تعيين المعنى المراد ضرب من الظن لا يصح في العقيدة .وإلى هذا ذهب جمع كبير من السلف وبعض الأشاعرة والماتردية وأكثر الحنابلة .

---

[324] ((فتح الباري)) (279/9)

ثم اختلف القائلون بالتفويض هل التأويل محرم أم خلاف الأولى فجمهور الحنابلة أنه محرم وذهب جمهور العلماء من الشافعية والمالكية والحنفية وبعض الحنابلة إلى أن المسألة هي من باب الأصح والصحيح ليس إلا.

تنبيه : أعجب ممن يمنع التأويل لأنه ظني رغم أن التأويل يرجع إلى صفة قطعية ثابتة لله ثم يأتي فيجزم بإثبات صفة لله بحديث ظني سواء كان ظني في نقله أو في معناه ودلالته فكيف بمن يثبته بالضعيف من الأحاديث بل كيف بمن يثبتها بالقياسات الفاسدة وبدلالة المفهوم كمن يثبتون الجهة والملل والظل نسأل الله العافية ؟!!!!!!!!!

ومن نظر في أدلة العلماء علم أن التفويض والتأويل أمر اجتهادي لا قطعي وهو يدور بين الأجر والأجرين وأن السلف من الصحابة والتابعين قد ثبت عنهم التأويل والتفويض وإن كان التفويض أكثر لعدم الحاجة إليه قبل ظهور البدع فهو دواء لداء ظهر وأول من استعمله الصحابة رضي الله عنهم .[325]

اعتراض الإمام ابن تيمية على التفويض والرد على ذلك :

ذهب بعض أهل التأويل[326] إلى ذم التفويض فمن ذلك قول ابن تيمية في كتابه "درء تعارض العقل والنقل" : "وأما التفويض فمن المعلوم أن الله أمرنا بتدبر القرآن، وحضنا على عقله وفهمه، فكيف يجوز مع ذلك أن يراد منا الإعراض عن فهمه ومعرفته وعقله". إلى أن قال" :فعلى قول هؤلاء يكون الأنبياء والمرسلون لا يعلمون معاني ما أنزل الله عليهم من هذه النصوص، ولا الملائكة، ولا السابقون الأولون، وحينئذ فيكون ما وصف الله به نفسه في القرآن، أو كثير مما وصف الله به نفسه لا يعلم الأنبياء معناه، بل يقولون كلاماً لا يعقلون معناه". قال: "ومعلوم أن هذا قدح في القرآن والأنبياء إذ كان الله أنزل القرآن وأخبر أنه جعله هدى وبياناً للناس، وأمر الرسول أن يبلغ البلاغ المبين، وأن يبين للناس ما نزل إليهم، وأمر بتدبر القرآن وعقله، ومع هذا فأشرف ما فيه وهو ما أخبر به الرب عن صفاته، أو عن كونه خالقاً لكل شيء وهو بكل شيء عليم، أو عن كونه أمر ونهى، ووعد وتوعد، أو عما أخبر به عن اليوم الآخر لا يعلم أحد معناه فلا يعقل، ولا يتدبر، ولا يكون الرسول بين الناس ما نزل إليهم، ولا بلغ البلاغ المبين، وعلى هذا التقدير فيقول كل ملحد ومبتدع: الحق في نفس الأمر ما علمته برأيي وعقلي، وليس في النصوص ما يناقض ذلك، لأن تلك النصوص مشكلة متشابهة، ولا يعلم أحد معناها، وما لا يعلم أحد معناه لا يجوز أن يستدل به، فيبقى هذا الكلام سداً لباب الهدى والبيان من جهة الأنبياء، وفتحاً لباب من يعارضهم ويقول إن الهدى والبيان في طريقنا لا في طريق الأنبياء؛ لأنا نحن نعلم ما نقول ونبينه بالأدلة العقلية، والأنبياء لم يعلموا ما يقولون، فضلاً عن أن يبينوا مرادهم، فتبين أن قول أهل التفويض الذين يزعمون أنهم متبعون للسنة والسلف من شر أقوال أهل البدع والإلحاد ."أهـ كلامه رحمه الله.

الـــرد على ذلـــك:

لِيُعلم بداية أن التفويض بالمعنى الذي ذكره الإمام ابن تيمية لا يوجد على الإطلاق ، فلا الحنابلة المفوضة ولا الأشعرية وغيرهم من أهل السنة يوجد منهم الإعراض عن فهمه ومعرفته وعقله، و لم يقل هؤلاء أن الأنبياء والمرسلين لا يعلمون معاني ما أنزل الله عليهم من هذه النصوص ، ولا قدحوا في القرآن والأنبياء بل بينوا ما أنزل.

---

[325] أنظر إلى أدلتهم بإنصاف وبحث عن الحق .

[326] الحقيقة يراد بها أحد معنيين :

فتطلق الحقيقة على نفس الأمر فيقال في الحقيقة علم أو عالم في الحقيقة والواقع .وعلى هذا المعنى يحمل ماجاء عن بعض العلماء بقولهم لله يد حقيقة .

المعنى الثاني: أن تطلق الحقيقة ويراد بها ماقابل المجاز وهي الكلمة المستعملة فيما وضعت له كاليد تستعمل حقيقة في الجارحة ومجازاً بمعنى النعمة كقول القائل لوالدك يد علي أي فضل ونعمة علي. وهكذا .فالإمام ابن تيمية كان يؤول الصفات على الحقيقة اللغوية بينما الأشاعرة والماتردية فعلى المجاز اللغوي لكنه يقول حقيقة لائقة بالله.وهذا غير مسلم على لغة العرب (العرب) ..وانظر ذكر نوعا الحقيقة في حاشية الإمام الدسوقي على شرح أم البراهين

فإذا ظهر تفويض كالذي ذكره الإمام ابن تيمية في يوم من الأيام، فهو مردود على قائله ،ولا حاجة للإستفاضة في ذلك فهو لا يحتاج إلى بيان .فليس أحد من أهل التفويض يذهب إلى أن القرآن لا يتدبر ولا يفهم ، وكتبهم طافحة ببيان آيات وأحاديث الصفات ، فتفسير الإمام الطبري ، والقرطبي ، وابن كثير ، والبغوي ، وابن عطية ، والبيضاوي ، وغيرهم كثير ، وانظر شراح الحديث فشرح صحيح مسلم وشرح البخاري وشرح جامع الترمذي وشرح سنن أبي داود وغيرها كثير ، وكتب العقائد ، كلها دالة على سعة علم الأئمة وقوة فهمهم للقرآن والسنة والعقيدة .

نماذج من تأويلات علماء الأمة أهل العلم والتقى من سلفهم وخلفهم :[327]

1ـــ أويل ابن عباس رضى الله عنهما:{ يد الله فوق أيديهم } قال ابن عباس رضي الله عنهما : يد الله بالوفاء بما وعدهم من الخير فوق أيديهم .[328] فلم يقل أنه العضو أو الطرف سبحان الله عن ذلك بل قال أن المقصود هو الوفاء . فنعم تثبت صفة اليد ولكن ليست العضو والطرف لأن هذا هو المعنى اللغوي على الحقيقة في اللغة فصرفه ابن عباس إلى المعنى اللائق بالله .

وقال ابن جرير وهو من أعيان علماء السلف : وفي قوله { يد الله فوق أيديهم } وجهان من التأويل : أحدهما : يد الله فوق أيديهم عند البيعة ، لأنهم كانوا يبايعون الله ببيعتهم نبيه صلى الله عليه سلم .والوجه الآخر : قوة الله فوق قوتهم في نصرة رسوله صلى الله عليه و سلم ، لأنهم إنما بايعوا رسول الله صلى الله عليه و سلم على نصرته على العدو.أنتهى كلام ابن جرير[329] فتأمل تأويلها على الوجه الأول بأن المقصود ليس العضو قطعاً بل هي استعارة فقط ، فكأنهم ببيعتهم لرسول الله يبايعون الله لا أنه المعنى على الحقيقة اللغوية من طرف وأعضاء .
وتأمل الوجه الثاني الذي ذكره ابن جرير فهو صريح في التأويل :قال : قوة الله فوق قوتهم.

وتأكيد لهذا المعنى أنقل ما ورد في معاجم اللغة أولا: لسان العرب لابن منظور:
قال:والـــيَدُ: النِّعْمةُ والإِحْسانُ تَصْطَنِعُه والـــمِنَّةُ والصَّنِـــيعَةُ، وإِنما سميت يداً لأَنها إِنما تكون بالإِعْطاء والإِعْطاءُ إِنالةٌ بالـــيد، والـــجمع أَيدٍ، وأَيادٍ جمع الـــجمع، كما تقدم فـــي العُضْوِ،
فذكر أن اليد المفردة هي النعمة والإحسان وجمعها أيد، فتأمل!!!
وفي موضع آخر يقول مستدلا بالآية الكريمة:
والـــيَدُ: القُوَّةُ. وأَيَّدَه الله أَي قَوَّاه. وما لـــي بفلان يَدانِ أَي طاقةٌ. وفـــي التنزيل العزيز: {والسَّماءَ بَنَـــيْنَاها بأَيْدٍ} والـــجمع أَيْدٍ.. وهنا أيضا يثبت أن اليد المفردة معناها القوة وجمعها أيد، والدليل الآية الكريمة .

ثانيا: الفيروز أبادي في القاموس المحيط:
قال: اليَدُ: الكَفُّ، أو من أطْرافِ الأصابعِ إلى الكَتِفِ، أصْلُها يَدْيٌ.

---

[327] ذكر الشيخ عمر كامل كثيراً من ذلك في كتابه كفى تفريقاً للأمة باسم السلف .
[328] تفسير معالم التنزيل للبغوي،سورة الفتح.
[329] تفسير ابن جرير لسورة الفتح عند قوله تعالى ((يد الله فوق أيديهم))

ج: أيْدٍ ويُدِيٌّ، جمع : أيادٍ.واليَدَى، كالفَتَى: بمعناها،
كاليَدَةِ واليَدِّ، مُشددةً، وهُما يَدانِ. واليَدُ: الجاهُ، والوَقارُ، والحَجْرُ على مَنْ يَسْتَحِقُّهُ، ومَنْعُ الظُّلْمِ، والطَّريقُ، وبلادُ اليَمَنِ، والقُوَّةُ، والقُدْرَةُ، والسُّلْطانُ، والمِلْكُ، بكسرِ الميمِ، والجَمَاعَةُ، والأَكْلُ، والنَّدَمُ، والغِياثُ، والاسْتِلامُ، والذُّلُّ، والنِّعْمَةُ، والإِحْسانُ تَصْطَنِعُهُ .

ثالثا: الصحاح للجوهري:

واليدُ: القوَّةُ، وأَيَّدَهُ، أي قوَّاه. وما لي بفلان يَدانِ، أي طاقةٌ. قال تعالى: "والسماءَ بَنيناها بأَيْدٍ". وقوله تعالى: "حتَّى يُعْطوا الجزيةَ عن يَد"، أي عن ذِلَّةٍ واستسلام، ويقال: نَقداً لا نسيئةً. واليَدُ: النعمة والإحسان تصطنعه، وتجمع على يَدِي ويَدِيٍّ، وأَيْدٍ أيضاً.

وقد يكون المعنى أيد: الأَيْدُ والآدُ جميعاً: القوة؛ قال العجاج:من أَن تبدّلت بآدِي آدايعني قوّة الشباب. وفي خطبة علي،رضي الله عنه : وأَمسكها من أَن تمور بأَيْدِهِ أَي بقوّته.وكلاهما معنيان سائغان .أنظر لسان العرب.

شبهة وجوابها:هل يصح في لغة العرب ان تقول : لفلان يد و هو ليس له يد على الحقيقة اللغوية ؟

الجواب: نعم يصح، والدليل على ذلك من القرآن الكريم:

((لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ)) ونحن نعلم يقينا أنه ليس للقرآن أيدي حقيقية، أي ليس له أعضاء وجوارح .

ثانيا: قوله تعالى: ((وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ)) ونحن نعلم يقيناً أنه ليس لرسول الله صلى الله عليه وسلم أي جناح حقيقي، وإنما هو كناية عن الرحمة بالمؤمنين .

شبهة ثانية : [يدعي من ينكر التأويل ويظن أن الله له يدان حقيقيتان على المعنى الحقيقي في اللغة ، فيقول في دعواه: لذلك لا يوجد في كلام العرب مطلقاً أن يقال يد فلان مبسوطة ، وفلان فعل ذلك بيده إلا ويكون له يد على الحقيقة ولا يجوز أن يكون لا يد له ، أو أن يكون له يد والفعل وقع بغيرها ، فهم لا يقولون " يد " الهوى ولا " يد " الماء ، ولكنهم يصفون الكريم ببسط اليد والبخيل بضمها لأن الإعطاء والمنع يكون ببسط اليد ومدها وقبضها وإمساكها فلا بد أن يكون له " يد " على الحقيقة ، وهذا من الحقائق العرفية التي يفهم منها أنه إذا قيل هو مبسوط اليد أن له يداً على الحقيقة.]أ ـــ هـــ كلامهم .

وقد تبين بطلان كلامه وذلك بالآيتين الشريفتين، ونضيف ما أمكن من معجمات اللغة :

جاء في لسان العرب لابن منظور:

((ويَدُ الفأْسِ ونحوِها: مَقْبِضُها. ويَدُ القَوْسِ: سِيَتُها. ويدُ الدَّهْر: مَدُّ زمانه. ويدُ الرِّيحِ: سُلْطانُها؛ ... ويَدُ الطائر: جَناحُه....

حتى إذا أَلْقَتْ يَداً في كافِرٍ وأَجَنَّ عَوْراتِ الثُّغُورِ ظَلامُها

.

يعني بدأت الشمس في المَغِيب، فجعل للشمس يَداً إِلى المَغِيب لما أَراد أَن يَصِفَها بالغُروب؛ وأَصل هذه الاستعارة لثعلبة بن صُعَيْر المازني في قوله:

فتَذَكَّرا ثَقَلاً رَثِيداً بَعْدَما أَلْقَتْ ذُكاءُ يَمِينها في كافِرِ

...الأَصمعي: يَدُ الثوب ما فَضَل منه إِذا تَعَطَّفْت والْتَحَفْتَ. يقال: ثوب قَصيرُ اليَدِ يَقْصُرُ عن أَن يُلْتَحَفَ به...يقال: أَخذ فلان يَدَ بَحْرٍ إِذا أَخذ طريق البحر...))

إذن الفأس والقوس والدهر والريح والثوب والبحر كلها لها أيد وليست بأيد على الحقيقة اللغوية وإنما مجازاً، فتأمل ياطالب الحق . !!![330]

وأسوق ما ورد من تأويلات عن الأئمة من الصحابة وغيرهم على وجه الاختصار:

1-أوّل ابن عباس قوله تعالى (يوم يُكشف عن ساق) سورة القلم <42>
فقال يكشف عن شِدَّة .. فأَوَّلَ الساق وفسرها بالشدة
ذكر ذلك عنه الحافظ ابن حجر العسقلانى في فتح الباري بشرح صحيح البخاري (428/13)

وجاء عن أبي موسى الأشعري في تفسيرها: عن نور عظيم, قال ابن فورك: معناه ما يتجدد للمؤمنين من الفوائد والألطاف, وقال المُهَلَّب: كشف ساق للمؤمنين رحمة ولغيرهم نقمة, وقال الخطابي(10): تهيب كثير من الشيوخ الخوض في معنى الساق, ومعنى قول ابن عباس أن الله يكشف عن قدرته التي تظهر بها الشدة, وأسند البيهقي الأثر المذكور عن ابن عباس بسندين كل منهما حسن وزاد: إذا خفي عليكم شيء من القرءان فابتغوه من الشعر, وذكر الرجز المشار إليه.

والحافظ ابن جرير الطبري في تفسيره (38/29) حيث قال في صدر كلامه على هذه الآية:قال جماعة من الصحابة والتابعين من أهل التأويل : يبدو عن أمر شديد‘‘.ولكم أن تدققوا في قول الإمام الطبري (من أهل التأويل) ما يدل على أن التأويل معروف معمول به بضوابطه عند السلف.وإن تعسف بعضهم فقال المقصود هنا بالتأويل التفسير فياليت شعري تفسير.بماذا؟أليس بما يؤول إليه الكلام؟!

تنبيه: أوهم الموجان أنه لا تأويل في الآية وإنما هو نزاع في التفسير ،والأرجح بأن المراد ساق الرب تعالى كما جاء مفسراً في البخاري ولو كان النص ((عن ساقه))لماوجد النزاع.أ ــ هــ[331]

الجواب: أما تسميته للتأويل بالتفسير فلا تعارض ولله الحمد ،وقد سبق بيان ذلك لأن تفسيرهم لها بذلك ، له نتيجة حتمية يعرفها كل من أزاح عن عقله التعصب والتقليد الأعمى ،فقد صرف معنى اللفظ عن ظاهره على التفسير الحقيقي لها في اللغة إلى معنى آخر يحتمله لوجود قرينة.وهذا هو ما فعله الصحابي رضي الله عنه.

---

[330] للفائدة العظيمة راجع كتاب المجاز في اللغة والقرآن للدكتور عبدالعظيم المطعني .

[331] الرد الشامل 182

وقولك الأرجح يوهم أن الجمع ممتنع ، والجمع غير ممتنع أصلاً ، لأن الساق في حديث ((يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنه) هو الساق في قوله تعالى ((يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون)فالمؤمنون يسجدون له والمنافقون لا يستطيعون . فهو سجود حين يكشف عن ساقه . وساق الرب هذه التي تقول أنها الأرجح هي شدته كما فسرها الصحابي . ولذا فسرها ابن
كثير بذلك وساق فيها عند تفسير الآية الحديث السابق . يؤكد ذلك قراءة ((يوم نكشف عن ساق) فالنون هنا تزيل اللبس الذي يحصل للبعض والله الموفق .[332] فلا مناص من أنه تأويل .

2-أوّل النسيان الوارد في قوله تعالى (فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا) سورة الأعراف <51>بأنه التَّرْك ..كما قال الطبري " أي ففي هذا اليوم وذلك يوم القيامة ننساهم – يقول نتركهم في العذاب "وهو تأويل صريح من ابن جرير للنسيان بأنه الترك.. وهو صرف لمعنى هذا اللفظ عن ظاهره المعهود وهو إلى معنى مجازى ونقل ابن جرير هذا التأويل الصارف عن الظاهر، ورواه بأسانيده عن ابن عباس ومجاهد وغيرهم .[333] ومعلوم أن المتبادر إلى الذهن عند إطلاق النسيان في كلام العرب على الحقيقة في اللغة أنه الذهول ،ولكن لما كان هناك قرائن على أن المقصود ليس هو الذهول ،ومن أعظمها أن ذلك موجب لنقص الله ،صرف عن ظاهره إلى معنى أخر سائغ وهو الترك .فالمقصود أن أصل النسيان في اللغة يأتي بمعنى الذهول ولكن له معنى أخر مجازي وهو الترك فحُمل عليه في الآيات ، فماهو موجب حمل النسيان على الترك لا على الذهول ؟!فإذا قلنا لأن الذهول لا عقاب عليه . فهذا جواب صحيح بالنسبة للعبد، لكن بالنسبة للخالق ماهو الصارف؟ فجوابه: بلا ريب أن ذلك المعنى لا يجوز على الله وهذا هو المراد .وبه يتبين أن الموجان كان يتكلم عن شيء ليس هو موطن النزاع . لأنه سلم بأنه الترك لا الذهول ، و لم يبين أن الذهول لا يليق بالله ورفض الإقرار بأنه المعنى المجازي ، وهذه مكابرة للحقائق فإن أصغر طلبة العلم في اللغة يعرف أن النسيان هو الذهول حقيقة ،وأما الترك فإنما هو من معان النسيان لكن تجوزاً، أو توسعاً أو،مجازاً ،والمعنى في الثلاثة واحد .

تأويل الإمام أحمد بن حنبل :-

1-روى الحافظ البيهقي في كتابه مناقب أحمد ،وهو كتاب مخطوط نقل عنه ابن كثير في البداية والنهايةفقال " روى البيهقى عن الحاكم عن أبي عمرو بن السماك عن حنبل أن أحمد بن حنبل تأوَّل قول الله تعالى (وجاء ربك) أنه : جاء ثوابه .. ثم قال البيهقى وهذا إسناد لا غبار عليه ".انتهى كلام ابن كثير من غير انتقاد للرواية .[334] وشهادة الإمام البيهقي -وهو من هو- بصحة هذا السند وهذه الرواية عن الإمام أحمد تدل دلالة لا شك فيها أن الإمام قد أخذ

---

[332] انظر تفسير ابن كثير للآية 42 من سورة القلم وكذا زاد المسير لابن الجوزي.
[333] تفسير الطبري (201/8)

[334] البداية والنهاية (327/10)

بالتأويل عند وجود دواعي ذلك ..

وكذلك سكوت ابن كثير ،وعدم انتقاده للرواية وهو العالم الفذ الخبير بالأسانيد والعلل والرواة يدل على تسليمه بصحتها، فراجع البداية والنهاية . وقد تعسف الموجان في محاولة ردها ، فجاء بما لا ينفق إلا على جاهل ، إذ لو قلنا بكلامه من احتمال أنهازيادة في بعض الطبعات من النساخ لمابقي معنا كتاب من كتب العلماء ، وهذا الاحتمال مردود كما هو معروف عند أهل الفن لأنه لم يأت عليه بدليل صحيح أو قرينة قوية ، ثم لوقلنا أن مافي البداية والنهاية لعله زيادة ، فماذا ستقول في النسخ المخطوطة المعتمدة للبداية والنهاية ، وماذا ستقول في كتاب البيهقي مناقب الإمام أحمد ؟!

2-قال الحافظ ابن كثير أيضا في البداية والنهاية (327/10)

'' ومن طريق أبي الحسن الميموني عن أحمد بن حنبل أنه أجاب الجهمية حين احتجوا عليه بقوله تعالى (ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون) قال: يحتمل أن يكون تنزيله إلينا هو المحدَث ..[335] وعن حنبل عن أحمد أنه قال : يحتمل أن يكون ذكر آخر غير القرآن'' . والذي يدل على صحة تأويل أحمد بن حنبل رحمه الله ما حدثنا أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك, أنا عبد الله بن جعفر, ثنا يونس ابن حبيب ,ثنا أبو داود, ثنا شعبة, عن عاصم, عن أبي وائل عن عبد الله هو ابن مسعود رضي الله عنه قال: أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلمت عليه فلم يردّ عليّ فأخذني ما قَدُمَ وما حَدَث, فقلت: يا رسول الله أحدث فيّ شيء, فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:{ إن الله عز وجلّ يحدث لنبيه من أمره ما شاء, وإن مما أحدث ألا تكلموا في الصلاة)) اهـــ.

وجه التأويل هنا أن ظاهر اللفظ يفيد أن القرآن مخلوق حيث عبر عن الذكر بأنه محدث .. فصرف الإمام اللفظ عن الظاهر بقرينة عقلية هي التنزيه ونفى التشبيه .. حيث أن القرآن كلام الله وكلام الله ليس بمخلوق لأن كلامه لا يشبه كلام خلقه.

3-قال الحافظ الذهبي :قال أبو الحسن عبد الملك الميموني قال رجل لأبى عبد الله – يعنى أحمد بن حنبل- ذهبتُ إلى خلَف البزّار أعظه وقد بلغني انه حدّث بحديث عن الحوض أسنده إلى ابن مسعود قال (ما خلق الله شيئاً اعظم........) وذكر الحديث .. فقال أبو عبد الله : ما كان ينبغي أن يحدّث بهذا في هذه الأيام – يريد أيام المحنة – قال الذهبي : والمتن -أي نص الحديث – (ما خلق الله من سماء ولا أرض أعظم من آية الكرسي) وقد قال أحمد بن حنبل لما أوردوا عليه هذا يوم المحنة : إن الخلق مقصود به هاهنا السماء والأرض وهذه الأشياء لا القرآن ..

يقصد أن كلمة آية هنا أراد بها الحديث معنى الآية الإعجازية وليست الآية القرآنية ..

وفى لغة العرب دليل على ذلك .. ففي القرآن الكريم قال تعالى (وجعلنا الليل والنهار آيتين) أي معجزتين ودليلين .. وكره الإمام أحمد ذكر خلف البزار لهذا الحديث .. لكي لا يستند إليه الجهمية في إيهام الناس بأن المقصود بكلمة آية

---

[335] وهذا رد على الكاتب وغيره ممن يظنون أن كلام الله حادث الآحاد وأهل السنة قاطبة على أن كلام الله غير حادث والحادث هو ضد الأزلي ولم يقل أن القرآن حادث إلا المعتزلة والكرامية وابن تيمية وقلده الكاتب في ذلك وقد سبق بيان المسألة عند التعليق على مسألة الكلام.

الكرسي هي الآية القرآنية في سورة البقرة.. فيكون بذلك دليلاً على مذهبهم الباطل في أن القرآن مخلوق .. والحديث في الأصل يتكلم عن الآية الإعجازية ثم بعد ذلك علّق الإمام الذهبي على هذا الكلام بتعليق ينبغي أن يُقرأ..[336]

قال:- كان الإمام أحمد يقول في عقيدته (الله تعالى لم يلحقه تغيُّر ولا تبدُّل ولا يلحقه الحدود قبل خلق العرش ولا بعد خلق العرش) < طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى> (297/2) أهـــ

وقد أنكر الإمام أحمد على من يقول بالجسم وقال- أي الإمام أحمد- إن الأسماء والألفاظ مأخوذة يبقبقبالشريعة واللغة ..وأهل اللغة وضعوا هذا الاسم -يعني الجسم- على كل ذي طول وعرض وسمك وتركيب وصورة وتأليف .. والله تعالى خارج عن ذلك كله .. فلا يجوز أن يُسمَّى جسما لخروجه عن معنى الجسمية و لم يجئ في الشريعة ذلك..فهو باطل قطعا.[337]

من تأويلات الإمام أحمدأيضاً: ثبت أن الإمام أحمد أول الإتيان في قوله تعالى {هل ينظرون إلا أن ياتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة }فقال الإمام أحمد : إنما يأتي أمره .

و لم يجد فيه ابن تيمية مطعن فذكر عن حنبل بأن له غرائب ، لأن من نقل كلام أحمد في الفتنه لم ينقلوا ذلك.
وجواب ذلك: بأجوبة :

أولها: أنه لا يلزم من عدم نقلهم عدم ثبوت ذلك لأنه قد يكون معه زيادة علم .

ثانياً : أنه ثقة في النقل وزيادة الثقة مقبولة في الحديث على التفصيل المعروف فكيف في غير الحديث .وإليكم شيء من ترجمته رحمه الله:

حنبل بن إسحاق بن حنبل أبو علي الشيباني ابن عم إمامنا أحمد: سمع أبا نعيم الفضل بن دكين وأبا غسان مالك بن إسماعيل وعفان بن

مسلم وسعيد بن سليمان وعارم بن الفضل بن دكين وسليمان بن حرب وإمامنا أحمد في آخرين حدث عنه ابنه وقد اختلف في اسم ابنه فقوم قالوا عبيد الله وقوم قالوا عبد الله وعبد الله بن محمد البغوي ويحيى بن صاعد وأبو بكر الخلال وغيرهم

وذكره الخطيب أحمد بن ثابت فقال: كان ثقة ثبتاً .

قال وأخبرنا الأزهري قال: سئل الدارقطني عن حنبل فقال كان صدوقاً.

فالطعن في نقله بعيد عن الصواب . بل إن الإمام ابن تيمية حاول التشويش في هذا النقل ،تارة بغمز الإمام حنبل رحمه الله ، وتارة بمحاولة تأويل المباحثات بين الإمام أحمد والمعتزلة بشيء لا يقبله عقل.

---

[336] سِيَر أعلام النبلاء (578/10)
[337] < طبقات الحنابلة> (298/2).

ــ تأويل ابن جرير الطبري: القول في تأويل قوله تعالى: {الله نور السموات والأرض}

يعني تعالى ذكره بقوله: {الله نور السموات والأرض} هادي من في السموات والأرض، فهم بنوره إلى الحق يهتدون وبهداه من حيرة الضلالة يعتصمون.

واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم فيه نحو الذي قلنا. - حدثني علي، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله: {الله نور السموات والأرض} يقول الله سبحانه هادي أهل السموات والأرض...وقال: آخرون بل معنى ذلك: الله مدبر السموات والأرض. ذكر من قال ذلك:وقال: آخرون بل معنى ذلك: الله مدبر السموات والأرض........

ثم علل سبب تأويله صفة النور إلى الهداية بقوله: وإنما اخترنا القول الذي اخترناه في ذلك؛ لأنه عقيب قوله: {ولقد أنزلنا إليكم آيات مبينات، ومثلا من الذين خلوا من قبلكم وموعظة للمتقين} فكان ذلك بأن يكون خبرا عن موقع يقع تنزيله من خلقه ومن مدح ما ابتدأ بذكر مدحه، أولى وأشبه، ما لم يأت ما يدل على انقضاء الخبر عنه من غيره. فإذا كان ذلك كذلك، فتأويل الكلام: ولقد أنزلنا إليكم أيها الناس آيات مبينات الحق من الباطل {ومثلا من الذين خلوا من قبلكم وموعظة للمتقين} فهديناكم بها، وبينا لكم معالم دينكم بها، لأني هادي أهل السموات وأهل الأرض. وترك وصل الكلام باللام، وابتدأ الخبر عن هداية خلقه ابتداء، وفيه المعنى الذي ذكرت، استغناء بدلالة الكلام عليه من ذكره.أ ــ هـ جامع البيان عن تأويل آي القرآن الجزء 18 >> سورة المؤمنون >> القول في تأويل قوله تعالى: {الله نور السموات والأرض}

تأويل الإمام النضر بن شميل :-

وهو الإمام الحافظ اللغوي وروى عنه البخاري ومسلم والترمذي وأبو داود والنسائي وابن ماجه .

ذكر الحافظ البيهقي في الأسماء والصفات:

أنه قال " معنى حديث حتى يضع الجبار فيها قدمه" أي من سبَق في علمه أنه من أهل النار.أ ــ هــ وقاله الإمام أبو منصور الأزهري كما في (دفع الشبه لابن الجوزي),وقال ابن الجوزي أيضا: (وقد حكى أبوعبيدة الهروي-صاحب كتاب غريب القرآن والحديث-عن الحسن البصري أنه قال:القدم,هم الذين قدمهم الله تعالى من شرار خلقه وأثبته لهم).أ ــ هــ ومن هذا المعنى في اللغة قوله تعالى ((لهم قدم صدق عند ربهم))أي قربات قدموها فليست القدم على ظاهرها المعهود على الحقيقة بمعنى الرجل .

ولفظة رجله الوارة في بعض الأحاديث فهي من تصرفات بعض الرواة في الرواية بالمعنى الذي فهمه .غفر الله له.[338]

---

[338] النضر بن شميل وهومن رجال الستة المولود سنة(122هــ):ذكرهذا التأويل عنه الإمام البيهقي (الأسماء والصفات ص 352)وابن الجوزي(دفع شبه التشبيه)

تأويل الإمام هشام بن عبيد الله :- توفى سنة 221 هـــ قال الذهبي في سير أعلام النبلاء في ترجمته (446/10)''السني الفقيه أحد أئمة السنة''.ثم قال الذهبي : قال محمد بن خلف الخرَّاز سمعت هشاما بن عبيد الله الرازي يقول ''القرآن كلام الله غير مخلوق فقال له رجل : أليس الله يقول < ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث> فقال : محدث إلينا وليس عند الله بمحدث''..قال الذهبي–مفسرا–.. قلتُ : لأنه من علم الله وعلم الله لا يوصف بالحدوث .

تأويل الإمام سفيان الثوري ذكر الحافظ الذهبي في سير أعلام النبلاء في ترجمة سيد الحفاظ في

زمانه الإمام سفيان الثوري (274/7) أن معداناً سأله عن قوله تعالى (وهو معكم أينما كنتم) فقال : علمه معكم .

تأويل الإمام عبد الله بن المبارك :-

قال الإمام البخاري : (حدثنا محمد عن عبد الله عن محمد بن بشار عن قتادة عن صفوان بن محرز عن ابن عمر قال : بينما أنا أمشى معه إذ جاء رجل فقال يا ابن عمر .. كيف سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر في النجوى ؟ – قال سمعته يقول : يدنو من ربه حتى يضع عليه كنفه ....ثم

قال البخاري قال ابن المبارك: (كنفه يعني ستره) [339] وأيَّد كلامه الحافظ ابن حجر

في فتح الباري عند شرح هذا الحديث.فأنت ترى الإمام قد أول هنا فلم يحمله على المتبادر لبعض الأذهان حتى قال بعضهم : نشَر اللّه كَنفه على المسلم يوم القيامة هكذا، وتعطَّفَ بيده وكُمه . أنظر لسان العرب. كنف: الكَنَفُ والكَنَفةُ: ناحية الشيء، وناحِيتا كل ِّشيء كَنَفاه.وهذا يبطل تهرب الموجان حيث قال: أنه ليس بتأويل إن الكنف في اللغة الستر . أ ـــ هـــ [340] وهذا صحيح أنه في اللغة الستر لكن مجازاً أما الأصل فهو :

الناحية والجانب .كنف: الكَنَفُ والكَنَفةُ: ناحية الشيء، وناحِيتا كلِّشيء كَنَفاه، والجمع أَكناف. وبنو فلان يَكْنُفون بني فلان أَي هم نُزول في ناحيتهم. وكَنَفُ الرَّجل: حِضْنه يعني العَضُدين والصدْرَ. وأَكناف الجبل والوادي: نواحِيه حيث تنضم إليه، الواحد كَنَفٌ. والكَنَفُ: الجانب والناحية، بالتحريك. وفي حديث جرير، رضي اللّه عنه: قال له أَين منزلك؟ قال: بأَكْنافِ بيشةَ

[339] باب خلق أفعال العباد ص 61

[340] الرد الشامل

أي نواحيها..... وكنَفا الإنسان: جانِباه، وكنَفاه ناحِيتاه عن يمينه وشماله، وهما حِضْناه.أنتهى من لسان العرب هذا هو أصل المعنى .

فلما كان لا يليق بالله تعالى أولوه إلى معنى أخر . من ذلك : حتى يضَع عليه كنَفه؛ قال ابن

المبارك: يعني يستره، وقيل: يرحمه ويَلْطُف به، وقال ابن شميل: يضَعُ اللّه عليه كنَفه أي رحمته وبِرّه وهو تمثيل لجعله تحت ظلّ رحمته يوم القيامة. هكذا جاء في لسان العرب.

وقولك أن من قال :أنه تأويل أشبه بمن قال العين الباصرة أو قال العين عين الماء .

فهذا باطل يا أخي هداك الله وكأنك فهذا خلط بين ما يسمى في الاصطلاح باللفظ المشترك كالذي ضربت له مثلاً بالعين ، وبين مانحن بصدده ، وعزائي أن طلبة العلم يفهمون هذه المغالطة .

والتأويل التفصيلي وإن كان عادة الخلف فقد ثبت أيضا عن غير واحد من أئمة السلف وأكابرهم كابن عباس من الصحابة, ومجاهد تلميذ ابن عباس من التابعين, والإمام أحمد ممن جاء بعدهم, وكذلك البخاري وغيره.
تأويل مجاهد فقد قال الحافظ البيهقي(12):{ وأخبرنا أبو عبد الله الحافظ وأبو بكر القاضي قالا: ثنا أبو العباس محمد ابن يعقوب, حدثنا الحسن بن علي بن عفان, ثنا أبو أسامة ,عن النضر, عن مجاهد في قوله عز وجل:{ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ}(115)[سورةالبقرة] قال: قِبلة الله, فأينما كنت في شرق أو غرب فلا توجهن إلا إليها . اهـ.
وورد أيضا التأويل عن الإمام مالك فقد نقل الزرقاني(16) عن أبي بكر بن العربي أنه قال في حديث:{ ينزل ربنا}:{ النزول راجع إلى أفعاله لا إلى ذاته, بل ذلك عبارة عن مَلَكِهِ الذي ينزل بأمره ونهيه. فالنزول حسيّ صفة الملك المبعوث بذلك, أو معنوي بمعنى لم يفعل ثم فعل, فسمى ذلك نزولا عن مرتبة إلى مرتبة, فهي عربية صحيحة . اهـ.
وإن كان له في سنده من انتقده أهل العلم ، ولكن قد استفاض نقله عند علماء مذهبه كابن عبدالبر ،وابن رشد ، والقرطبي وغيرهم من المالكية وارتضوه رحمهم الله تعالى .

قال الحافظ ابن حجر في شرح البخاري: وقال ابن العربي: حكي عن المبتدعة ردّ هذه الأحاديث, وعن السلف إمرارها, وعن قوم تأويلها وبه أقول. فأما قوله:{ ينزل} فهو راجع إلى أفعاله لا إلى ذاته, بل ذلك عبارة عن مَلَكِهِ الذي ينزل بأمره ونهيه, والنزول كما يكون في الأجسام يكون في المعاني, فإن حملته في الحديث على الحسي فتلك صفة المَلَك المبعوث بذلك, وإن حملته على المعنوي بمعنى أنه لم يفعل ثم فعل فيسمى ذلك نزولا عن مرتبة إلى مرتبة, فهي عربية صحيحة انتهى. والحاصل أنه تأوّله بوجهين: إما بأن المعنى ينزل أمره أو المَلَك بأمره, وإما بأنه استعارة بمعنى التلطّف بالداعين والإجابة لهم ونحوه . انتهى كلام الحافظ, وكذا حكي عن مالك أنه أوّله بنزول رحمته وأمره أو ملائكته كما يقال فعل المَلِك كذا أي أتباعه بأمره.

وقد ورد أيضا عن الإمام البخاري فقد روى في صحيحه(19) عند قوله تعالى:{ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ }قال البخـــــاري:{ إلا مُلكـــــه, ويقــــال: إلا مــــا أُريــــد بــــه وجــــه الله..ا.هـــــــ .

وروى أيضا عن أبي هريرة رضي الله عنه:{ أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فبعث إلى نسائه فقلن: ما معنا إلا الماء, فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:{ من يضم}, أو:{ يضيف هذا؟} فقــال رجــل مــن الأنصــار: أنا....ألحديث إلى أن قال: فلما أصبح غدا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال:{ ضحك الله الليلــة}, أو:{ عجب من فعالكما}. فأنزل الله:{ وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُــمُ الْمُفْلِحُـــــــــــــــــونَ }(9)[ســـــــــــــــــورة الحشـــــــــــــــــر].

قال الحافظ ابن حجر: ونسبة الضــحك والتعجّــب إلى الله مجازيــة والمــراد بهمــا الرضــا بصنيعهمـــا. وأوّل البخاري الضحك الوارد في الحديث بالرحمة نقل ذلك عنه الخطابي فقال: وقد تأوّل البخاري الضــحك في موضــع ءاخــر علــى معــنى الرحمــة وهــو قريــب, وتأويلــه علــى معــنى الرضــا أقــرب . ا.هــــ.

تأويل الإمام البخاري,نقله الحافظ البيهقي في الأسماء والصفات ص 470 عــن البخــاري أنــه قــال: (معــنى الضحك:الرحمة)اهــ.وقال الحافظ البيهقي ص298 : (روى الفربري عن محمد بن إسماعيل البخاري رحمه الله تعالى أنه قال:معنى الضحك فيه- أي الحديث-الرحمة),وقد نقل هذا التأويل الحافظ ابن حجر في الفتح(40/6) .

تأويل الطبري في تفسيره 192/1 عند تأويل قوله تعالى:{ثم استوى إلى السماء}ما نصه(والعجب ممن أنكر المعنى المفهوم من كلام العرب في تأويل قول الله:{ثم استوى إلى السماء}الذي هو بمعنى العلو والإرتفاع هربا من عند نفسه من أن يلزمه بزعمه إذا تأوله بمعناه المفهوم كذلك أن يكون إنما علا و ارتفع بعد أن كان تحتها إلى أن تأوله بالمجهول من تأويله المستنكر,ثم لم ينج مما هرب منه, فيقال له زعمت أن تأويل قوله (استوى):أقبل,أفكان مدبرا عن السماء فأقبل إليها ؟فإن زعم أن ذلك ليس بإقبال فعل ولكنه إقبال تدبير,قيل له :فكذلك فقل:علا عليها علو ملك وسلطان لا علو انتقال وزوال) أنتهى كلام ابن جرير.فاتضح بهذا أن السلف كانوا يؤولون الإستواء بعلو الملك والسلطان والقهر وهوعلو رتبة (معنوي) لا علو حسي حقيقي تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

أول الحافظ ابن حبان (ت354 هــ)في صحيحه502/1 حديث ((حتى يضع الرب قدمه فيها))أي جهنم فقال: (هذا الخبر من الأخبار التي أطلقت بتمثيل المجاورة,وذلك أن يوم القيامة يلقى في النار من الأمم والأمكنة التي يعصى الله فيها ,فلا تزال تستزيد حتى يضع الرب جل وعلا موضعا من الكفار والأمكنة فتمتلئ فتقول قط قط,تريد حسبي حسبي ,لأن العرب تطلق في لغتها اسم القدم على الموضع قال الله جل وعلا:{لهم قدم صدق عند ربهم}يريد:موضع صدق,لا أن الله جل وعلا يضع قدمه في النار ,جل ربنا وتعالى عن مثل هذا وأشباهه)انتهى كلام الحافظ ابن حبان.

تأويل الإمام مالك رحمه الله تعالى ,روى الحافظ ابن عبد البر في التمهيد 143/7 وذكر الحافظ الذهبي في (سير أعلام النبلاء)105/8 أن الإمام مالك أول النزول الوارد في الحديث بنز ول أمره وهذا النص من السير: (قال ابن عدي:حدثنا محمد بن هارون بن حسان,حدثنا صالح بن أيوب حدثنا حبيب ابن أبي حبيب حدثني مالك قال: (يتنزل ربنا تبارك وتعالى أمره,فأما هو فدائم لا يزول)قال صالح:فذكرت ذلك ليحيي بن بكير,فقال حسن والله,و لم أسمعه

من مالك),ورواية ابن عبد البر من طريق أخرى,وهذا التأويل مشهور عن الإمام مالك غني عن الإسناد فيه ولذلك نقله الإمام النووي في شرح مسلم37/6 عنه.ذكر الحافظ الترمذي في سننه 692/4 بعد حديث الرؤية الطويل الذي فيه لفظة (فيعرفهم نفسه) فقال: (ومعنى قوله في الحديث :فيعرفهم نفسه يعني يتجلى لهم

قال الإمام النووي في المجموع 46/1 باب أقسام العلم الشرعي ،فرع:اختلفوا في آيات الصفات وأخبارها : هل يخاض فيها بالتأويل , أم لا ؟ فقال قائلون : تتأول على ما يليق بها , وهذا أشهر المذهبيين للمتكلمين . وآخرون : لاتتأول بل يمسك عن الكلام في معناها , ويوكل علمها إلى الله تعالى . ويعتقد مع ذلك تنزيه الله تعالى , وانتفاء صفات الحادث عنه . فيقال مثلا : نؤمن بأن الرحمن على العرش إستوى ولا نعلم حقيقة معنى ذلك والمراد به , مع أنا نعتقد أن الله تعالى (ليس كمثله شيء) وأنه منزه عن الحلول وسمات الحوادث , وهذه طريقة السلف أو جماهيرهم, وهي أسلم , إذ لا يطالب الإنسان بالخوض في ذلك ,فإذا اعتقد التنزيه فلا إلى الخوض في ذلك والخاطرة فيما لا ضرورة بل لاحاجة إليه فإن دعت الحاجة إلى التأويل لرد مبتدع ونحوه تأولوا حينئذ , وعلى هذا يحمل ما جاء عن العلماء في هذا, والله أعلم .

قال ابن عبد البر رحمه الله في كتابه التمهيد 137/7 :

(وليس مجيئه حركة ولا زوالاً ولا انتقالاً، لأن ذلك إنما يكون إذا كان الجائي جسماً أو جوهراً، فلما ثبت أنه ليس بجسم ولا جوهر، لم يجب أن يكون مجيئه حركة ولا نقلة، ولو اعتبرت ذلك بقولهم : جاءت فلاناً قيامته، وجاءه الموت، وجاءه المرض، وشبه ذلك، مما هو موجود نازل به، ولا مجيء، لبان لك، وبالله العصمة والتوفيق) اهـــ .

وقال الإمام الشوكاني: [الفصل الثاني :فيما يدخله التأويل وهو قسمان أحدهما : أغلب الفروع ولاخلاف في ذلك والثاني : الأصول كالعقائد وأصول الديانات وصفات الباري عزوجل ,وقد اختلفوا في هذا القسم على ثلاثة مذاهب (الأول)أنه لا مدخل للتأويل فيها يجري على ظاهرها ولا يؤول شيء منها وهذا قول المشبهة ,(والثاني) أن لها تأويلها ولكنا نمسك عنه مع تنزيه اعتقادنا عن مع تنزيه اعتقادنا عن التشبيه والتعطيل لقوله تعالى {وما يعلم تأويله إلا الله } قال ابن برهان وهذا قول السلف (قلت)وهذا هو الطريقة الواضحة والمنهج المصحوب بالسلامة في الوقوع عن مهاوي التأويل لما لا يعلم تأويله إلا الله وكفى بالسلف الصالح قدوة لمن أراد الإقتداء وأسوة لمن أحب التأسي على تقدير عدم ورود الدليل القاضي بالمنع من ذلك فكيف وهو قائم موجود في الكتاب والسنة (والمذهب الثالث)أنها مؤولة ,قال ابن برهان :والأول من هذه المذاهب باطل والآخران منقولان عن الصحابة ونقل هذا المذهب الثالث عن علي وابن مسعود وابن عباس وأم سلمة أ ــ هــ [341]

وتأويل الصفات والايات معروف في كتب العلماء والمفسرين ،وأما قول الله تعالى:{وهو القاهر فوق عباده}،قال ابن جرير الطبري: تعالى ذكره بقوله وهو نفسه يقول والله القاهر فوق عباده،ويعني بقوله القاهر المذلل المستعبد خلقه العالي عليهم،وإنما قال فوق عباده لأنه نفسه تعالى بقهره إياهم ومن صفة كل قاهر أن يكون مستعليا عليه،فمعنى الكلام إذا:والله الغالب عباده المذل لهم العالي عليهم بتذليله لهم وخلقه إياهم فهو فوقهم بقهره إياهم وهم دونه

[341] في كتابه ارشاد الفحول ص155

اهـ.[342] إذا فهي فوقية قهر وربوبية ومكانة.راجع الكشاف 686/1 ،والجمل في حاشيته على الجلالين 14/2 ،وأبو حيان 89/4 ،قال القرطبي في تفسيره للآية: ومعنى فوق عباده فوقية الإستعلاء بالقهر والغلبة عليهم أي تحت تسخيره لافوقية مكان كما تقول السلطان فوق رعيته أي بالمنزلة والرفعة وفي القهر معنى زائد وهو منع غيره عن بلوغ المراد.اهـ.{أأمنتم من في السماء}ومعناه أأمنتم من شأنه عظيم،لأن العرب إذا أرادت أن تعظم شيئا وصفته بالعلو فتقول:فلان اليوم في السماء. راجع أبو حيان 302/8 ،الألوسي 130/9 ،والخطيب في تفسيره 330/4 ،الرازي 188/8

ومن الجدير ايضا مراجعة كتاب عقيدة الإمام الحافظ ابن كثير في آيات الصفات من أئمة السلف الصالح ــ للعلامة محمد عادل عزيزة .

الأدلة والبراهين

يقسم الأشاعرة أصول العقيدة بحسب مصدر التلقي إلى ثلاثة أقسام :
1- قسم مصدره العقل وحده وهو معظم الأبواب ، ومنه باب الصفات ، ولهذا يسمون الصفات السبع " عقلية " وهذا القسم هو " ما يحكم العقل بوجوبه " دون توقف على الوحي عندهم.
2- قسم مصدره العقل والنقل معاً كالرؤية – على خلاف بينهم فيها – وهذا القسم هو " ما يحكم العقل بجوازه استقلالاً أو بمعاضدة الوحي ".
3- قسم مصدره النقل وحده وهو السمعيات أي المغيبات من أمور الآخرة كعذاب القبر والصراط والميزان وهو عندهم " ما لا يحكم العقل باستحالته لكن لو لم يرد به الوحي لم يستطع العقل إدراكه منفرداً " ....

الجواب : 1ــ قولكم أن هذا هو مصدر التلقي ،باطل بلا ريب وهو تخليط بين مسألة الأدلة والبراهين ،وبين مسألة مصدر التلقي ولا أريد أن أقول أنه تدليس ، بل أقول أنه مجرد جهل ،وقد سبق أن مصدر التلقي هو الشرع فقط بشرط العقل لأنه لا تكليف على مجنون ونحوه.

2ــ أما البراهين فعقلية وشرعية ، وبيان ذلك :أن الداعي إذا أراد دعوة كافر إلى دين الإسلام وقال له :ديننا حق وجاءنا رسول ..فقال له الكافر : أنت غير صادق فقال له : إن الله قال وقال وسرد عليه الأدلة من القرآن وقال له الكافر أنا لا أصدقك وأنت تتقول على الله ، فلا برهان أمامه إلا البرهان العقلي ،لاحل أبداً إلا أن تبدأ معهم بالبراهين العقلية والحقائق البدهية في حدوث العالم ،وأنه لابد له من محدث ،وإقامة البرهان على ذلك، ثم البراهين الدالة على النبوة ،وضرورتها. فهذا معنى برهانها عقلي . فالمسلم يؤمن برسوخ لا مجرد تقليد .

3ــ مسألة الرؤية :أهل السنة من الأشاعرة وغيرهم يقولون:أن الرؤية جائزة عقلاً دنيا وأخرى ، وواجب الإيمان بها شرعاً . أ ـــ هـــ[343] فالجواز العقلي مبني على أن كل موجود يصح أن يرى ، وأما الحكم الشرعي فهو أن الدنيا لا يمكن فيها رؤية الله تعالى إلا لمن استثناه الدليل ـــ وهو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج ،فقد وقع الخلاف بين الصحابة في ذلك ، وأما الأخرة فيجب الإيمان برؤية الله تعالى بلا كيف .خلافاً للمعتزلة اللذين نفوا الرؤية مطلقاً بدليل العقل، وخلافاً للكاتب ومن نحا نحوه الذين لا يؤمنون بالرؤية إلا إن كانت في جهة .

قال الكاتب: (النقل وحده وهو السمعيات أي المغيبات من أمور الآخرة كعذاب القبر والصراط والميزان وهو عندهم " ما لا يحكم العقل باستحالته لكن لو لم يرد به الوحي لم يستطع العقل إدراكه منفرداً.)أ ـــ هـــ

---

342 تفسير الطبري 103/7

343 شرح الجوهرة 266

لاشك أن من مخاطبة الناس بالحشر ،وعذاب القبر، وعذاب النار، قبل أن يؤمن بالله وبصدق الرسول صلى الله عليه وسلم قد لايجدي ، ومن لم يؤمن بأن القرآن منزل من الله لا يأتيه الباطل أبداً .فكيف تصنع مع التجريبيين اللذين لايؤمنون إلا بالمحسوس وبالتجربة والمشاهدة ؟!

لاحل أبداً إلا أن تبدأ معهم بالبراهين العقلية والحقائق البدهية في حدوث العالم ،وأنه لابد له من محدث ،وإقامة البرهان على ذلك، ثم البراهين الدالة على النبوة ،وضرورتها، ثم البراهين الدالة على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم .فإذا صدق بكل ذلك فمن الطبيعي أن يصدق بعذاب القبر وأن الميت يجلس في قبره ويسأل ،وأنه في نعيم أو عذاب ، ويفتح له في قبره باب إلى الجنة إن كان صالحاً، وهذه الأمور من البعث ونعيم القبر ونحوها لا تستطيع إثباته بالعقل ،وإنما بالنقل فقط ،فأنها أمور غيبية لاتدرك بمجرد التصور .وهذا واضح جداً لكل من له عقل يعي ،وتجارب في دعوة الملحدين والوجوديين والتجريبيين هذا كل ما في الأمر .[344]

استشكالات الكاتب في مسألة التكفير:

> التكفير عند أهل السنة والجماعة حق لله تعالى لا يطلق إلا على من يستحقه شرعاً ولا تردد في إطلاقه على من ثبت كفره بشروطه الشرعية .
>
> أما الأشاعرة فهم مضطربون اضطراباً كبيراً فتارة يقولون نحن لا نكفر أحداً وتارة يقولون نحن لا نكفر إلا من كفرنا وتارة يكفرون بأمور لا تستوجب أكثر من التفسيق أو التبديع وتارة يكفرون بأمور لا توجب مجرد التفسيق وتارة يكفرون بأمور هي نفسها شرعية ويجب على كل مسلم أن يعتقدها .
>
> فأما قولهم لا نكفر أحداً فباطل قطعاً إذ في المنتسبين إلى الإسلام فضلاً عن غيرهم كفار لاشك في كفرهم ، وأما قولهم لا نكفر إلا من كفرنا فباطل كذلك إذ ليس تكفير أحد لنا بمسوغ أن نكفره إلا إذا كان يستحق ذلك شرعاً .
>
> وأما تكفير من لا يستحق سوى التبديع فمثل تصريحهم في أغلب كتبهم بتكفير من قال إن الله جسم لا كالأجسام وهذا ليس بكافر ، بل هو ضال مبتدع ، لأنه أتى بلفظ لم يرد به الشرع والأشاعرة تستعمل ما هو مثله وشر منه ، وأما تكفير من لا يستحق حتى مجرد الفسق أو المعصية فكما مر في الفقرة السابعة من تكفيرهم من قال أن النار علة الإحراق والطعام علة الشبع .
>
> وأما التكفير بما هو حق في نفسه يجب اعتقاده فنحو تكفيرهم لمن يثبت علو الله ومن لم يؤمن بالله على طريقة أهل الكلام وكقولهم أن الأخذ بظواهر النصوص من أصول الكفر وكقولهم أن عبادة الأصنام فرع من مذهب المشبهة ويعنون بهم أهل السنة والجماعة ..
>
> ومن شواهد تكفير بعضهم قديماً وحديثاً لشيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم وحسبك ما في كتب الكوثري وتلميذه مؤلف براءة الأشعريين.

الجواب:

أما هذه فاعذرني أن أذكركم بالمثل العربي: رمتني بدائها وانسلت .[345]

قال ابن تيمية:فإنه في آخر شهر رمضان سنة ست وعشرين وسبعمائة جاء أَميران رسولين من عند الملأ المجتمعين من الأمراء والقضاة ومن معهم ...] ثم قال [فأخذا الجواب وذهبا ، فأطالا الغيبة ، ثم رجعا و لم يأتيا بكلام محصلٍ إلا طلب الحضور ، فأَغلظت لهم في الجواب ، وقلت لهم بصوت رفيع: يا مبدِّلين ، يا مرتدين عن الشَّريعة ، يا زنادقة] [346] .

وقال ابن تيمية ــ رحمه الله وغفر له ــ : [كما يقال الأَشعرية مخانيثُ المعتزلة ، والمعتزلة مخانيث الفلاسفة] .

ثم قال: [... وإِنما اعتقادهم أَنَّ القرآن غيرُ موجود ، لفظته الجهمية الذكور بمرَّة والأشعرية الإناث بعشرِ مرات] [347] . فهل التلفُّظ بمثل هذا مما يليق بعالم من علماء المسلمين؟!!! .

---

[344] راجع لعظيم الفائدة كتاب كبرى اليقينيان الكونية للشيخ محمد رمضان البوطي وفقه الله .

[345] راجع ما كتب بعالية ، عند الكلام عن وصية الإمام الرازي .

[346] التسعينية لابن تيمية: ص 2 ، 4 .

[347] المصدر السابق: 272ـــ 276 ورد الشيخ صلاح الدين الأدلبي .

1ـــ فاتهامك الأشاعرة بالتكفير باطل أيما بطلان ،وتنزيهك للشيخ عن القول بالتكفير باطل وقد تقدم إثبات ذلك.

2ـــ أن التكفير حكم شرعي مرده وبحثه في كتب الفقه في باب الردة فانظره للفائدة ،وليس في المسألة أشعرية ولا ماتريدية ،ولا مجسمة ،ولا رافضة ،إنما بحثه عند المذاهب الأربعة على أي معتقد كان الفقيه أو غيرها من المذاهب الفقهية ولكل أنا س مذاهبهم الفرعية .

3ـــ أن التكفير أصبح يا أخي الفاضل من خصائصكم ولا أريد أن أتكلم أكثر فالحر تكفيه الإشارة .

4ـــ (وأما تكفير من لا يستحق سوى التبديع فمثل تصريحهم في أغلب كتبهم بتكفير من قال إن الله جسم لا كالأجسام وهذا ليس بكافر ، بل هو ضال مبتدع ، لأنه أتى بلفظ لم يرد به الشرع)

المعتمد أنه مبتدع وراجع باب الردة في الفقه لتتبين .فمن أين أتيت بكونهم يكفرونه في أغلب كتبهم هداك الله ؟!!
قال ابن حجر الهيتمي قال الأسنوي : المجسمة ملزمون بالألوان وبالاتصال والانفصال ومع أنا لا نكفرهم على المشهور كما دل عليه كلام الشرح والروضة في الشهادات . أ ـــ هـــ [348]

(تكفيرهم من قال أن النار علة الإحراق والطعام علة الشبع).

سبق أن بينت معنى العلة فالفلاسفة يعتقدون استقلالية العلة في إيجاد المعلول، أي أنها تخلقه فهو شرك في الخالقية هداك الله .وقد كفرهم ابن القيم في إغاثة اللهفان وغيره .

(وأما التكفير بما هو حق في نفسه يجب اعتقاده فنحو تكفيرهم لمن يثبت علو الله)

هذا افتراء عليهم فهم لا يكفرون من يثبت صفة العلو لله وإلا لزمهم تكفير أنفسهم ،لكن إن قصدت تكفيرهم للقائل بالحلول في العرش أو الجهة ففيه خلاف بين العلماء وعلماء السلف كفروا الجهمية لأنهم قالوا بالحلول ،وهو نقص في حق الله تعالى رغم أن الحلولية إنما أخذوا بظواهر النصوص في الكتاب والسنة .ورغم ذلك فهم لا يكفرون الجهوية كما تظن قال ابن حجر الهيتمي : قال الشيخ : من زعم أن الله يحل في شيء من آحاد الناس أو غيرهم فهو كافر ، لأن الشرع إنما عفا عن المجسمة لغلبة التجسيم ،وأنهم لا يفهمون موجوداً في غير جهة بخلاف الحلول فإنه لايعم الابتلاء به.أ ـــ هـــ [349]

قال الكاتب: (وكقولهم أن عبادة الأصنام فرع من مذهب المشبهة ويعنون بهم أهل السنة والجماعة .)

الجواب: لا يا أخي من قال أنهم يعنون أهل السنة والجماعة ؟أتظنهم يكفرون أنفسهم أو يكفرون الماتردية أو الحنابلة أهل السنة ؟!إنما المشبهة من يشبهون الله بالمخلوق ،مثل الجواربي والهشامية والكرامية، أما أهل السنة والجماعة فهم الأشاعرة والماتردية وأصحاب الحديث من المفوضة لا المعتزلة ولا المشبهة . وأما كون المشبه يعبد صنماً فقد قالها ابن القيم وهذا مشهور عنه وقال والمعطل يعبد عدماً ، ولعله يقصد من يعطل الله عن الصفات لأني لا أظنه يقصد

---

[348] الإعلام بقواطع الإسلام ص25 ط دار الكتب العلمية
[349] الإعلام بقواطع الإسلام ص25.

من يعطل الله عن التشبيه ،أو من يعطل الله عن الحلول ،أو من يعطل الله عن التحيز إلى جهة من الجهات ، لأنه لا يقول ذلك رجل من أهل السنة .

5ـــ الأشاعرة لم يكفروا ابن تيمية بل دافع عنه الأشاعرة ومنهم ابن ناصر الدين الدمشقي صاحب كتاب المورد الصادي في مولد الهادي ،وكذلك ذب عنه ابن حجر وغيرهما من الأشاعرة .واعلم يأخي أن من كفر ابن تيمية[350] فقد كفره بمسائل مستبشعة قال بها فمنها مسألة تسلسل الحوادث ،وأن الله محل للحادثات ،وقوله أن الصفات تفسر بالمعنى الحقيقي في اللغة فلا تفوض ،وتجرى على ظاهرها ولا تأول،وقد أخطأ.و الإمام ابن تيمية قد تاب عن عقائده هذه ورجع إلى عقيدة أهل السنة والجماعة وقد تقدم إثبات توبته رحمه الله تعالى ، رغم أنه ما أراد إلى تنزيه الله .

وأما كتبه بوضعها الراهن فلا يعّول عليها في الحكم على الرجل لأسباب منها تناقضها فيثبت في موضع وينفي في موضع أخر .

ومنها أنه لم يجمعها بنفسه فإثمها على من يروج للباطل الذي فيها .ومنها أنه تاب عن مافيها إن ثبت قطعاً عليه .

ومنها أنك تجد عشرات الأوراق مفقودة فيقول المحقق :هنا سقط بمقدار كذا وكذا ورقة ،أو سطر . فكيف ندري بماقال ؟!!فنبرأ إلى الله من أن ننسب إليه شيئاً من هذه الأوراق التي لا تثبت عنه .

ومن حكم عليه بالكفر فهو رأيه هداه الله. ولو كان كافراً لحكم عليه القضاة في عصره بالكفر .وأما تكفير الفلاسفة القائلين بالطبع والعلة وغيرها فقد تقدم الكلام في المسألة .فهم يعنون بالتأثير أي الخلق ، وأهل السنة يعتقدون انفراد الله بالخلق وحده بلاشريك ولا معاون .

مجازفات

قال الكاتب: هل بقي شك ؟ بعد هذه المخالفات المنهجية في أبواب العقيدة كلها وبعد هذا التميز الفكري الواضح لمذهب الأشاعرة إضافة إلى التميز التاريخي هل بقي شك في خروجهم عن مذهب أهل السنة والجماعة الذي هو مذهب السلف الصالح .لا أظن أي عارف بالمذهبين ولو من خلال ما سبق هنا يتصور ذلك .

الجواب : لم يبق شك في أنك تسرعت هداك الله ،وتصورت المسائل على غير ماهي عليه، فنتج عن التصور الفاسد حكم فاسد ، والتقليد الأعمى لا ينفع في مثل هذه المواطن .

قال الكاتب: وكما سيلاحظ القارئ هنا يرجع معظم تناقضهم إلى كونهم لم يسلموا للوحي تسليماً كاملاً ويعرفوا للعقل منزلته الحقيقية وحدوده الشرعية و لم يلتزموا بالعقل التزاماً واضحاً ويرسموا منهجاً عقلياً متكاملاً 6كالمعتزلة والفلاسفة ، بل خلطوا وركبوا فتناقضوا واضطربوا.

الجواب: هذه دعاوى باطلة مفادها أن الكاتب يريد أن يكون علماء أهل السنة من الأشاعرة إما حمقى يأخذون النصوص بلا فهم ، وهذا ما يسميه تلطفاً بالتسليم، أو أن يحكّموا عقولهم في النصوص تحكيماً فاسداً كما فعلت الفلاسفة والمعتزلة .!!

---

350 الذي قال بتكفيره هو الإمام العلاء البخاري غفر الله له ولا بن تيمية , وقد رد عليه علماء الأشاعرة ،وللفائدة فهو ليس أشعري وإنما هو (حنفي) .

ولكن الله تفضل على علماء أهل السنة والجماعة من السادة الأشاعرة وغيرهم بأن كانوا وسطاً ، فلم يعطلوا عقولهم التي تفضل بها عليهم، و لم يردوا بها النصوص .

أمثلة ظن الكاتب أنها تناقضات

قال الكاتب: وإليك أمثلة سريعة للتناقض ومكابرة العقل :

1– قالوا : إن الجهة مستحيلة في حق الله ثم قالوا بإثبات الرؤية ، ولهذا قيل فيهم : " من أنكر الجهة وأثبت الرؤية فقد أضحك الناس على عقله "

الجواب: أنتم يا أخي تظنون أن الله مثل المخلوقات ،فكما أن المخلوق لا يمكن أن يرى إلا في حيز وجهة مقابلة ، فكذلك الخالق لا يرى إلا كذلك ، قياساً للخالق على المخلوق .

وأما أهل السنة والجماعة فيؤمنون برؤية الله تعالى بلا كيف، ولا تشبيه، ولا تعطيل، فكما أن من خصائص المخلوق أن يكون في مكان وجهة ،فمن خصائص الخالق أنه لا يحل في مكان ولا جهة ،ومع ذلك يراه المؤمنون. فإن قلت كيف يمكن ذلك ؟ قلت لك ما قال السلف :آمنا بذلك بلا كيف وكيف عنه مرفوع . سلمنا لله و نقف عند ذلك لأن ما بعده إلا الضلال؟!.

فائدة :مذهب أهل السنة من الأشاعرة وغيرهم وسط بين مذهبين :

1ــ مذهب المعطلة اللذين ينكرون رؤية الله .

2ــ ومذهب المشبهة اللذين ينكرون رؤية الله إلا إن كانت في جهة تشبيهاً للخالق بالمخلوق.

وقد تقدم الكلام في كون الدهرية لا يؤمنون بأزلية الله إلا مرتبطة بزمن، فصار كلامهم إلى إثبات أزلي مع الله وهو الزمن ، والجهوية لا يؤمنون بوجود الله إلا إذا كان في جهة . والحلولية لا يؤمنون بوجود الله إلا وهو في كل مكان .وقد أغتر الجميع بظاهر الفهم لآيات وأحاديث ،بينما لها في اللغة والشرع كثير من المعاني ،فتمسكوا بالباطل من المعاني وتركوا المعاني الصحيحة اللأئقة بالله.

وأهل السنة والجماعة يؤمنون بوجود الله من قبل أن يخلق الخلق ، وهو لايتغير ولا يتبدل .

3– قالوا : إن لله سبع صفات عقلية يسموها " معاني " هي " الحياة والعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام " و لم يكتفوا بهذا التحكم المحض ، بل قالوا : إن له سبع صفات أخرى يسموها " معنوية " وهي " كونه حياً وكونه عالماً وكونه قادراً وكونه مريداً وكونه سميعاً وكونه بصيراً وكونه متكلماً " ثم لم يأتوا في التفريق بين المعاني والمعنوية بما يستسيغه عقل بل غاية ما قالوا أن هذه الأخيرة أحوال فإذا سألتهم ما الحال ؟ قالوا : صفة لا معدومة ولا موجودة .

الجواب : اولاً : الصفات السبع هي بعض صفات الله تعالى ،وليست كل ما يجب إثباته لله ،لأن كمالات الله تعالى لا حد لها ، ولكن لعجزنا عن إحصاءها لم يكلفنا الله تعالى بإحصاءها تفصيلاً ,وإنما المطلوب أن نؤمن بما علمنا منها وما لا نعلم ، فمنها من علمه بعض خلقه ومنه من علمه الجميع ومنه ما استأثر بعلمه كما في الحديث في أسماءه جل شأنه.

و هذه الصفات السبع قطعية فمن أنكرها فهو ضال. فالله حي وله صفة الحياة قال تعالى (الله لاإله إلا هو الحي القيوم) .ويعلم كل من له عقل أنه لو لم يكن حياً لما كان قادراً ولا متصفاً بالعلم ولا غيره من صفات الذات فهذا دليل عقلي .وهو قادر وله صفة القدرة وهكذا في بقية الصفات ،فليس تحكم محض بل هو إثبات ما أثبته الله تعالى لنفسه من صفات وهو ثابت بالنقل والعقل .

ثانياً : أن معتمد الأشاعرة عند جمهورهم والمحققين منهم عدم إثبات صفات الأحوال .

قال الباجوري : المختار عند المحققين أنه لا حال وأن الحال محال .[351]وقال واما إنكار المعنوية بمعنى الأحوال فهو الحق.[352]

ثالثاً : من أثبت هذه الأحوال استند إلى كون الموجودات أربعة فمنها:الموجودات : وهي ما يمكن رؤيته لأنه موجود .[353] المعدومات : وهي التي ليس لها ثبوت أصلاً.

الأحوال: وهي التي لها ثبوت ولكن لاترى فهي حالة متوسطة بين ما يرى وبين العدم المحض.[354]هذا معنى قولهم صفة حال .فشغب الكاتب غفر الله له وكأنه يؤلف الكتب لأناس جهلة بالعلوم !!فأين احترام عقول القراء؟! فلم يبين المسائل ويصور ها ،ثم إن أراد أن ينقضها فله ذلك ولكن بعد التصوير الحقيقي للمسائل.

أنواع الخبر

ينقسم الخبر إلى قسمين متواتر وآحاد:

المتواتر يفيد القطع بصحته .وكون الخبر المتواتر يفيد العلم أي القطع بصحته هو قول أئمة المسلمين وغيرهم.[355]

ــ فائدة : أنكرت الملاحدة والرافضة العلم (اليقين العقلي) وحجتهم أختلاف العقلاء.قال المرداوي الحنبلي وهذا تناقض منهم مع أن العقل حجة الله على خلقه.

3ــ للمتواتر شروط بعضها متفق عليه وبعضها مختلف فيه .

فمن المتفق عليه بحسب المخبرين أن يتعدد المخبرون تعدداً يمنع أتفاقهم على الكذب بطريق الاتفاق أو بطريق المواضعة.[356]

خبر الآحاد: هو ما لم يصل إلى رتبة التواتر .وأسباب عدم الوصول إلى رتبة التواتر ما يلي:

الأول: أن يكون العدد الراوي للخبر لا يصل إلى العدد المشترط في التواتر وقد أجمع العلماء أنه لا يحصل بأقل من أربعة ثقات يستحيل تواطئهم على الكذب فلابد أن يكون أكثر ثم وقع الخلاف في العدد المعتبر فوق لأربعة .[357]

تنبيه : ماورد من حصوله بإثنين هو قول ساقط لا يلتفت إليه هكذا ذكر أهل العلم وهو خلاف الإجماع المحكي في كونه لا يحصل بدون أربعة .[358]

الثاني: أن يكونوا كثرة كاثرة لكن لم ينتهوا إلى إفادة العلم باستحالة تواطئهم على الكذب.

الثالث: أن يختل الشرط في شيء من الطبقات.

---

[351] شرح جوهرة التوحيد 188.

[352] شرح الجوهرة 189

[353] طبعاً وجوده في الخارج .

[354] شرح الجوهرة 188

[355] أنظر التحبير شرح التحرير 1751 والمستصفى 132/1

[356] التحبير 1778للمرداوي

[357] التلخيص 1ــ721/2 والتحبير 1786

[358] لتحبير 1786

إذن فلا يقصرون الأحاد على الواحد بل المقصود ما لم يفيد العلم أي القطع بمطابقة الخبر للواقع.

الخلاف في المشهور:

قال الآمدي وابن حمدان وبعض الحنابلة أن المستفيض ويسمى (المشهور)نوع من الآحاد قال البرماوي وهو الأرجح .[359]والقول الثاني : أنه قسم ثالث غير المتواتر والآحاد.

وحد المشهور : أنه مازاد نقلته عن ثلاثة فلابد أن يكون اربعة فصاعداً ما لم يصل إلى حد المتواتر .[360]

وعند المحدثين ثلاثة فأكثر .[361]

هل خبر الأحاد يفيد الظن

فيه أقوال

1ـــ أنه يفيد الظن فقط وهو مذهب الإمام أحمد وأكثر العلماء .[362]وهو الصحيح عن الإمام أحمد وأكثر أصحابه وأكثر العلماء من المذاهب الأخرى.نص عليه أحمد في رواية الأثرم.

قال الحارث المحاسبي في كتابه ((فهم السنن)): هو قول أكثر أهل الحديث .[363]

2ـــ وقيل يفيد العلم إذا حفت به قرائن كثيرة .لكن قال الماوردي القرائن لا يمكن أن تضبط بعبارة.[364]

فائدة : بعد أن تقرر أن أكثر العلماء على أن خبر الأحاد لايفيد القطع أختلف الحنابلة هل يعمل[365] بالأحاد في العقيدة .

الرواية الأولى : أنه لا يعمل به أختارها ابن عقيل والخطابي وغيرهم .

الرواية الثانية أن يعمل به بشرط أن تتلقاه الأمة بالقبول .قالوا ولهذا قال أحمد: قد تلقتها العلماء بالقبول .[366] وقال الإمام ابن قدامة المقدسي–رحمه الله تعالى-: القسم الثاني : أخبار الآحاد ، وهي ماعدا المتواتر ، اختلفت الرواية عن إمامنا في حصول العلم بخبر الواحد ، فروي أنه لا يحصل به ، وهوقول الأكثرين ، والمتأخرين من أصحابنا ، لأنا نعلم ضرورة أنا لا نصدق كل خبر نسمعه ، ولو كان مفيدا للعلم لما صح ورود خبرين متعارضين ، لاستحالة اجتماع الضدين ، ولجاز نسخ القرآن والأخبار المتواترة به ، لكونه بمنزلتهما في إفادة العلم ، ولوجب الحكم بالشاهد الواحد ولاستوى في ذلك العدل والفاسق كما في التواتر . أ ـــ هـــ [367]

---

[359] ألفية البرماوي نقلاً عن التحبير 1804
[360] التحبير 1806 وشرح الكوكب 2/ 346
[361] تدريب الراوي 173/2
[362] أنظر العدة 898/3 والتمهيد 3/ 78والمستصفى 136/1
[363] توضيح الأفكار 26/1
[364] أنظر 16/ 85
[365] العمل شيء والعلم شيء أخر فتنبه لذلك.
[366] أصول ابن مفلح (153/2)
[367] روضة الناظر 260/1

قال البرماوي والزركشي : المسألة مبنية على أنه يفيد العلم أم لايفيد ؟إن قلنا يفيد العلم عمل به فيها وإلا فلا.[368]

ثمرة الخلاف:1ـــ الخلاف في تكفير منكره والصحيح أنه لايكفر لأنه لايفيد العلم أي لايفيد القطع به.

2ـــ إن قلنا يفيد العلم أي القطع قبل وإلا فلا.[369]

إذا علمت ما سبق استفدت جهل من يخرج الأشاعرة ، والماتردية ، والحنابلة المفوضة من أهل السنة والجماعة ، ثم يتبنى عقيدة الكرامية في الجهة، وحلول الحوادث بذات الله، وقدم اللعالم النوعي ،ويظنها عقيدة السلف الصالح فنسأل الله ان يهدينا وإياهم لما يرضيه.

قال الكاتب هداه الله : إن الأجوبة كلها بدهية ولكن ماذا نصنع وقد ابتلينا بمن ينكر البدهيات .أيهما الفرقة الناجية ؟

الجواب :اما كونه من البدهيات فهذا كلام من لا يفرق بين البدهي والنظري ،فكيف يحكم اصلاً في مصير أمة بأسرها؟!!

تعريف البدهي أو البديهي: هو الذي لا يتوقف حصوله على نظر وكسب .[370]

مثال البدهيات: أن الواحد نصف الأثنين .

كيف يكون أهل السنة والجماعة ثلاثة مسالك؟

قال الكاتب: قد أوضحنا فيما سبق أن أهل السنة والجماعة والأشاعرة فرقتان مختلفتان ،
وهذا يستلزم تحديد أيهما الفرقة الناجية ؟
وما أوضح هذا التحديد وأسهله ، لكن مكابرة بعض الأشاعرة بادعاء أن الأشاعرة وأهل السنة والجماعة كلاهما ناج يجعلنا نبدأ بإلقاء سؤال عن الفرقة الناجية :
أهي فرقة واحدة أم فرقتان ؟
والجواب : - مع بداهته لكل ذي عقل – مفروغ منه نصاً ، فقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم في روايات كثيرة لحديث افتراق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة : " أنها كلها في النار إلا واحدة ".
وما قال صلى الله عليه وسلم ولا أحد من أصحابه ولا تابعيهم إنها اثنتان ،

الجواب :اولاً :قولكم يا أخي الكريم :(والجواب : - مع بداهته لكل ذي عقل – مفروغ منه نصاً)هو قول غير صحيح لأن الحديث ليس بنص في المسألة ،بل هو محتمل المعنى ،فقد اختلف العلماء في معنى هذه الأمة التي تفترق على قولين : فمنهم من قال إنها أمة الإجابة وهو قول الجمهور. ومنهم من قال إنها أمة لدعوة أي جميع من بعث إليهم الرسول صلى الله عليه وسلم،وممن ذكر الخلاف اللجنة الدائمة بفتواها رقم (4246)فلا تتعجل غفر الله لك.

ثانياً : الخطأ ليس في الحديث ولا في كونها فرقة واحدة ،ولكن الخطأ هو فهمك للحديث ثم تنزيل ذلك الفهم على الواقع ـــ هداك الله ـــ .

فأما الخطأ في فهم الحديث :فهو أنك ظننت أن الاختلاف في المنهج أي في الأسلوب المقرر للعقيدة وكذا الخلاف في ظنيات المسائل العقدية هو علامة تميز الفرقة الناجية من غيرها.والصواب أن المقصود اختلاف في الأمور الاعتقادية

---

[368] البحر المحيط 4/ 266 وألفية البرماوي 38أ نقلاً عن التحبير
[369] شرح الكوكب المنير 353 والبحر المحيط 266
[370] التعريفات 63

القطعية نفسها، لا الظنيات ولا في أسلوب التقرير مادام أن النتائج في القطعيات لا تختلف.وإلا للزم تضليل الصحابة لبعضهم في مسألة عقدية كمسألة رؤية الرسول لربه في ليلة الإسراء والمعراج ، فبينهم خلاف في هذه المسألة العقدية لم يُبنى عليه تضليل ،لأنه ظني.

والاعتقاد : هو الحكم الجازم المطابق للواقع.

وسبق أن علمنا أن الجزم لا يكون إلا بدليل قطعي، وسبق أن بينت ما معنى القطعي والظني ،وأنواع الظني.

الخطأ الثاني: هو إنزال حكم على الواقع حسب تصورك المسبق ، فإذا علمنا أن المقدمة الأولى وهي تصورك للمسألة تصور خاطىء وظنك أنه في طريقة التقرير ، و لم تفرق بين المسائل الظنية والقطعية فقد بني عليه حكم خاطىء .والقاعدة تقول (فساد التصور يسبب فساد الحكم) .

وقول الكاتب: (أن أهل السنة والجماعة والأشاعرة فرقتان مختلفتان)

الجواب: أنها فرقة واحدة هي (أهل السنة والجماعة)وإنما الحنابلة ،والأشاعرة ،والماتردية هي مسميات فقط ، سواء أسميناها جماعات، أو مذاهب ،أو مسالك ،ولكن كلها داخلة في كونها فرقة أهل السنة والجماعة، الفرقة الناجية ، وهذه الثلاث قد تختلف فيما بينها في أمور لاتوجب التضليل.

قال الكاتب: (وما قال صلى الله عليه وسلم ولا أحد من أصحابه ولا تابعيهم إنها اثنتان)

إذا كانت الفرق ثلاث وسبعين فرقة فقط ، ورجعنا إلى تعداد الفرق وجدنا أنها أكثر من ذلك بكثير وهذا يقود إلى أحد أمرين : إما الطعن في ثبوت الحديث وهذا ما ذهب إليه بعضهم.

أو أن لذلك توجيه علمي صحيح : و التوجيه هو الصواب .وتوجيه ذلك أن العبرة بالأصول القطعية في العقيدة ،وليست العبرة بالمسائل الظنية كمسألة التأويل السائغ والتفويض، وكمسألة اختلاف الصحابة في كون الرسول صلى الله عليه وسلم رأى ربه بالعين الباصرة، وكالاختلاف في بعض الصفات المتشابهة هل هي صفة ذات أم صفة فعل؟ وكالاختلاف في صفات التكوين هل هي صفات ذات أم فعل؟ ونحوذلك.

وأزيد ذلك بياناً وإيضاحاً فأقول : الكرامية مثلاً فرقة واحدة واختلافها على مسميات وهي ستة العابدية والتونية والزرينية ....إلخ . لا يعني أنها فرق شتى ،وإلا لأصبحت الآف الفرق وليست بثلاث وسبعين ،وإنما العبرة بالأصول والقطعيات ،و حينما أقول القطعيات أعني بها حسب الاصطلاح العلمي وقد سبق بيانه،وقل هذا في الخوارج على كثرة تعدادها ،والمعتزلة بطوائفها وغيرهامن الفرق .

ولذا فإن أهل السنة والجماعة هي ثلاثة مسالك : الحنابلة (والبعض يسميهم أصحاب الحديث أو الأثرية ولا مشاحة في الاصطلاح)والأشاعرة والماتردية ،لأن خلاف أهل السنة هو في مسائل ظنية .

وأما خلافات أهل السنة والجماعة بينهم فلا ضير .فإن الخلافات تجري بين العلماء في الظنيات ، ولكن لم يخرج أحد منهم أخاه من أهل السنة والجماعة ،فلم أجد أحداً يقول أن الأشاعرة ليسوا من أهل السنة والجماعة ، و لم أجد من يقول أن الماتريدية ليسوا من أهل السنة ، و لم أجد من يقول أن مفوضة الحنابلة ليسوا من أهل السنة والجماعة، إلا رجل متعصب شذ عن القاعدة فالشاذ لا حكم له،فأما ردودهم على بعضهم في فروع العقيدة ،وهي المسائل الظنية المتعلقة بالأصول الستة ،كمسألة تقرير الصفات وبيانها هل يكون بأسلوب الإثبات مع التنزيه ثم التأويل ،أم بأسلوب

الإثبات مع التنزيه ثم التفويض؟فكل له دليله وقد سبق سوق الأدلة ،والأمر فيه سعة لمن فقه الخلاف، فكلهم اتفقوا على الإثبات مع التنزيه ، ثم اختلفوا خلاف اجتهادي هل الصحيح هو التفويض أم التأويل ؟أو هل الأولى التفويض أم التأويل ؟.ومن خلافاتهم الاجتهادية : هل الأحاديث الظنية يُثبت بها الصفات أم لا؟

فالجمهور على أن إثبات الصفات أمر قطعي لايبنى على الظنيات .وبعضهم ذهب إلى إثباتها بالمشهور من الأحاديث دون العزيز .

وذهب البعض إلى إثبات ذلك لكن بخبر الواحد مع عدم الإلزام لمخالفه ، لأن مستنده ظني الثبوت .

النتيجة عند الكاتب أن الأشاعرة ضلال

قال الكاتب:تبين مما تقدم أن الأشاعرة فرقة من الثنتين وسبعين فرقة وأن حكم هذه الفرق الثنتين وسبعين هو : 1- الضلالة والبدعة. 2- الوعيد بالنار وعدم النجاة . وهذا مثار جدل كبير ولغط كثير ممن يجهلون مذهب أهل السنة والجماعة في الوعد والوعيد ، إذ ما يكادون يسمعون هذا حتى يرفعون عقيرتهم بأننا ندخل الأشاعرة النار ونحكم عليهم بالخروج من الملة عياذاً بالله . ونحن نقول أنه لا يصح تفسير ألفاظ أو إطلاقات مذهب السلف في الوعد والوعيد إلا من خلال أقوالهم هم وعلى الذين يجهلونه أن يستفصلوا قبل أن يتسرعوا بادعاء التكفير . إلى أن قال : .... والحاصل أن قولنا أن الأشاعرة فرقة ضالة يعني أنها منحرفة عن طريق الحق ومنهج السنة ولا يعني مطلقاً خروجها عن الملة وأهل القبلة ....أ ــ هــ

التعليق : قرر الكاتب حسب تصوره السابق عدة أشياء:

1ــ أن الأشاعرة ليسوا بكفرة كفراً يخرج من الإسلام . وهذه نعمة فلله الحمد على كل حال!!!

2ــ أنها من الأثنتين والسبعين فرقة الضالة عن الحق المتوعدة بالنار.

3ــ أنه لا يجزم بدخولهم النار فالحكم الوصفي غير العيني.

4ــ أن الأشاعرة ضلال عن الحق. وهذا كلامه(والحاصل أن قولنا أن الأشاعرة فرقة ضالة يعني أنها منحرفة عن طريق الحق ومنهج السنة ولا يعني مطلقاً خروجها عن الملة وأهل القبلة)

(ولهذا نجد أن من كفر الجهمية من السلف مثل ابن المبارك ووكيع أخرجوهم من الثنتين وسبعين فرقة وألحقوهم بالسبئية والغرابية وأمثالها .وحتى في المناهج الجامعية نجد أن كليات أصول الدين مثل كليتي مكة والمدينة حالياً تفصل بين الفرق الخارجة عن الإسلام وبين الفرق الأخرى .) أنتهى كلامه في الدنيا ،وأما الأخرة فلا أدري ما ذا سيقول!!

التعليق: ولاجديد هنا فوق ماقرره سابقاً .

وإذا تقرر هذا تبين أنه لا مبرر لمطالبة الأشاعرة بإدخالهم في أهل السنة والجماعة بدعوى أن هذا يجنبهم تهمة الخروج من أهل القبلة لأن ذلك يعني هدم هذه القاعدة كلها ، إذ لو أدخلناهم لأدخلنا غيرهم حتى لا يبقى من تلك الفرق الثنتين وسبعين فرقة إلا دخلت . وهذا ليس في أيدينا ولا في يد بشر ، إنما نحن متبعون لا مبتدعون . أما باب الدخول الحقيقي فمفتوح على مصراعيه ، فمن الذين منعهم أن يرجعوا إلى عقيدة أهل السنة والجماعة التي هي عقيدة القرون الثلاثة والأئمة الأربعة وسائر أئمة الهدى في هذه الأمة المعصومة ؟

الجواب :سبحان الله! ومن الذي أخرجهم من الفرقة الناجية حتى نستجديه إدخالهم ؟!!قد تبين مما سبق أن الأشاعرة رؤوس أهل السنة والجماعة، ولكن الكاتب هداه الله قد أبعد النجعة من بداية التأليف والدراسة ،وعشعش في ذهنه كثير من الأخطاء العلمية والمعرفية ،وحصر نفسه في كتب معينه دون أن يعلم الحقائق العلمية ،والتاريخية كما هي ،ومن عرف من هم علماء الأشاعرة ،علم هل مثل هؤلاءالأئمة يجرأ أحد على تضليلهم بدعوى أن فلان قال

ذلك ؟! وخصوصاً بعد أن تبين لك بالغ الوهم والغلط عند الكاتب وغيره في فهم كثير من المسائل ، والعبرة ليست فيما يقرأ ولكن العبرة بفهمها على ما هي عليه فهماً صحيحاً .

وأخيراً : كلمة التوحيد أساس توحيد الكلمة :

قال الكاتب: ، إن دعوى تقديم توحيد الكلمة على كلمة التوحيد مصادمة للحق من جهة ولسنن الله في الحياة من جهة أخرى .
وأمام القائلين بها خياران لا ثالث لهما :
1- إما أن يلتزموا تعميم هذا الحكم على كل من انتسب للإسلام ، وعليه فلا يجوز أن نثير أو نبحث خلافاً أو نكتب رداً على أي فرقة تدعي الإسلام كالقاديانية والبهائية والدروز والنصيرية والروافض والبهرة والصوفية الحلولية وسائر الطوائف الكافرة ، بل ندعوها جميعاً إلى جمع الصف ووحدة الكلمة لمحاربة الشيوعية والصهيونية وما منها إلا من هو معلن لذلك إن صدقاً وإن كذباً .

الجواب: في هذه الكلمات يصور الكاتب أن الأشاعرة يستجدونه لأن يسميهم أهل سنة وجماعة وهو رد منه على طلب الشيخ الصابوني ــ وفقه الله ــ الذي أراد لم شمل الأمة وقبول التقارب مع هؤلاء الغلاة وإن كانوا على باطل لأجل وئد الخلاف ، واتحاد الأمة ضد أعدائها .
والكاتب يتصور أن حفظ لسانه عن تبديع أهل السنة والجماعة من الأشاعرة ، هو كالسكوت عن البهرة والقاديانية الكفرة المجمع على كفرهم فسبحان الله إلى أين وصل الغلو وسوء الفهم؟!!.

2- (وإما أن يقولوا : كلا ، لا يعم هذا الحكم كل المنتسبين للإسلام ، بل لابد من بيان كفر وضلال تلك الفرق وليس في ذلك تفريق ولا تمزيق ، وإنما نريد توحيد صف أهل السنة والأشاعرة أو الفرق التي ليست ضالة ولا منحرفة !!
فنقول لهم حينئذ:
أولاً : قد نقضتم قاعدتكم بأنفسكم ، فلا ترفعوا هذا الشعار إلا مقيداً مشروطاً إن كنتم صادقين ، لكن أخبرونا بأي معيار من معايير العدل تريدون السكوت عن إثارة الخلاف مع هذه وتحكمون بعدم ضلالها ووجوب إثارته مع تلك وتحكمون بضلالها . أنهاجم الإباضية ونتآخى مع الرافضة مثلاً أم العكس ؟ أو نشنع على الرافضة ونصمت عن الصوفية ؟ أم ماذا ؟ ما هو المعيار ؟ وهل هناك حقاً فرق ضالة فأخبروني ما هو الضلال إذن ؟

وهنا يطالب الكاتب بشروط للسكوت عن الخلافات التي يفتعلها مع الأشاعرة ،ويصور أن الخلافات كلها على نسق واحد ،فخلط بين الخلاف في القطعيات والخلاف في الظنيات .
وخلط بين مسألة التعاون ضد العدو والكافر الأصلي ، وبين السكوت عن الرد العلمي الصحيح لبيان بدعة ونحوها .وأقول: أن الكاتب لم يحسن في شيء من الجانبين فلا عدل في ردوده ولا علم بما يكتب فيه .
ولا سلمنا على وحدة الأمة.
قال الكاتب:

(1) إما أنكم أنتم وحدكم أهل السنة والجماعة ، ولكن تقبلون التوحيد معنا تنازلاً وتفضلا على ما فينا - بزعمكم - من تشبيه وتجسيم وحشو وكفر وضلال .
(2) و إما أنكم لستم من أهل السنة والجماعة ولكن تريدون التوحد معهم طالبين منهم التنازل والتفضل بقبولكم على ما فيكم من بدعة وضلالة .
فإذا حددتم أحد الموقعين أمكن بعد ذلك عرض موضوعكم إما على أصول العقيدة وقواعدها إن اخترتم الأول ، وإما على ضوابط المصلحة وحدودها الشرعية إن أقررتم بالآخر فأمامكم الخيار و إنا لفي الانتظار .
أما أن نظل نحن وأنتم مختلفين متصارعين منذ أيام أحمد بن حنبل وابن كلاب ثم أيام البربهاري والأشعري ثم أيام الشريف أبي جعفر وابن القشيري ثم أيام عبدالقادر الجيلاني وأبي الفتوح الإسفرائيني ثم أيام شيخ الإسلام والسبكي ثم
أيام محمد بن عبدالوهاب ومعاصريه منكم ، ثم أيام المعلمي والكوثري ثم أيام الألباني وأبي غدة وأخيرا إلى الفوزان والصابوني ..
وبعد هذا كله ومعه تقولون أننا وإياكم فرقة واحدة ومنهج واحد فهذا مالا يعقله عقل ولا يصدقه تاريخ .
غير أننا لابد أن نذكّر بحقيقة كبرى هي أن النبي صلى الله عليه وسلم قد قال : " ستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة " وهذا الخبر الصادق لا يمكن معه اختصار الفرق إلى سبعين ولا إلى سبع فضلا عن واحدة فالخير إذن كل الخير أن يبحث الإنسان عن الحق ويعتقده ويدعو إليه وإن خالفته الدنيا كلها وأن يجتنب الضلال ويدعو إلى نبذه ولو داهنه أصحابه كلهم ، هذا هو الذي سار عليه رسل الله وأمر به الله فلا تصادموا سنة الله وتخالفوا منهج رسله والحمد لله رب العالمين .

الجواب : في النفس الأخير للكاتب يوضح الصورة أكثر ،وهي اعتقاده أنه على معتقد الحنابلة .وأقول وبالله التوفيق لعلك ترى أن الكاتب خلط خلطاً شديداً بين الخلافات اليسيرة كالخلاف بين الإمامين أحمد بن حنبل وعبدالله بن كلاب .وقد سبق الكلام عنه وظهر أنها مسألة اجتهادية،والشريف أبي جعفر والقشيري .وهو خلاف بين التفويض والتأويل وكل له دليله وهي مسألة ظنية سبق الكلام عنها، وكذا خلاف الإمام عبدالقادر الجيلاني و الإسفراييني.
وبين خلافات في القطعيات كالخلاف بين ابن تيمية وغيره من علماء القرن الثامن كالسبكي ،وقد انتهى بتوبة ابن تيمية كما في الدرر الكامنة للحافظ ابن حجر.وكانت خلافات في قول ابن تيمية وتلميذه بأزلية العالم النوعي ، ومسألة حلول الله في الخلاء العدمي ، ومسألة إدعاء أن الله تحل فيه الحوادث ،
فأقول وبالله التوفيق وعليه التكلان :
اولاً : فرق كبير بين عقيدة الحنابلة وعلى رأسهم الإمام أحمد ،وبين عقيدة الأخ الحوالي هداه الله التي أخذها من كتب تنسب للإمام ابن تيمية رحمه الله.
ثانياً : يلاحظ القارىء الكريم أن هؤلاء الذين جرى بينهم الخلاف يعدون على الأصابع ومن نظر في عدد علماء الحنابلة والأشاعرة على مر السنين وجدهم الاف مؤلفة.
متى بدأت الفتنة بين الفريقين :

وقد كان أهل الحديث والحنابلة مع الأشعرية والماتريدية يداً واحدة على المبدعة والزنادقة , وكانوا كالشيء الواحد حتى حصلت في القرن الخامس الهجري حادثة عرفت بفتنة بغداد تسببت في الفرقة بين الطائفتين , قال الإمام ابن عساكر في كتابه تبيين كذب المفتري ص 163(و لم تزل الحنابلة ببغداد في قديم الدهر على ممر الأوقات تعتضد بالأشعرية على أصحاب البدع لأنهم المتكلمون من أهل الإثبات فمن تكلم منهم في الرد على مبتدع فبلسان الأشعرية يتكلم ومن حقق منهم في الأصول في مسألة فمنهم يتعلم فلم يزالوا كذلك حتى حدث الاختلاف في زمن أبي نصر القشيري) اهــ.

وقد ذكر هذه الحادثة كثير من أهل التواريخ والسير ومنهم الذهبي في السير وابن رجب في ذيل الطبقات وابن الأثير في الكامل وابن كثير في البداية والنهاية وغيرهم , وانظر مثلا البداية والنهاية 115/12 .

موقف الإمام ابن تيمية من تلك الفتنة والخلاف بين الأشاعرة والحنابلة :

مع أن الإمام ابن تيمية يخالف الأشاعرة في أشياء إلا أن موقفه منهم لم يكن موقف المعادي بل موقف من يؤلف بين القلوب ويقارب بين وجهات النظر بين الأشعرية والحنبلية حيث قال كما في مجموع الفتاوى 53/6: (و

الأشعرية فيما يثبتونه من السنة فرع على الحنبلية كما أن متكلمة الحنبلية فيما يحتجون به من القياس العقلي فرع عليهم وإنما وقعت الفرقة بسبب فتنة القشيرى) اه وفي مجموع الفتاوى أيضا 17/4: (قال أبو القاسم بن عساكر : ما زالت الحنابلة والأشاعرة في قديم الدهر متفقين غير مفترقين حتى حدثت فتنة ابن القشيري) اهــ.[371]

من أقوال علماء أهل السنة والجماعة في بيان من هم أهل السنة والجماعة؟

اولاً :أقوال الحنابلة:

قال القاضي أبو يعلى الفرا رحمه الله: وقد أجمع علماء أهل الحديث ،والأشعرية منهم على قبول هذه الأحاديث ،فمنهم من أقرها على ما جاءت وهم أصحاب الحديث ،ومنهم من تأولها وهم الأشعرية وتأويلهم إياها قبول منهم لها ،إذ لو كانت عندهم باطلة لاطرحوها كما اطرحوا سائر الأخبار الباطلة .وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:" أمتي لا تجتمع على خطأ ولا ضلالة" .[372]

ـــــــــــ وقال الإمام عبد الباقي البعلي الحنبلي في العين والأثر ص59 : (وللكلام على المقصد الثاني تقدمة، وهي أن طوائف أهل السنة ثلاثة: أشاعرة وحنابلة وماتريدية.أ ـــ هــ

ـــــــــــ وقال الإمام السفاريني الحنبلي في لوامع الأنوار: أهل السنة والجماعة ثلاث فرق :الأثرية وامامهم أحمد بن حنبل والأشعرية وامامهم أبو الحسن الأشعري والماتريدية وامامهم أبو منصور الماتريدي واما فرق الضلالة فكثيرة جداً .أ ـــ هــ[373]

ـــــــــــ ويقول السفاريني الحنبلي في كتابه الأخر لوائح الأنوار السنية :فالصفات الذاتية المتفق عليها عند أهل السنة من الأثرية والأشعرية والماتردية .[374]ويقول : وهذا قول عامة أهل السنة والجماعة من أهل الحديث والفقه والكلام من الأثرية والأشعرية والماتردية .[375]

وقال الإمام القدومي الحنبلي: لأن أهل الحديث والأشعرية والماتريدية: فرقة واحدة متفــقون في أصُول الدين على التوحيد، وتقد يـــــر الخير والشر، وفي شروط النبوة والرسالة، وفي موالاة الصحابة كلهم، وما جرى مجرى ذلك: كعـــــــد م وجوب الصلاح والأصلح، وفي إثبـــات الكسب، وإثبات الشفـــاعة، وخروج عصاة المُوَحِّــــــــد يــــن من النار.[376] والخلافُ بينهم في مسائل قـــــليلة.

---

[371] مستفاد من مقال للشيخ عبدالفتاح اليافعي نشر بمنتدى الرياحين وغيره .

[372] ذكر عقيدته بنصها ولده في طبقات الحنابلة عن ترجمته لوالده . وهذا لا يعني أنه لا يقول بتحريم التأويل ، بل هو يحرمه خلافاً لجمهور أهل السنة ولكنه لا يخرجهم من أهل السنة والجماعة كما فعل الغلاة.

[373] 73/1

[374] 260/1

[375] لوائح الأنوار السنية 15/2

[376] المنهج الأحمد.

ثانياً من أقوال الأشاعرة :

ـــــــــــ قال تاج الدين السبكي: وهذه المذاهب الأربعة ولله الحمد والمنة: في العقائد يدٌ واحدة، إلا مَـــن لحق منها بأهل الاعتزال والتجسيم، وإلا فجمهورها على الحق يُــقـــــرُّون عقيدة أبي جعـــــفـــــر الطحاوي التي تلقاها العلماء سلفاً وخلفاً بالقبول ويدينون الله برأي شيخ السنة أبي الحسن الأشعري الذي لم يعارضه إلا مبتدع اهـــ .[377]

ـــ وقال أيضاً: وقال أيضاً : وهؤلاء الحنفية والشافعية والمالكية وفضلاء الحنابلة ـــ ولله الحمد ـــ في العقائد يدٌ واحدة كلهم على رأي أهل السنة والجماعة...[378]

فتوى بعض علماء السعودية منقولة من موقع الشيخ سلمان العودة موقع الإسلام اليوم

وفقه الله العنوان : الأشاعرة والماتريدية من أهل السنة والجماعة . المجيب : جمع من العلماء التصنيف : الفهرسة/ العقائد والمذاهب الفكرية/الأديان والمذاهب الفكرية المعاصرة التاريخ : 29 /1427/06هـ

السؤال :

ما حكم التعامل مع المخالف لعقيدة السلف الصالح كالأشاعرة والماتريدية ومن نحا نحوهم والتعاون معهم على البر والتقوى والأمور العامة وهل يحرم العمل معهم سواء كانت الإدارة لنا وهم يعملون تحتنا أو العمل تحت إشرافهم؟ وهل هم من الفرق الضالة الاثنتين والسبعين؟ وهل التعامل معهم يعد من باب تولي غير المؤمنين؟.

الجواب :الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

فجواباً على ذلك نقول: الأشاعرة والماتريدية قد خالفوا الصواب حين أولوا بعض صفات الله سبحانه. لكنهم من أهل السنة والجماعة، وليسوا من الفرق الضالة الاثنتين والسبعين إلا من غلا منهم في التعطيل، ووافق الجهمية فحكمه حكم الجهمية. أما سائر الأشاعرة والماتريدية فليسوا كذلك وهم معذورون في اجتهادهم وإن أخطأوا الحق. ويجوز التعامل والتعاون معهم على البر والإحسان والتقوى، وهذا شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله قد تتلمذ على كثير من العلماء الأشاعرة، بل قد قاتل تحت راية أمراء المماليك حكام ذلك الزمان وعامتهم أشاعرة، بل كان القائد المجاهد البطل نور الدين زنكي الشهيد، وكذا صلاح الدين الأيوبي من الأشاعرة كما نص عليه الذهبي في سير أعلام

---

[377] (معيد النعم ومبيد النقم) ص 25

[378] معيد النعم ص62

النبلاء، وغيرهما كثير من العلماء والقواد والمصلحين، بل إن كثيراً من علماء المسلمين وأئمتهم أشاعرة وماتريدية، كأمثال البيهقي والنووي وابن الصلاح والمزي وابن حجر العسقلاني والعراقي والسخاوي والزيلعي والسيوطي، بل جميع شراح البخاري هم أشاعرة وغيرهم كثير، ومع ذلك استفاد الناس من عملهم، وأقروا لهم بالفضل والإمامة في الدين، مع اعتقاد كونهم معذورين فيما اجتهدوا فيه وأخطأوا، والله يعفو عنهم ويغفر لهم. والخليفة المأمون كان جهمياً معتزلياً وكذلك المعتصم والواثق كانوا جهمية ضُلَّالاً. ومع ذلك لم يفت أحد من أئمة الإسلام بعدم جواز الاقتداء بهم في الصلوات والقتال تحت رايتهم في الجهاد، فلم يفت أحد مثلاً بتحريم القتال مع المعتصم يوم عمورية، مع توافر الأئمة في ذلك الزمان كأمثال أحمد والبخاري ومسلم والترمذي وأبي داود وعلي بن المديني ويحيى بن معين وأضرابهم من كبار أئمة القرن الهجري الثالث. و لم نسمع أن أحداً منهم حرم التعامل مع أولئك القوم، أو منع الاقتداء بهم، أو القتال تحت رايتهم. فيجب أن نتأدب بأدب السلف مع المخالف.

والله أعلم وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

د. عبد العزيز بن عبد الفتاح القارئ / عميد كلية القرآن في الجامعة الإسلامية سابقًا

د. محمد بن ناصر السحيباني / المدرس بالمسجد النبوي

د. عبد الله بن محمد الغنيمان / رئيس قسم الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية سابقا

الذي علق على الفتوى قائلاً:

"هذا جواب سديد صحيح ولا يسع المسلمين إلا ذلك، و لم يزل الخلاف يقع في صفوف العلماء، و لم يكن ذلك مسبباً لاختلاف القلوب والتفرق، وقصة الصحابة لما ذهبوا إلى بني قريظة معروفة مشهورة وغيرها، قاله عبد الله بن محمد الغنيمان. تحريراً في 1427/4/22هـ) انتهت الفتوى .

الفرق بين عقيدة أهل الأثر وعقيدة الكاتب .

الحقيقة أيها الأخوة الكرام أنه هناك فرق شاسع عظيم بين عقيدة الأثرية وعلى رأسهم الإمام أحمد ،وعقيدة الكاتب .

وعلى كل فإليكم الفوارق بينه معتقد أتباع ابن تيمية ومعتقد الحنابلة :

المسألة الأولى :مسألة الجسمية .

الكاتب لا ينفي عن الله كونه جسم سبحانه وتعالى ولا يثبتها خلافاً للسلف ،وذلك تقليداً للإمام ابن تيمية ،فقد جاء في كتاب الإمام ابن تيمية شرح حديث النزول ما نصه[379]: "وأما الشرع فمعلوم أنه لم ينقل عن أحد من الأنبياء ولا الصحابة ولا التابعين ولا سلف الأمة أن الله جسم أو أن الله ليس بجسم، بل النفي والإثبات بدعة في الشرع" اهـــ.

وقال في الموافقة ما نصه : "وكذلك قوله (لَيسَ كَمِثلِهِ شَيءٌ وهو السَّمِيعُ البَصِيرُ) (سورة الشورى/11) ، وقوله (هَل تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا) (سورة مريم/65)، ونحو ذلك فإنه لا يدل على نفي الصفات بوجه من الوجوه بل ولا على نفي ما يسميه أهل الاصطلاح جسماً بوجه من الوجوه" اهـــ.[380]

وقال في المنهاج ما نصه : "أما ما ذكره من لفظ الجسم وما يتبع ذلك فإن هذا اللفظ لم ينطق به في صفات الله لا كتاب ولا سنة لا نفيًا ولا إثباتًا، ولا تكلم به أحد من الصحابة والتابعين وتابعيهم لا أهل البيت ولا غيرهم " اهـــ.[381]

وقال في مجموع الفتاوى ما نصه :" ثم لفظ التجسيم لا يوجد في كلام أحد من السلف لا نفيًا ولا إثباتًا، فكيف يحل أن يقال: مذهب السلف نفي التجسيم أو إثباته " اهـــ.[382]

الجواب: قول من يقول : أن الجسم لا يمتنع إطلاقه على الله باطل بلا ريب لأن ن من يطلقه على الله تعالى فإما أن يطلقه من باب إطلاق الأسماء أو الصفات :.

1ـــ فأما اطلاق مسمى الجسم على الله سبحانه وتعالى فباطل لأنه لم يرد في النصوص الشرعية وهو توقيفي ، ولذلك فلا يجوز التوقف في رده ، بل الواجب أن يرد رأساً.

2ـــ وأما اطلاقه من باب اطلاق الصفة على الموصوف فباطل أيضاً لأنه لم يرد وصف الله تعالى بذلك وكل معنى له في لغة العرب لا يجوز أن يوصف الله بذلك المعنى .ولا من باب الإخبار لأنه خبر كاذب .

فنتج مما سبق أن قول القائل أن نفي الجسم عن الله بدعة هو تقرير باطل لأن امتناع اطلاقه على الله تعالى له أسباب قطعية وهي :

1ـــ عدم وروده في نصوص الكتاب والسنة ،ولذا فيحرم اطلاقه على الله تعالى .

2ـــ أن من يرد على الأشاعرة رحمهم الله تعالى لابد أن يعلم معنى الجسمية عندهم ،فلها عندهم معنى

---

[379] شرح حديث النزول ص80
[380] 62/1
[381] 197/1
[382] مجموع الفتاوي152/4

اصطلحوا عليه هو الذي ينفونه عن الله ،فلا وجه للإنكار على أهل السنة من الأشاعرة وغيرهم لنفيهم الجسمية لأن هذا هو الواجب قطعاً.

3ـــ أن كل معاني الجسم في اللغة العربية لايجوز إطلاقها على الله تعالى .

أما مذهب أهل السنة والجماعة ومنهم الأثرية فهو مايلي:

1ـــ ما نقله أبو الفضل التميمي رئيس الحنابلة ببغداد عن الإمام أحمد قال: "وأنكر أحمد على من يقول بالجسم وقال: إن الأسماء مأخوذة من الشريعة واللغة، وأهل اللغة وضعوا هذا الاسم على ذي طول وعرض ، وسمك ، وتركيب ، وصورة ، وتأليف ، والله تعالى خارج عن ذلك كله، فلم يجز أن يسمى جسمًا لخروجه عن معنى الجسمية، ولم يجىء في الشريعة ذلك فبطل" أ هـــ، ونقله الحافظ البيهقي عنه في مناقب الإمام أحمد وغير ه.[383][384]

وقال الإمام ابن حمدان الحنبلي وهو يقرر عقيدة الحنابلة (ومن شبه الله بخلقه فقد كفر نص عليه الإمام أحمد وكذا من جسم أو قال إنه جسم لاكالأجسام . ذكره القاضي أبو يعلى.[385]

وهذا الذي صرح به أحمد من تنزيهه الله عن هذه الأشياء الستة ، هو ما قال به الأشاعرة والماتريدية وهم أهل السنة الموافقون لأحمد وغيره من السلف في أصول المعتقد.

وقال الإمام الأشعري في كتاب النوادر: " من اعتقد أن الله جسم فهو غير عارف بربه، وأنه كافر به" اهـــ.

وقال القاضي أبو يعلى : وكل ما يقع في الخواطرمن حد أو تشبيه أو تكييف: فالله سبحانه وتعالى عن ذلك والله ليس كمثله شيء ولا يوصف بصفات المخلوقين الدالة على حدثهم ولا يجوز عليه ما يجوز عليهم من التغير من حال إلى حال ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض وأنه لم يزل ولا يزال وأنه الذي لا يتصور في الأوهام وصفاته لا تشبه صفات المخلوقين ليس كمثله شيء وهو السميع البصير .[386]

وقال ابن أبي يعلى : فأما الرد على المجسمة لله: فيرده الوالد السعيد بكتاب وذكره أيضاً في أثناء كتبه فقال: لا يجوز أن يسمى الله جسماً .

قال أحمد: لا يوصف الله تعالى بأكثر مما وصف به نفسه .

قال الوالد السعيد: فمن اعتقد أن الله سبحانه جسم من الأجسام وأعطاه حقيقة الجسم من التأليف والانتقال: فهو كافر لأنه غير عارف بالله عز وجل لأن الله سبحانه يستحيل وصفه بهذه الصفات وإذا لم يعرف الله سبحانه: وجب أن يكون كافراً .

وهذا الكتاب عدة أوراق .أنتهى كلامه من ترجمته لوالده القاضي رحمهما الله تعالى .

---

[383] هذه الجملة (وأنكر أحمد على من يقول بالجسم) لم تكتب في المطبوع رغم وجدودها في المخطوط (ص7ـــ8)

[384] اعتقاد الإمام أحمد ص47

[385] نهاية المبتدئين في أصول الدين ص31

[386] ضمن ترجمة القاضي في طبقات ولده (طبقات الحنابلة).

قال القاضي أبو بكر الباقلاني الأشعري وهو يرد على المجسمة ما نصه: "فإن قالوا: و لم أنكرتم أن يكون الباريء سبحانه جسمًا لا كالأجسام كما أنه عندكـــم شيء لا كالأشياء؟ قيل لهم: لأن قولنا: "شيء" لم يبن لجنس دون جنس، ولا لإفادة التأليف، فجاز وجود شيء ليس بجنس من أجناس الحوادث ، وليس بمؤلَّف، و لم يكن ذلك نقضًا لمعنى تسميته بأنه شيء، وقولنا: "جسمٌ" موضوع في اللغة للمؤلَّف دون ما ليس بمؤلَّف، كما أن قولنا: "إنسان " و"محدَث" اسم لما وُجدَ عن عدم ولما له هذه الصورة دون غيرها، فكما لم يجز أن نثبت القديم سبحانه محدَثًا لا كالمحدَثات وإنسانًا لا كالناس قياسًا على أنه شيء لا كالأشياء لم يجز أن نُثبته جسمًا لا كالأجسام ، لأنه نقض لمعنى الكلام، وإخراج له عن موضوعه[387] ، وفائدته.فإن قالوا: فما أنكرتم من جواز تسميته جسمًا وان لم يكن بحقيقة ما وُضِعَ له هذا الاسم في اللغة؟ قيل لهم: أنكرنا ذلك لأن هذه التسمية لو ثبتت لم تثبت له إلا شرعًا لأن العقل لا يقتضيها إذ لم يكن القديم سبحانه مؤلفًا، وليس في شيء من دلائل السمع من الكتاب والسنة وإجماع الأمة وما يُستخرج من ذلك ما يدل على وجوب هذه التسمية ولا على جوازها أيضًا فبطل ما قلتموه" اهـــ.[388]

وقال الفقيه المتكلم ابن المعلم القرشي في كتابه نجم المهتدي ما نصه: قال: "قال الإمام أبو سعيد المتولي في كتاب غنية المقبول في علم الأصول: إن قالوا نحن نريد بقولنا جسم أنه موجود ولا نريد التأليف، قلنا: هذة التسمية في اللغة ليس كما ذكرتم وهي مُنبئة عن المستحيل فلِما أطلقتم ذلك من غير ورود سمع[389]؟!، وما الفصل بينكم وبين من يسميه جسدًا ويريد به الوجود وإن كان يخالف مقتضى اللغة. قال أبو سعيد رحمه الله: فإن قيل أليس يسمى نفسًا؟ قلنا: اتبعنا فيه السمع وهو قوله سبحانه: (تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ) (سورة المائدة/116)، و لم يرد السمعُ بالجسم.أ ـــ هـــ[390]

المسألة الثانية :قول ابن تيمية بقيام الحوادث بذات الله تعالى قال ما نصه : "ومن قال: إن الخلق حادث كالهشامية والكرّامية قال: نحن نقول بقيام الحوادث به، ولا دليل على بطلان ذلك، بل العقل والنقل والكتاب والسنة واجماع السلف يدل على تحقيق ذلك،[391]كما قد بسط في موضعه. ولا يمكن القول بأن الله يدير هذا العالم إلا بذلك، كما اعترف بذلك أقرب الفلاسفة إلى الحق كأبي البركات صاحب " المعتبر" وغيره" اهـــ.[392] .[393]

و قال أيضاً : "وأما إذا قيل: قال "كن" وقبل "كن" "كن"، وقبل "كن" "كن"، فهذا ليس بممتنع، فإن هذا تسلسل في

---

[387] معنى موضوعه : أي ما تواضعوا عليه في اللغة والاصطلاح .

[388] 12) تمهيد الأوائل (ص/ 222).

[389] أي على غير ورود به في الكتاب والسنة .

190 نجم المهتدي ورجم المعتدي (ص/ 544)، مخطوط

[391] لا العقل ولا النقل يؤيد ما ذهب إليه فضلاً عن إجماع السلف وسأنقل من كلام العلماء ما يبطل ذلك.

[392]مجموعة تفسير من ست سور(ص/309).

[393] ولعلها من المسائل التي تاب عنها رحمه الله تعالى.

آحاد التأثير لا في جنسه، كما أنه في المستقبل يقول "كن" بعد "كن"، ويخلق شيئا بعد شيء إلى غير نهاية" اهـــ. [394]

وقال في المنهاج ما نصه : (فإن قلتم لنا: فقد قلتم بقيام الحوادث بالرب، قلنا لكم: نعم وهذا قولنا الذي دل عليه الشرع العقل"اهـــ. [395]

وقال أيضا ما نصه : "وأما قولهم: وجود ما لا يتناهى من الحوادث محال، فهذا بناء على دليلهم الذي استدلوا به على حدوث العالم وحدوث الأجسام، وهو أنها لا تخلو من الحوادث وما لا يخلو عن الحوادث فهو

حادث، وهذا الدليل باطل عقلاً وشرعًا" اهـــ. !![396]

تعليق : ومن هنا يتضح قول الحافظ تقي الدين السبكي وغيره كما أنه- أي ابن تيمية- جعل الحادث قديمًا والقديمُ حادثًا، و لم يوافق في قوله هذا أحدًا من أئمة الحديث إلا المجسمة.

ومن أدلة علماء أهل السنة وغيرهم في ذلك هو حجة إبراهيم المذكورة في القرآن من احتجاجه بقيام الحوادث بالقمر والكوكب والشمس على عدم ألوهيتهم، وبقيام دلائل الحدوث بهم وهو التحول من حال إلى حال.فقال تعالى ((فلما أفل قال لاأحب الآفلين))

ومن الأدلة :الإجماع نقله البيهقي البيهقي في الأسماء والصفات ص131على أن صفات الله أزلية غير حادثة .قال ابن عباس: يعلم ما أسر ابن آدم في نفسه ، وما خفي على ابن آدم مما هو فاعله قبل أن يعلمه فالله يعلم ذلك كله ،وعلمه فيما مضى من ذلك وما بقي علم واحد.أ ـــ هـــ [397]

عن ابن مسعود قال: اجتمع عند البيت ثلاثة نفر ،ثقفيان وقرشي ،قليل فقه قلوبهم ،كثير شحم بطونهم .قال أحدهم أترون أن الله يسمع ما نقول؟قال الأخر يسمع إذا جهرنا ،ولا يسمع إن أخفينا ،وقال الأخر إن كان يسمع إذا جهرنا فإنه يسمع إذا أخفينا . قال ابن مسعود: فانزل الله ((وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لايعلم كثيراً مما تعملون))رواه البخاري في الصحيح.[398]

وقارن بين هذا وبين ما قاله ابن تيمية غفر الله له قال : وثم طائفة كثيرة تقول :((أنه تقوم به الحوادث

---

[394] مجموعة تفسير (ص/313- 314)

[395] منهاج السنة (1/ 224)

[396] مجموع فتاوى (6/ 299).).

[397] الأسماء والصفات للبيهقي ص144وفيه نقول كثيرة عن السلف فيراجع .

[398] الأسماء والصفات 206

وتزول ...)) اهـ[399]

أقوال الحنابلة في المسألة:

1ـ مما يبطل قول ابن تيمية بقيام كلام حادث الأفراد ،أزلي النوع ، وإرادة حادثة الأفراد ،قديمة النوع في ذات الله، ما قاله أبو الفضل التميمي في كتابه اعتقاد الإمام أحمد : "وذهب أحمد بن حنبل رضي الله عنه إلى أن الله عز وجل يغضب ويرضى وأن له غضبًا ورضا، وقرأ أحمد قوله عز وجـل: (وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى) (سورة طه/81)، وأضاف الغضب إلى نفسه وقال عز وجل : (فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ) (سورة الزخرف/55) الآية، قال ابن عباس: يعني أغضبونا. وقوله أيضًا: (فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَه) (سورة النساء/93) الآية، ومثل ذلك في القرءان كثير، والغضب والرضا صفتان له من صفات نفسه لم يزل الله تعالى غاضبًا على ما سبق في علمه أنه يكون مما يغضبه و لم يزل راضيًا على ما سبق في العلم أنه يكون مما يرضيه، وأنكر أصحابه على من يقول إن الرضا والغضب مخلوقان، قالوا فمن قال ذلك لزمه أن غضب الله عز وجل على الكافرين يفنى ،وكذلك رضاه على الأنبياء والمؤمنين حتى لا يكون راضيًا على أوليائه ولا ساخطاً على أعدائه، ويسمَّى ما كان عن الصفة باسم الصفة مجازًا في بعض الأشياء، و يسمَّى عذابُ الله تعالى وعقابه غضبًا وسخطًا لأنهما عن الغضب كانا، وقد أجمع المسلمون لا يتناكرون أنهم إذا رأوا الزلازل والأمطار العظيمة أنهم يقولون هذه قدرة الله تعالى، والمعنى أنها عن قدرةٍ كانت، وقد يقول الإنسان في دعائه: اللهم اغفر لنا عِلْمَكَ فينا وإنما يريد معلومك الذي علمته، فسموا المعلوم باسم العلم، وكذلك سموا المرتضى باسم الرضى، وسموا المغضوب باسم الغضب" أ. هـــ .[400]

فما أعظم هذه الفائدة ،ففيها ردّ لما يحتج به من يدعون اتباع السلف لحدوث صفات الله تعالى بحديث الشفاعة المشهور أن آدم وغيره يقول: "إن الله غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله"، فزعم هؤلاء أن الله يحدث له في ذلك الوقت صفة حادثة في ذاته سبحانه وتعالى عن ذلك فأسماءالله وصفاته وذاته غير حادثة .

2ـ قال الإمام التميمي أن الإمام أحمد سئل هل الموصوف القديم وصفته قديمان ؟

فقال: هذا سؤال خطأ لا يجوز أن ينفرد الله عن صفاته.ومعنى ماقاله من ذلك :أن المحدث محدث على جميع صفاته من غير تفصيل ، وكذلك القديم تعالى قديماً بجميع صفاته. أ ـــ هـــ[401]

3ـ وقال الإمام عبدالباقي الحنبلي: وبأنه تعالى قائل ومتكلم بكلام قديم ذاتي وجودي غير مخلوق ولا محدث ولا حادث بلا تمثيل ،ولا تشبيه، ولا تكييف .[402]

---

[399] الفرقان بين الحق والباطل ضمن مجموعة الرسائل الكبرى ج1 / ص117

[400] اعتقاد الإمام أحمد ص46

[401] اعتقاد الإمام أحمد ص49

[402] العين والأثر في عقائد أهل الأثر . صفة الكلام .

4ـــ جاء في عقيدة الحنابلة لابن حمدان الحنبلي :والله تعالى قائل ومتكلم تكلم ويتكلم بكلام قديم ذاتي وجودي غير مخلوق ولا محدث ولا حادث لايشبه كلام الناس لم يزل أمراً ونهياً وخبراً على ماهو عليه .[403] وهذا يخالف عقيدة من يقول أن كلام الله قديم النوع حادث الأفراد.فهو غير محدث ولا حادث لأنه صفة والقول فيها كالقول في الذات خلافاً للمعتزلة والكرامية القائلين بحدوثها وقلدهم ابن تيمية في كتاباته.

وبهذا يتبين أن أقوال ابن تيمية في أن الحوادث تقوم بالله قول باطل، وأن الحق أن الله بصفاته قديم أزلي غير حادث.ولم يقل بقول ابن تيمية إلا الكرامية ، وقد ذكر ابن التلمساني شيئًا من معتقداتهم الفاسدة التي تبنّاها أتباع أقوالهم في هذا الزمان ، فقال الشيخ شرف الدين بن التلمساني في شرح لمع الأدلة للجويني ما نصه: "وخالف إجماع الأمة طائفة نبغوا من سِجستان لقبوا بالكرامية نسبة إلى محمد بن كرّام، وزعموا أن الحوادث تطرأ يعني تتجدد على ذات الله، تعالى عن قولهم، وهذا المذهب نظير مذهب المجوس. ووجه مضاهاته لمذهب المجوس أن طائفة منهم تقول بقدم النور وحدوث الظلمة، وأن سبب حدوثها أن يَزْدَان فكَّر فكرة فَحَدَثَ منها شخص من أشخاص الظلمة فأبعده وأقصاه وهو هُرمز، وجميع الشر ينسب إليه. وكذلك الكرّامية تزعم أن الله تعالى إذا أراد إحداث محدَث أوجد في ذاته كافًا ونونًا وإرادة حادثة، وعن ذلك تصدر سائر المخلوقات المباينة لذاته " اهـــ.[404]

وقال الإمام أبو المظفر الإسفراييني ما نصه : "ومما ابتدعوه- أي الكرَّامية- من الضلالات مما لم يتجاسر على إطلاقه قبلهم واحد من الأمم لعلمهم بافتضاحه هو قولهم: بأن معبودهم محل الحوادث تحدث في ذاته أقواله، وإرادته ، وإدراكه للمسموعات والمبصرات، وسموا ذلك سمعًا وتبصرًا، وكذلك قالوا: تحدث في ذاته ملاقاته للصفحة العليا من العرش، زعموا أن هذه أعراض تحدث في ذاته، تعالى الله عن قولهم " اهـــ.[405]

فتبين مما أوردناه أن ابن تيمية غفر الله له ليس له سلف في ذلك من أهل السنة وإنما هذه أقوال الكرامية .

وقد أجاب الإمام الحجة الإسفراييني في دحض هذه الفرية بقوله : "هو أن تعلم أن الحوادث لا يجوز حلولها في ذاته وصفاته لأن ما كان محلاً للحوادث لم يخل منها، وإذا لم يخل منها كان محدثًا مثلها، ولهذا قال الخليل عليه الصلاة والسلام (لاَ أُحِبُّ الآَفِلِينَ) (سورة الأنعام/76)، بيَّن به أن من حلّ به من المعاني ما يغيره من حال إلى حال كان محدَثًا لا يصح أن يكون إلهًا" اهـــ.[406]

---

[403] نهاية المبتدئين 26

279شرح لمع الأدلة (ص/ 80-81) مخطوط.).

[405] التبصير في الدين 66ـــ67

[406] التبصير في الدين 97ـــ98

فيكون بهذا ما توسع به ابن تيمية في كتبه من تجويز قيام الحوادث به تعالى ،وحلولها فيه، خارجًا عن معتقد أهل السنة والجماعة، أهل الحق. غفر الله لنا وله.

المسألة الثالثة : الرد على ابن تيمية في قوله أن نوع العالم أزلي اولاً : راجع لفهم تفاصيل المسألة والتوسع فيها رد الإمام الأخميمي ــ رحمه الله ــــ على ابن تيمية بتحقيق نفيس للشيخ سعيدالفودة للتوسع وبراءة الذمة ، وهو موجود في مكتبات العالم الإسلامي ، بل وموجود على شبكة النت في موقع الإمام فخر الدين الرازي.

ثانياً : قول ابن تيمية بحوادث لا اوّل لها لم تزل مع الله ،أي أن كل فردمن أفراد الحوادث بعينه حادث مخلوق، وأما نوع الحوادث فهو أزلي .[407]

وهذه المسألة من أبشع المسائل الاعتقادية المنسوبة إلى الإمام تقي الدين ابن تيمية ،خالف بها أدلة العقل ،وصريح النقل ،وإجماع المسلمين، ذكر هذه العقيدة في سبعة من كتبه: موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول، ومنهاج السنّة النبوية، وكتاب شرح حديث النزول، وكتاب شرح حديث عمران بن حصين، وكتاب نقد مراتب الإجماع[408]، ومجموعة تفسير من ست سور، وكتابه الفتاوى، وكل هذه الكتب مطبوعة.

أمّا عبارته في الموافقة فهي ما نصّه: "وأما أكثر أهل الحديث ومن وافقهم فإنهم لا يجعلون النوع حادثاً

بل قديمًا، ويفرقون بين حدوث النوع وحدوث الفرد من أفراده ،كما يفرق جمهور العقلاء بين دوام النوع

ودوام الواحد من أعيانه ". ا.هــ .[409]

وقال في موضع آخر في ردّ قاعدة ما لا يخلو من الحادث حادث لأنه لو لم يكن كذلك لكان الحادث

أزليًا بعدما نقل عن الأبهري أنه قال: قلنا لا نسلم وانما يلزم ذلك لو كان شيء من الحركات بعينها

لازمًا للجسم، وليس كذلك بل قبل كل حركة حركة لا إلى أول، ما نصه : "قلت هذا من نمط الذي قبله فإن الأزلي اللازم هو نوع الحادث لا عين الحادث، قوله لو كانت حادثة في الأزل لكان الحادث اليومي موقوفا على

---

[407] رأيت منافحات عن هذه المسألة من بعض المتعصبين للإمام ابن تيمية من طلاب وطالبات العلم ،ورأيت في كلامهم طرح عاطفي غير علمي وتشجيع لهذه المقالة الباطلة .كل ذلك للتعصب فقط وكأنهم تناسوا أن الأمر دين غفر الله لهم.وبعضهم كان همه أن يفرق بين قول الفلاسفة بقدم العالم وقول ابن تيمية بقدم النوع ولا شك في الفرق .ولا شك أيضاً أن كلا القولين بدعة عقدية فاسدة من تبناها أو رضي بها وسلم على إسلامه فهذه نعمة، أما خروجها عن عقيدة أهل السنة والسلف فلا شك فيه.ولذا أنتقدها الألباني وغيره على ابن تيمية.

[408] المطبوع مع مراتب الإجماع ص304 . ط دار ابن حزم.

[409] 2/ 75 .

انقضاء ما لا نهاية له، قلنا: لا نسلم بل يكون الحادث اليومي مسبوقًا بحوادث لا أول لها". ا.هـــ.[410]

ويقول فيها أيضا ما نصه : ''فمن أين في القرءان ما يدل دلالة ظاهرة على أن كل متحرك محدث أو ممكن، وأن الحركة لا تقوم إلا بحادث أو ممكن، وأن ما قامت به الحوادث لم يخل منها، وأن ما لا يخلو من الحوادث فهو حادث، وأين في القرءان امتناع حوادث لا أول لها" ا.هـــ.[411] فهذا من عجائب ابن تيمية الدالّة على قوله بقدم العالم ـــ القدم النوعي ـــ مع حدوث كل فرد معين من أفراد العالم. وقال في موضعءاخر ما نصّه : "وحينئذٍ فيمتنع كون شيء من العالم أزليًا وان جاز أن يكون نوع الحوادث دائمًا لم يزل، فإن الأزل ليس هو عبارة عن شيء محدد، بل ما من وقت يقدر إلا وقبله وقت آ خر، فلا يلزم من دوام النوع قدم شيء بعينه [412]ا. هـــ.[413]

أقوال الحنابلة في المسألة :

1ـــ قال القاضي أبو يعلى الحنبلي في "المعتمد": والحوادث لها أول ابتدأت منه خلافاًللملحدة.أ ـــ هـــ

2ـــ وقال ابن حمدان رحمه الله: كل شيء سوى الله وصفاته حادث .[414]

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في فتح الباري(21) ما نصه: "قال شيخنا- يعني العراقي- في شرح الترمذي: الصحيح في تكفير منكر الإجماع تقييده بإنكار ما يعلم وجوبه من الدين بالضرورة كالصلوات الخمس، ومنهم من عبر بإنكار ما علم وجوبه بالتواتر، ومنه القول بحدوث العالم، وقد حكى القاضي عياض وغيره الإجماع على تكفير من يقول بقدم العالم، وقال ابن دقيق العيد: وقع هنا من يدّعي الحذق في المعقولات ويميل إلى الفلسفة فظن أن المخالف في حدوث العالم لا يكفر لأنه من قبيل مخالفة الإجماع، وتمسك بقولنا: إن منكر الإجماع لا يكفر على الإطلاق حتى يثبت النقل بذلك متواترًا عن صاحب الشرع، قال: وهو تمسك ساقط إما عن عمى في البصيرة أو تعام،

---

[410] أنظر الموافقة (1/ 245).

[411] أنظر الموافقة (1/ 64).

[412] أنظر المنهاج (1/ 109).

[413] وقال في موضع ءاخر من المنهاج 1/ 224 . ما نصه: "ومنهم من يقول بمشيئته وقدرته- أي أن فعل الله بمشيئته وقدرته- شيئا فشيئا، لكنه لم يزل متصفا به فهو حادث الآحاد قديم النوع كما يقول ذلك من يقوله من أئمة أصحاب الحديث وغيرهم من أصحاب الشافعي وأحمد وسائر الطوائف ا.هـــ. فانظروا كيف نسب هذه المقولة على أئمة الحديث، وهذا شيء انفرد به ووافق به متأخري الفلاسفةو هذا لايروج حتى
وقد ردّ ابن تيمية على ابن حزم في نقد مراتب الإجماع ص/ 168 .
لنقله الإجماع على أن الله لـــم يزل وحده ولا شيء غيره معه، وأن المخالف بذلك كافر باتفاق المسلمين، فقال ابن تيمية بعد كلام ما نصه: "وأعجب من ذلك حكايته الإجماع على كفر من نازع أنه سبحانه لم يزل وحده ولا شيء غيره معه ". ا.هـــ. وعبارته هذه صريحة في اعتقاده أن جنس العالم أزلي مع الله .

[414] نهاية المبتدئين ص40

لأن حدوث العالم من قبيل ما اجتمع فيه الإجماع والتواتر بالنقل " اهـــ.[415] وقال السبكي في شرح عقيدة ابن الحاجب: اعلم أن حكم الجواهر والأعراض كلها الحدوث، فإذًا العالم كله حادث، وعلى هذا إجماع المسلمين بل وكل الملل، ومن خالف في ذلك فهو كافر لمخالفة الإجماع القطعي" ا.هـــ.[416]

فقول ابن تيمية رحمه الله تعالى بأزلية نوع العالم مخالف للقرآن والحديث الصريح وإجماع الأمة وقضية العقل.

أمّا القرآن فقوله تعالى: (هوَ الأوَّلُ والأخِرُ)(سورة الحديد/3)، فليس معنى هو الأول إلا أنه هو الأزلي الذي لا أزلي سواه أي أن الأولية المطلقة لله فقط لا تكون لغيره .

وأما الحديث فقوله صلّى الله عليه وسلّم الذي رواه البخاري في كتاب بدء الخلق وغيرُه: "كان الله ولم يكن شيء غيره" الذي توافقه الرواية الأخرى رواية أبي معاوية: (كان الله قبل كُلِّ شيء) , ورواية: (كان الله ولم يكن معه شيء).ولا يجوز ترجيح رواية: (كان الله ولم يكن شيء قبله" على رواية: "كان الله ولم يكن شيء غيره " لأن ظاهر رواية: "كان الله ولم يكن شيء قبله" يوافق ما يدعية أصحاب القدم النوعي للمخلوقات ، كما أشار لذلك الحافظ ابن حجر في شرح البخاري عند ذكر حديث: "كان الله ولم يكن شيء قبله " فقال :ـــــــــــــ فيما حاول الإمام ابن تيمية من ترجيح هذه الرواية على تلك الرواية توصلاً إلى إثبات حوادث لا أول لهاـــــــــــــ ما نصه: "وهذه من أشنع المسائل المنسوبة له "– يعني ابن تيمية–. اهـــ.وكذلك رواية مسلم : "اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء" ترد إلى رواية البخاري: "كان الله ولم يكن شيء غيره " فإن لم ترد ورجحت رواية مسلم كان ذلك رجوعًا إلى قول الفلاسفة وإلغاء لرواية البخاري.

مغالطة الشيخ الموجان :يقول الشيخ الموجان: فإن كلامه (ابن دقيق العيد) حول مسألة حدوث العالم أو قدم العالم ومسألتنا على قدم أفعال الرب تعالى .فحرف المسألة أن الحوادث إما أن يراد بها فعل الرب فلا أول لها ، أو أنها المخلوقات فهذه لها أول من حيث أفرادها وآحادها ،لأنها مسبوقة بعدم ، أما من حيث جنسها ونوعها فهي قديمة لتعلقها بأفعال الرب تعالى .أ ـــ هـــ [417] هذا هو معتقد الموجان بحروفه من كتابه ـــ والقارىء ـــ هداه الله ـــ يعلم أن الموجان بهذا الكلام وقع في عقيدة القدم النوعي تعصباً.

والجواب: 1ـــ قدم أفعال الرب :لابد أن يفهم الكاتب الفرق بين قدم صفات التكوين أو ما تسمى بالأفعال وبين قدم الأفعال نفسها بنوعها أو فردها .فقدم الصفة كصفة الخلق ومعناهاأن الله متصف بكونه يستطيع أن يخلق فهذا لا نزاع فيه وإن كان الأشاعرة يردونه إلى القدرة ، والماتردية إلى صفة التكوين وعلماء الحنفية من بلاد ما وراء النهر يردونه إلى كل صفة منها باستقلالها كصفة الخلق والرزق والإحياء والأماتة فالنزاع في ذلك لا يترتب عليه شيء كما بين ابن الهمام وابن أبي شريف في كتاب المسامرة شرح المسايرة . وأما الفعل : فهو إيجادالمخلوقات من العدم إلى

---

[415] فتح الباري (12/ 252).

[416] إتحاف السادة المتقين (2/ 94)

[417] الرد الشامل ص85

الوجود عملياً .وأنا مضطر لهذا الأسلوب في التعليم ليفهم الجميع فهذا أيضاً موطن إجماع كما قال ابن حزم في مراتب الإجماع قال ابن حزم : اتفقوا أن الله عزوجل وحده لا شريك له ، خالق كل شيء غيره ،وأنه تعالى لم يزل وحده ولا شيء معه ، ثم خلق الأشياء . أنتهى فهذا الموطن هو الذي اعترض فيه ابن تيمية على ابن حزم وادعى القدم النوعي للمخلوقات ، لا للصفات .

2ــ قولك يا أخي : ((المخلوقات فهذه لها أول من حيث أفرادها وآحادها ،لأنها مسبوقة بعدم ، أما من حيث جنسها ونوعها فهي قديمة لتعلقها بأفعال الرب تعالى)).هنا المصيبة التي تخالف النقول والعقول والإجماع . فتأمل في قولك :المخلوقات ..من حيث جنسها ونوعها فهي قديمة .فهذا القول شرك بالله في الأزلية ، وإن كان القائل به قد يكون جاهلاً ، فراجع نفسك ودع التعصب غفر الله لنا ولك .فحتى لا أحسن الظن ــ وإن كان خلاف القطعي من ظاهر كلامك ــ فلنرفض أنك تقصد الصفات لا الأفعال فلا يقال أن المخلوقات من حيث نوعها قديمة لتعلق الصفة بها لأن قدم الصفة شيء ووجود أثرها شيء أخر ، فلو لم يخلق الله مخلوقاً قط لم يسلبه ذلك صفة الخالقية لأن صفات الله متعلقة بذاته لا مكتسبة من مخلوقاته . وهو صريح الآيات ،والأحاديث ،والإجماع وهو صريح قول الطحاوي في العقيدة الطحاوية : (ليس بعد خلق الخلق استفاد اسم الخالق).

تنبيه: رأى ابنُ تيمية قولَ ابنِ حزمٍ [وأن الله تعالى لم يزل وحده ولا شيء غيره معه] فعلَّق ابنُ تيميــة قــائلاً: [هذه العبارة ليست في كتاب الله ، ولا تنسب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ... ولا نعرف هذه العبارة عن الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين][418]

الجواب: قد قال الرسول صلى الله عليه وسلم [كان الله و لم يكن شيء غيره]؟ !![419] . ومعناها منقول عن عدد من أئمة المسلمين منهم يزيد بن هارون ــ شيخ الإمام أحمد ــ ، والإمام أحمد ، وابن جرير الطــبري ،والطحــاوي في الطحاوية ، وابن حبان ، والبيهقي ، والقاضي الفرا ، وغيرهم ، وجاء معناها في الاعتقاد القادري الــذي كتــب للخليفة العباسي القادر بالله !!! فكيف غفل ابن تيمية عن هذا؟! .وابن تيمية ينقل في معرض الثناء والإقرار قــول عمرو بن عثمان المكي رحمه الله: [الله تعالى واحد لا كالآحاد ، ... خلصت له الأسماء السنية ، فكانت واقعة في قديم الأزل بصدق الحقائق ، ... فكان هادياً سيهدي ، وخالقاً سيخلق ، ورازقاً سيرزق ، وفاعلاً سيفعل] [420] .

أخيراً : فليعلم الجميع أن المسألة قطعية لا اجتهادية ، ولا يجوز المداهنات في هذا ،والواجب هو النصح والبيان فالدين النصيحة .

قال ملا علي القاري في شرح الفقه اكبر ما نصه: "ثم اعلم أن المراد بأهل القبلة الذين اتفقوا على ما هو

---

[418] نقد مراتب الإجماع المطبوع بنهاية مراتب الإجماع ص304

[419] صحيح البخاري: كتاب بدء الخلق ، باب وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده .

[420] مجموع فتاوى ابن تيمية: 5 / 63 . وعمروبن عثمان المكي ترجمه الذهبي في سير أعلام النبلاء توفي بعد الثلاثمائة 14 / 57 – 58 . ورد الشيخ صلاح الدِّين بن أحمد الإدلبي

من ضروريات الدين، كحدوث العالم وحشر الأجساد، وعلم الله بالكليات ،والجزئيات ،وما أشبه ذلك من المسائل، فمن واظب طول عمره على الطاعات ،والعبادات ،مع اعتقاد قدم العالم، أو نفي الشر، أو نفي علمه سبحانه بالجزئيات لا يكون من أهل القبلة" اهـــ.[421]

وأخيراً فالمسائل المختلف فيها أكثر مماذكر .وإنما أردت فقط توضيح بعض الانحرافات العقدية عن مسار أهل السنة والجماعة بمافيهم أهل الحديث ، وعسى أن يكون في ذلك نفع للأمة وللإخوة طلاب الحق ممن ينشدون طريق أهل السنة، وكم من مريد للحق لم يصله؟ إما لأن الهادي إليه مغرر به فيشتبه عليه الحق .وإما أن يكون مكابراً معانداً ينشد مدحاً، أو مركز اً وصل إليه، أو مغروراً بنفسه ،غره تطبيل العوام له، فهو لا يقبل الحق أنفة من ترك جاهه، وسمعته . وكما قيل حب الظهور يقصم الظهور.

وهذه نصيحة أردت بها وجه الله والدار الأخرة ،سأتذاكرها مع الكاتبين في الموقف الأكبر بإذن الله ،فأسأل الله أن يكون تذاكر نا يسعد به الجميع ، وأن يهدينا جميعاً للصواب ،وأن يجعل في هذا ذباً عن علماءا لأمة كابن حجر ،والنووي ،والعز بن عبد السلام ،والغزالي ،والرازي ،وابن عساكر وغيرهم الآف مؤلفة ،وكذا فيه اعتذار عن الإمام ابن تيمية وغيره ممن تعصب لغير الحق.

---

[421] شرح الفقه الأكبر (ص/ 154- 155)

الخاتمة

اسأل المولى عزوجل أن أكون قد وفقت لما فيه صلاح أمتنا الإسلامية، وأن ينفعني بما كتبت يوم ألقاه ،وأن يهدي بها أحبة لنا لهم عظيم الهمم في بلوغ الحق والرجوع إليه ،فإن الرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل . وحيهلاً باجتماع لأهل السنة والجماعة .وتوفير لحسنات ضاعت في غيبتهم والاستهزاء بهم ،وتوفير لنقود صرفت في ثلبهم وأستنقاصهم في فضائيات ،وكتب ،ومجلات وأشرطة، ودورات باطلة، ُتبنى على الظلم والتجني والتقليد الأعمى . وتحريك للهمم لطلب العلم وفق منهج العلماء رحمهم الله تعالى ، واستفادة من درر علمهم وخزائن معارفهم .وتوجه طلبة العلم لدعوة الناس للإسلام والرد على العلمانيين، والحداثيين ، وتكثيف الجهود في ذلك.وفي الخاتمة نسأل الله حسن الخاتمة .وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين .

وكتبه : غيث بن عبدالله الغالبي

الفهرس

الرسالة الثانية :في تدعيم ثوابت الصحوة الإسلامية من هم أهل السنة؟ تأليف :غيث بن عبدالله الغالبي

ـ مصر - الأحد 29/ رمضان المعظم /1427 هـ 22/ 10/ 2006 م